سلسلة الثقافة الإسلامية [٢]

زوجات النبى الطاهرات

وحكمة تعددهن

دكتور

علي يوسف السبكي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٩٩٠/٩٥٨١

المقـدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ،ومن اهتدى بهديهم ، ونهج نهجهم إلى يوم الدين

أما بعد:

فلا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر أن الرسول ﷺ بشر فيه غرائز البشر وميولهم الفطرية، فهو يأكل ويشرب ويتزوج ويبيع ويشترى ويرعى الغنم، غير أنه فى الكمال الإنسانى والآداب والأخلاق قمة، فهو متواضع يمشى فى الأسواق، ويخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحب المساكين ويجلس معهم ويقضى حاجة الفقراء والأرامل والعبيد الضعفاء، فهو لايختلف فى طباعه الفطرية عن البشر إلا أنه يوحى إليه ولا يوحى إلا إلى نبى.

أما مسألة تعدد زوجاته ﷺ زيادة عن أربع فلا يظن به أنه استسلام للشهوات وانهماك فى الملذات، فبالرجوع إلى التاريخ نقف على حقيقة سلوكه الشريف، والذى يظهر فيه جليًا أن النبى ﷺ مصلح وقائد ومجاهد وفى النهاية نبى أعطاه ربه الكثير من الخصوصيات.

والنبى محمد ﷺ هو قدوتنا وأسوتنا، قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [١].

وزوجاته من أمهات المؤمنين قدوة عظيمة لنا، لأمهاتنا، لزوجاتنا، لأبنائنا وبناتنا.

والذى دعانى إلى تأليف هذا الكتاب الموسوم بـ « زوجات النبى الطاهرات وحكمة تعددهن » .

أولاً : حبى للنبى ﷺ ولزوجاته أمهات المؤمنين رضى الله عنهن.

ثانيـاً: ما نراه من جهل الكثيرين من المسلمين التام أوالجزئى بمعرفة بيت النبى ﷺ وكيفية تكوينه وما كان يدور بداخله من خير لو تأسى به المسلمون لسعدوا.

هذا : إلى جانب جهل الكثيرين بمعرفة الحكمة من تعدد زوجات النبى رضوان الله عليهن، مما أفسح المجال أمام أعداء الإسلام وخصومه لبث سمومهم والادعاء الباطل

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١.

بأن النبى ﷺ كان شهوانياً يحب النساء، ويتزوج الكثيرين دون معنى أو داع لذلك، جهلاً منهم بحكمة التعدد لأمهات المؤمنين، وأن التزوج من كل واحدة منهن بعد السيدة خديجة رضوان الله عليها كان لمصلحة خاصة بالسيدة المتزوج بها كما سيتضح ذلك، أو كأن النبى ﷺ لم يكن مشغولاً بالدعوة إلى الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (١) . وكأنه ﷺ لم يكن مهتماً بنشر دين، ولا إقامة دولة.

وسوف أتحدث فى هذا الكتاب عن قضيتين مهمتين :

الأولى: تصحيح مفاهيم الكثيرين من المسلمين عن موقع السيدة مارية القبطية فى بيت النبى ﷺ.

الثانية : عن تعدد زوجات النبى ﷺ وحكمة التعدد بادئاً بالتعريف بأم المؤمنين، منوهاً عنها قبل دخولها بيت النبى ﷺ ، ومن تزوجت قبله، وكلهن تزوجن قبله ﷺ إلا السيدة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما فهى الزوجة الوحيدة التى تزوجها النبى ﷺ بكراً، ثم الكتابة عن أم المؤمنين فى بيت النبى ﷺ ،موضحاً منزلتها وفضلها وغير ذلك إلى أن أصل فى الكتابة إلى وفاتها، وهكذا مع كل واحدة منهن رضوان الله عليهن.

ثم أفردت بحثاً عن النبى الزوج وكيف أنه ﷺ كان زوجاً قدوة يستطيع حل المشاكل البيتية التى تعرض لها البيت النبوى الشريف - وهى فى كل بيت. -

وأخيراً كتبت عن حكمة تعدد زوجات النبى ﷺ

والله أسأل أن يتقبل عملى هذا وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وأن ينفع به طلاب العلم والمسلمين.

آمين

أبو محمد

د.علي يوسف السبكي

غرة رجب ١٤٢٥ هـ

مدينة العاشر من رمضان في

١٨ من يونيه ٢٠٠٤م

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥، ٤٦ .

• مـدخـل

على الرغم من عناية علماء المسلمين بالحديث عن زوجات النبى ﷺ إلا أنه مما يحز فى النفس ويملؤها أسى وحسرة أن تجد الكثيرين من المسلمين لا يعرفون إلا القليل عن أمهات المؤمنين، والقلة القليلة هى التى تَعرف، وللأسف الشديد أن بعض العارفين معرفتهم مشوشة أو مغلوطة، فلا يفرقون بين السرارى (الإماء) وبين الحرائر، ولا بين الزوجة الحرة والأمة المملوكة.

وأمهات المؤمنين كلهن حرائر، فغير الحرة كان النبى ﷺ يطؤها بملك اليمين.

ولذا نقول: من وطأهن النبى ﷺ بملك اليمين لا تعد واحدة منهن من أمهات المؤمنين، ولا مجال للتعصب فى ديننا الإسلامى الحنيف، وأما الجهل فَيُزَال إن شاء الله تبارك وتعالى بالعلم.

وإليك أيها القارئ الكريم البيان الشافى عن زوجات النبى الطاهرات أمهات المؤمنين، وعن غيرهن ممن حصل اللبس بشأنهن ولسن من أمهات المؤمنين.

• عرض القضية

كثير من الناس منهم أعلام حاصلون على درجات علمية عالية كالدكتوراه يتعجبون من وضع مارية القبطية ضمن السرارى (الإماء) ولا يفهمون السبب فى ذلك، ونحن نورد رأيهم ثم نوضح الأمر حتى يفهم الجميع الحقيقة الناصعة.

يقول الدكتور/ حسين مؤنس فى كتابه «مصر ورسالتها [1]»:

« عجيب إصرار الفقهاء على وضع مارية القبطية خارج نطاق أمهات المؤمنين مع حب الرسول ﷺ لها وإعزازه إياها، وقد أسلمت مارية وأختها سيرين وحسن إسلامهما، وأنجبت الولد للرسول، ولا ندرى كيف يضعون صفية بنت حيى بن أخطب بين أمهات المؤمنين، ولا يضعون مارية القبطية، وما كانت مارية بأقل منها، بل كانت من بنات الأسر فى مصر، وقد شهد لها بذلك نفر من المؤرخين.

وقد أوصى الرسول ﷺ بالقبط لصهره إليهم، ولم يوص باليهود رغم صهره إليهم، ومارية – أم إبراهيم – لا يمكن أن تكون أقل من صفية بنت حيى، فمن عجب أن هذه

---

(١) ص ٩١، ٩٢ والنقل عن كتاب فضل مصر أم الدنيا تأليف محمد عبد السلام خليل، النواوى ص ٧٩، ٨٠ .

«صفية» تحسب في عداد أمهات المؤمنين !!!!!! ومارية الحفنية الصعيدية - المصرية - لا توضع بينهن!!!.

وصوت آخر يقول: تأييدي للدكتور حسين مؤنس تأييد مطلق، فكل ما قاله حق، وارجعوا إلى الأحاديث النبوية التي تدلل على علاقته - ﷺ - والعرب كلهم مع مصر .. صلة .. رحم .. ذمة .. مصاهرة ... كل ذلك من قبل أن يفتح الله للمسلمين مصر. وأقول أيضاً: إن ما يصر عليه الفقهاء خطأ وخطير» [1].

• الرد على ذلك بهدوء

إن الموضوع ليس موضوع تحيز الفقهاء أو غيرهم وليس خطأً تاريخياً وقع فيه الجميع، لكن الموضوع غير ذلك ، فما هو الموضوع من بدايته؟

• رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس

أرسل النبي ﷺ رسالة إلى المقوقس عظيم القبط في مصر ضمن سلسلة رسائله ﷺ إلى الملوك والأمراء والحكام في نهاية العام السادس لهجرته ﷺ أو بداية العام السابع الهجري على خلاف بين الرواة.

وكان المقوقس من علماء الدين المسيحي والمطلعين على كتب الأنبياء.

وحمل رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة، فلما وصل إلى المقوقس أكرمه وأنزله في منزله وأقام عنده [2].

• هدايا المقوقس للنبي ﷺ

لم يكتف المقوقس بالمقابلة الحسنة لحاطب وإنما حمله الهدايا للنبي ﷺ ومنها:

١ - جارية اسمها مارية، والتي تزوجها النبي ﷺ بعد ذلك وأنجبت ولده إبراهيم.

٢ - جارية اسمها سيرين، والتي تزوجها حسان بن ثابت، وهي أم عبد الرحمن بن حسان.

٣ - عسلاً من عسل بنها، وقد أعجب النبي ﷺ بالعسل، ودعا بالبركة لعسل «بنها».

وغير ذلك من الهدايا التي أوصلها الرواة إلى إحدى عشرة هدية.

---

(١) المرجع السابق ص٨٠ .

(٢) انظر كتابنا الرسائل النبوية تحقيق ودراسة

● **نسب السيدة مارية**

هي مارية بنت شمعون، ومارية بتخفيف الياء معناها في اللغة العربية «البقرة الوحشية» وأما بتشديد الياء، فهي «القصاة الملساء».

قال الواقدي: كانت من «حَفْن» من كورة « أنصِنّا » بفتح الهمزة وكسر النون وسكون الصاد بعدها نون وألف. كانت تسمى أيامَ البيزنطيين بهذا الاسم، أو باسم «أنصلا» باللام بدل النون الثانية. وتسمى القرية الآن باسم «الشيخ عبادة» من صعيد مصر في مقابلة الأشمونين كما في الفتح.

ويقال: إن عبادة بن الصامت هو الذي بنى مسجدها.

وكانت - السيدة مارية - بيضاء جميلة، وأمها من الروم، ذكر ابن سعد عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها جعدة [1] جميلة فأعجب بها النبي ﷺ. وكان قد أنزلها أولاً بجوارنا، فكان عامة الليل والنهار عندها، ثم حولها إلى «العالية»، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا.

أهداها إلى النبي ﷺ المقوقس «جريج بن مينا» القبطي صاحب مصر والإسكندرية سنة سبع من الهجرة كما رواه ابن سعد [2] .

● **السبب في اختيار مارية وسيرين**

انقسمت رؤية الباحثين بالنسبة لاختيار مارية وسيرين إلى قسمين:

الأولى: أشار أبو صالح الأرمني إلى أن غرض المقوقس من إرسال هاتين الجاريتين هو: السعي لخلق علاقة من المودة مع محمد - ﷺ - عن طريقهما [3] ».

الثانية: كان إهداء مارية لتدل قومها على حقيقة ذلك الرجل العربي الذي يزعم أنه نبي جاء بعد عيسى - عليه السلام - ولتعلم أهو نبي حقاً، أم ملك من ملوك الدنيا؟

ولا يتيسر لها العلم بذلك إلا إذا عاشت معه في بيته وتحت سقفه، ولم يجد المقوقس عنده خيراً من هذه الفتاة يرسلها إلى محمد - ﷺ - لتأتي له بالخبر اليقين عن أحواله، وصدق نبوته، وأرسل معها أختها سيرين ونفراً من قومها ليعيشوا على مقربة منها لتطمئن إليهم [4].أو ليروا هل سيتزوج الأختين - وهو ممنوع - أم لا.

---

(١) الجعدة: إما ذات الشعر الجعد، وإما الممتلئة الخلق.

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦ / ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٣) نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ د. عون الشريف قاسم ص١٠٤ .

(٤) سيرة النبي العربي - أحمد التاجي ٢ / ٩٧ بتصرف.

سافرت مارية إلى الحجاز فى ثوب راهبة، ودخلت بيت الرسول ﷺ فلم تدخل قصراً، ولم تر ملكاً كما رأت للرومان من قصور فى الإسكندرية ومعابد فى كل مكان، وإنما أقامت فى بيت متواضع أشد تواضعاً من صوامع الرهبان. ورأت رسول الله ﷺ يعيش فى بيته عيش الكفاف، فلا ترف ولا سرف وإنما تقشف وشظف، يأكل طعامه فوق الأرض على سفرة يفرشها من الجلد ويقول:« آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد ». وينام على سرير مشدود بحبال من ليف، وليس فى بيته إلا حفنات من تمر وشعير؛هى زاده فى هذه الحياة!!

أخذت مارية تطحن الشعير بيدها على الرحى، وشاركت رسول الله ﷺ فى معيشته كما يحياها وكان يعمل معها بيده، ويخدم نفسه وأهله؛ فرأت فى حياته ما كانت تقرؤه عن المسيح ابن مريم فى زهده وتقشفه.

وأدركت أن قومها قد خرجوا عن طريق المسيح إلى المعيشة الهانئة فى الدنيا فسكنوا القصور، وادخروا الذهب والفضة واكتنزوها وتمتعوا بشهوات الحياة كأنهم يعيشون فيها أبداً، حتى رؤساء الكنيسة؛ أحبارهم ورهبانهم انغمسوا فى تلك الشهوات، فهم فى واد، والدعوة التى يدعون إليها الناس فى واد آخر [١].

● عرض نبوى كريم

لقد عرض النبى المصطفى ﷺ على مارية أن يحررها ويتزوجها كما صنع بغيرها من نسائه [٢] -ﷺ -ولكن مارية أصرت على أن تعيش جارية له - ﷺ - .

لقد أصرت على أن تشعر بأنها مملوكة الرقبة، ليبقى لها ذلها وانكسار قلبها كما علمتها الرهبنة المسيحية.

ورضى الرسول بما رضيت به مارية ولم يكرهها على أمر لا تقبله.

وشعرت مارية بعظم مهمتها التى انتدبت من أجلها، فلعل هذا مما منعها أن تقبل الزواج من النبى ﷺ ؛ لأنها تعرف أن الزواج رباط مقدس فيه تلتزم الزوجة الوفاء والإخلاص لمن ارتبطت به، وليس كذلك الجارية. ولا يزال فى نفسها شىء من هذا النبى، وقد جاءت لتتعرف وتتأكد، لا لتحب وتتزوج [٣] ».كان هذا فى بداية أمرها.

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٩٨ بتصرف.

(٢) صنع هذا بجويرية التى أسرها فى غزوة بنى المصطلق، وكذلك بصفية التى أسرت فى خيبر ،وقد حرر كلتيهما وتزوج منها.

(٣) سيرة النبى العربى الأستاذ أحمد التاجى ٢ / ٩٧ .

لكنها لما عاشت فى جوار النبى ﷺ وتأكدت من نبوته ورسالته وأنه رسول الله حقا، رضيت أن تعيش فى كنفه أمة لا زوجة لها حقوق وعليها واجبات قد لا تستطيع أداءها فتعرض نفسها لغضب النبى ﷺ وبالتالى غضب ربه سبحانه وتعالى الذى يغضب على من يغضبه عليه الصلاة والسلام.

• من هى السرية ؟

السُرِّية: مفرد سرارى، مأخوذة من التسرر، وأصله من السر، وهو من أسماء الجماع، وسميت بذلك لأنها يُكْتم أمرها علي الزوجة غالباً، وَضُمَّتْ سينها جرياً على المعتاد من تغيير النسب للفرق بينها وبين الحرة إذا نُكحت سراً.

وقيل: مأخوذة من السرور لأن مالكها يُسَرُّ بها، قال ﷺ: « عليكم بأمهات الأولاد » وفى رواية «بالسرارى فإنهن مباركات الأرحام» [1].

وفى كامل ابن عباس عن عمر قوله: ليس قوم أكيس من أولاد السرارى لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم، «يريد إذا كن من العجم» [2].

• فطنة مارية وذكاؤها

وكانت مارية فتاة فطنة فسرعان ما تعلمت العربية، وسرعان ما فهمت كلام الله فى قرآنه، وكلام نبيه فى حديثه، فعرفت حقيقة عيسى ابن مريم وأنه كلمة الله ورسوله، وهو عبد من عباد الله، خلقه الله آية للناس من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وليس ولدا لله سبحانه (كما يدعون).

أدركت مارية أنها وقعت على الحق وانشرح صدرها للإسلام، فآمنت بالله وصدقت برسوله خاتم الأنبياء .

وسمع المقوقس وحاشيته بما انتهى إليه أمرها، فأدركوا أن محمداً هو النبى الذى بشر به عيسى - عليه السلام -، وأن الله ناصره ومؤيده، ولو أنهم فتحوا قلوبهم للحق لآمنوا به واتبعوه، ولكن سلطان الدنيا غطى على مشاعرهم وختم على قلوبهم فباعوا دينهم بدنياهم، وكانوا من الخاسرين.

ثم أسكن النبى ﷺ مارية بعالية المدينة فأقامت بها متمتعة بعطف الرسول ﷺ

---

(١) رواه أبو داود فى مراسيله مرفوعاً

(٢) الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦ / ٢٣٩ .

وحبه، وبعد عام ظهرت عليها علامات الحمل ففرح الرسول بذلك فرحاً شديداً.

فلما استوفت أيام حملها وجاءها المخاض أرسل الرسول لها أختها سيرين و«الشفاء» أم عبد الرحمن بن عوف ليساعدنها في الولادة فما هي إلا ساعة حتى جرت إليه « أم رافع » بالبشرى قائلة: لقد ولدت مارية ولدا.

فحمد النبي ﷺ ربه وشكره، فقد رزقه الولد على كبر سن وسماه إبراهيم باسم أبي الأنبياء خليل الرحمن، ثم تصدق بوزن شعر رأسه فضة على كل مسكين.

وفرحت المدينة كلها بمولد إبراهيم، ونودي فيها ولد للرسول غلام فأولم المهاجرون والأنصار الولائم فرحين مغتبطين، واختاروا له أجود شياههم ليأخذ إبراهيم منها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

وكان النبي ﷺ يبقى عند ولده كل يوم ساعة يلاعبه فيها ويناغيه ويساعد أمه في حمله والعناية به .

وهكذا نرى أن مارية القبطية هي التي أصرت على أن تبقى جارية للنبي ﷺ، ورضي الرسول بما رضيت به ولم يكرهها على أمر لا تقبله[١].

لذا: لم تُعَدْ من أمهات المؤمنين، لكونها مملوكة وأمهات المؤمنين حرائر.

● إكرام الله مارية

وهنا أقول: تعالوا نبحث معاً عن حكمة ربانية لإعطاء الولد لمارية دون بقية النساء؟

نقول: لا حرج على فضل الله ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾[٢] .

لكن العقل يدرك وبسرعة أن إبراهيم كان مكافأة لمارية من الله تعالى لتواضعها وتصميمها على أن تبقى أمة، وأي أمة؟؟

إنها أمة لرسول الله ﷺ فكانت المكافأة الغالية هي أن تصبح أم ولد لتعتق رقبتها فلا يتحكم فيها مخلوق غير رسول الله ﷺ .

● مارية كانت خيراً وبركة على المصريين

أسلمت مارية ودخلت في دين الله وولدت للنبي ﷺ إبراهيم ولما علم أهلها بذلك اعتزوا بمصاهرة الرسول لهم .

---

(١) المرجع السابق ٦ / ٩٩، ١٠٠ بتصرف . (٢) سورة الشورى الآيتان ٤٩، ٥٠ .

فقد سمعوا بعدله ورحمته وأنه ﷺ يوصى بهم خيراً لأنهم أخوال ولده إبراهيم، ويقول لأصحابه :« إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً؛ فإن لهم رحماً ونسباً ».

وقد أدرك القبط أن فتح العرب لبلادهم لا محالة واقع، وانتظروا اليوم الذى يخلصهم المسلمون من ذل الرومان وعسفهم.

فلما جاء هذا اليوم فى عهد عمر بن الخطاب فتح المصريون أبواب بلادهم لجيش الإسلام ولم يعترضوا سبيله .

وشاع بينهم أن المسلمين أصهارهم جاءوا ليخلصوهم من ظلم الظالمين فأعانوهم على عدوهم ودخلوا فى دينهم «دين الله الإسلام» .

وكان زواج رسول الله ﷺ من مارية خيراً وبركة عليهم، وقد عرف المسلمون لهم هذه الفضيلة عند فتحهم مصر، فذهب عبادة بن الصامت إلى حفن قرية مارية وسأل عن بيتها وأقام عليه مسجداً.

وهكذا نرى رسول الله ﷺ قد صاهر اليهود والنصارى ليبين للناس أنه لا يكره طائفة لدينها، ولا يحترم قوماً لجنسهم، وأنه لا يستعلى على فئة من الناس وينبذهم.

فهو الذى يقول: « الناس كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ».

لذلك فتح قلبه للناس جميعاً، وبيته للطوائف جميعاً، فالتَقَوا فيه على حب الله تعالى ورسوله ﷺ.

• **السيدة ريحانة النضيرية**

قيل: اسمها «ربيحة» بنت شمغون، بالشين والغين، بن زيد بن عمرو بن قنافة أو خنافة، من بنى عمرو بن قريظة أو من بنى النضير» .

من العلماء من يرى أنها من أمهات المؤمنين، فيقول: لما فتح رسول الله ﷺ قريظة كان بين سبيها ريحانة النضيرية القريظية، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، وخيرها بين الإسلام ودينها، فاختارت الإسلام، فأعتقها وتزوجها وأعرس بها.

ويعلق على ذلك بقوله: والمعانى الإنسانية النبيلة فى قصة هذه السيدة العظيمة أم المؤمنين ريحانة رضى الله عنها أنها سبيت كغيرها من سبايا قومها، فاصطفاها رسول

الـلـه ﷺ من بين السبى لنفسه لمكانتها فى قومها، وخيّرها بين الدخول فى الإسلام وبين بقائها عى دين قومها، وكانت هذه أول خطوة فى بناء حياتها الجديدة، وهذا التخيير إلى جانب أنه تحقيق لمنهج الإسلام فى عدم إكراه أحد على قبوله والإيمان به، فإنه يمثل جانباً إنسانياً ونبلاً خلقياً.

وقد قبلت الإسلام فأسلمت فازداد النبى ﷺ فى الإفضال عليها والاحتفاء بها فأعتقها.

وإلى هنا تتحقق صورة من النبل الإنسانى فى معاملة النبى ﷺ لها، ولكن النبى ﷺ تدعوه مكارم أخلاقه، ونبل إنسانيته، وسماحة دينه إلى أن يزيد فى التعطف عليها والتلطف بها، فيخلطها بنفسه زوجة يرفعها إلى مراتب أمهات المؤمنين، فتزوجها وبنى بها فأحبته حباً شديداً »[1].

عن عمر بن الحكم قال: أعتق رسول الله -ﷺ - ريحانة وكانت عند زوج محب لها مكرم، فقالت: لا أستخلف بعده أبداً، وكانت ذات جمال. فلما سبيت بنو قريظة، عُرض السبى على رسول الله ﷺ . فكنتُ فيمن عرض عليه. فأمر بى فنزلت. وكان يكون له صفى من كل غنيمة. فلما عُزلت خار الله لى فأرسل بى إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياماً حتى قُتل الأسرى. وفُرِّق السبى، ثم دخل علىَّ رسول الله، فتنحيت منه حياء، فدعانى فأجلسنى بين يديه فقال: «إن اخترت الله ورسوله، اختارك رسول الله لنفسه».

فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقنى رسول الله وتزوجنى وأصدقنى اثنتى عشرة أوقية ونشاً كما كان يُصدِق نساءه، وأعرس بى فى بيت أم المنذر، وكان يقسم لى كما كان يقسم لنسائه. وضرب على الحجاب.

وكان رسول الله ﷺ معجباً بها، وكانت لا تسأله إلا أعطاها ذلك.

وقد قيل لها: لو كنت سألت رسول الله ﷺ بنى قريظة فأعتقهم.

وكانت تقول: لم يَخلُ بى حتى فرِّق السبى. ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها. فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع. فدفنها بالبقيع. وكان تزويجه إياها فى المحرم سنة ست من الهجرة[2].

---

(١) الموسوعة فى سماحة الإسلام للشيخ محمد الصادق عرجون ٢ / ١٠٨٥، ١٠٨٦ .

(٢) فقه السيرة النبوية - منير محمد غضبان - ص٦٧٠ .

● طــلاقها

أحبت السيدة ريحانة النبى ﷺ حباً شديداً وعذبتها الغيرة عليه، وسيطر على شعورها ضعف الأنثى وكأنها أرادت أن تستأثر به،

وكيف وهو رسول الله ﷺ ؟

كيف وله من مشاغل رسالته فى كل لحظة من لحظات وجوده الكريم ما يجعل أوقاته ملكاً لهذه الرسالة العظمى ؟، وإرضاء الغيرة قد يجافى العدل ولا ينبغى أن يكون له ظل فى سلوك سيد المرسلين.

وقد رأى ﷺ أن يكفكف من غلواء هذه الغيرة فطلقها طلقة واحدة لعلها تشعر بأن بقاءها فى عز هذه الزوجية مع المشاركة، خير من حرمانها، فتخفف فى قلبها سورة الغيرة، فلما علم رسول الله ﷺ أنها تديم البكاء حزناً على فراقه رق لها، ورثى لحالها، فدخل عليها وراجعها.

وهذه المعاملة تصور أرفع صور النبل الإنسانى، وأرق شعور اللطف والعطف» [1].

● رأى من قالوا إنها كانت مملوكة

قالوا : كانت ريحانة متزوجة رجلاً من بنى قريظة فسبيت معهم،وإن كانت من بنى النضير نسباً.

لما سبيت أبت إلا اليهودية فعزلها - النبى ﷺ - ووجد فى نفسه، ثم جاءه ثعلبة بن سَعْيَة يبشره بإسلامها، فسر بذلك، وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: بل تتركنى فى مِلكك، فهو أخف علىّ وعليك، فتركها، واصطفاها لنفسه » [2].

ويرى ابن سعد أنها بقيت ملك يمين النبى ﷺ ولم يعتقها بناء على اختيارها.

وقد توفيت فى حياته ﷺ مرجعه من حجة الوداع .

ونحن نميل إلى الرأى الغالب القائل بأنها من السرارى وليست من أمهات المؤمنين.

ونستطيع أن نقول إن النبى ﷺ كان له من السرارى أربع :

١ - السيدة مارية القبطية .

٢ - السيدة ريحانة النضيرية .

---

(١) الموسوعة فى سماحة الإسلام للشيخ محمد الصادق عرجون ٢ / ١٠٨٦,، ١٠٨٧ .

(٢) المرجع السابق ٦ / ٢٤٢ .

٣ - أمة يقال لها: إنها جارية السيدة زينب بنت جحش وهبتها للنبى ﷺ لما رضى عنها بعد هجرها، حيث كان قد هجرها لما قالت فى صفية : إنها يهودية، ثم رضى عنها، ودخل عليها فى ربيع الأول الذى قبض فيه، فوهبت له نفيسة.

٤ - أمة أصابها النبى ﷺ فى السبى، ولا يعرف اسمها، ذكرها أبو عبيد معمر.

• زوجات النبى المتفق عليهن

وأما زوجاته ﷺ أمهات المؤمنين المتفق عليهن فإحدى عشرة، هن:

١ - السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها.

٢ - السيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها .

٣ - السيدة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها .

٤ - السيدة حفصة بنت عمر رضى الله عنها .

٥ - السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله عنها.

٦ - السيدة أم سلمة رضى الله عنها .

٧ - السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها .

٨ - السيدة جويرية بنت الحارث رضى الله عنها.

٩ - السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها.

١٠ - السيدة صفية بنت حيى بن أخطب رضى الله عنها .

١١ - السيدة ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها .

توفى اثنتان منهما فى حياة النبى ﷺ وهما السيدتان خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة رضى الله عنهما. ومات النبى ﷺ عن تسع.

والمتفق عليه من أمهات المؤمنين وتصنيفهن كما يلى :

ست منهن من قريش ، وهن :

١ - السيدة خديجة بنت خويلد .
٢- السيدة سودة بنت زمعة .
٣ - السيدة عائشة بنت أبى بكر .
٤ - السيدة حفصة بنت عمر.
٥ - السيدة أم حبيبة .
٦ - السيدة أم سلمة .

وأربع عربيات من غير قريش ، وهن :

١ - السيدة زينب بنت جحش.
٢ - السيدة ميمونة بنت الحارث.
٣ - السيدة زينب بنت خزيمة .
٤ - السيدة جويرية بنت الحارث.

واحدة غير عربية من بنى إسرائيل وهى :

١ - السيدة صفية بنت حيى بن أخطب.



الفصـــــل الأول

- مراحل حياة النبى ﷺ.
- تراجم أزواج النبى ﷺ .



● مراحل حياة النبى

عــاش النبى ﷺ ثلاثة وستين عاماً هجرياً سوف نقسمها إلى مراحل خمس لكى يسهل علينا معرفة الهدف من تأليف هذا الكتاب.

● المرحلة الأولى: من مولده عليه السلام حتى الخامسة والعشرين من عمره.

أمضى رسول الله ﷺ من عمره خمسة وعشرين عاماً. وفيها عنف وصبوة الشباب وتأجج العاطفة. فى مجتمع الجاهلية الآسن الذى يستبيح حتى الزنا. وقد عصمه الله تعالى من كل سوء. حتى مجالس اللهو التى يقصدها السمار والشباب كان عزوفاً عنها أو معصومًا منها. كما حدثنا عليه الصلاة والسلام عن نفسه :

«ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمون به من الغناء إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما.

قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاء غنم أهلها. : أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال: بلى.

قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة. فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير. فقلت: ما هذا ؟

قالوا: تزوج فلان فلانة فجلست أنظر. وضرب الله على أذنى. فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس. فرجعت إلى صاحبى. فقال: ما فعلت؟

فقلت: ما فعلت شيئاً. ثم أخبرته بالذى رأيت،

ثم قلت ليلة أخرى. أبصر لى غنمى حتى أسمر ففعل، فدخلت. فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة. فسألت فقيل: نكح فلان فلانة. فجلست أنظر، وضرب الله على أذنى . فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس.

فرجعت إلى صاحبى. فقال: ما فعلت.

فقلت: لا شئ ثم أخبرته الخبر .

فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشئ من ذلك حتى أكرمنى الله بنبوته ».

فهذا هو تاريخه عليه الصلاة والسلام فى أطهر شباب وأعف رجولة ، وأنزه سلوك. وهو فى الجاهلية . ومن أجل هذا كان صبوة نساء مكة. لاستقامته وشرفه وخلقه.

والذى ينجو من أعنف المراحل فى حياته. صبابة وحباً واندفاعاً. حتى الخامسة والعشرين من عمره. خليق بأن يكون من أعف أهل الأرض. وليس عنده امرأة أو زوجة يقضى منها وطره[1].

• المرحلة الثانية : من الخامسة والعشرين حتى الخمسين من عمره

ثم كان زواجه من خديجة رضى الله عنها . فى الخامسة والعشرين من عمره .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة. مع ما أراد الله بها من كرامته. فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به. بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك[2] فى قومك، وأمانتك ، وحسن خلقك، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً . كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو قدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ . ذكر ذلك لأعمامه [3] مما سيأتى ذكره.

وقبل أن نترجم لأمهات المؤمنين نود أن نعطى القارئ الكريم فكرة مبسطة عن بعض الأحكام الشرعية الخاصة بهن :

• أحكام شرعية خاصة بأمهات المؤمنين

عُنى المسلمون بالحديث عن زوجات النبى ﷺ كجزء من سيرته الشريفة التى تناولت كل ما يتصل به، وإلى جانب ذلك قام جماعة منهم بإفرادهن بكتابات خاصة، شرحوا فيها كل ما يتعلق بهن من النواحى الفقهية والتاريخية .

ومن الأحكام الشرعية الخاصة بهن ما يلى :

١ - تسميتهن بأمهات المؤمنين، وليس ذلك لامرأة غيرهن. قال تعالى ﴿وَأَزْوَاجُهُ

---

(١) فقه السيرة النبوية - منير محمد غضبان - ص٦٤٩،٦٥٠ .

(٢) وسطتك : فسره السهيلى : من الوسط، وقال فلان أوسط القبيلة أعرفها وأولاها بالصميم ، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٨٩ ، وانظر : فقه السيرة النبوية ص٦٥٠ ، ٦٥١ .

﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1] ولا يقال لهن : أمهات المؤمنات، فقد روى البيهقى فى سننه عن عائشة،وذكره البيضاوى والبغوى فى تفسيرهما: لسنا أمهات النساء.
ويوضحه ما رواه الشعبى عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة: يا أمّه.
فقالت: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم.
وهذه الأمومة بالنسبة للرجال لها نطاق خاص. فهى ليست عامة فى كل شىء، كالميراث ونحوه.

٢ - لا يصح للنبى ﷺ أن يتزوج غير مؤمنة ولو كتابية، فهى لا تكون أماً للمؤمنين، ولن تدخل الجنة معه.

٣ - لا يحل نكاحهن بعد النبى ﷺ لأن ذلك يؤذيه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[2].
فالعلة هناهى الزوجية لا الأمومة، والحكمة هى عدم إيذاء النبى لا قبح زواج الأم.

وعلل العلماء هذا الحكم أيضاً بأنهن أزواجه فى الجنة بنصه عليه الصلاة والسلام، ولا يليق بحرمته تزوج امرأة يعلم عودها له، وبأن المرأة لآخر أزواجها فى الجنة.

وقالوا أيضاً: إن النبى ﷺ حَى فى قبره، فهوكالنائم، ولهذا حكى الماوردى وجهاً للشافعية أنه لا يجب عدة الوفاة عليهن لحياته، ولأن العدة هى لاستبراء الرحم فى بعض الأحوال تمهيداً للزواج، ولا زواج لهن بعده.

كذلك انتساب زوجات النبى له أشرف من انتسابهن لرجل آخر، والمطلوب توفيرالشرف والكمال لهن.

قال العلماء: إن هذا الحكم يكون فيمن تزوجها بالفعل، أما من لم يتزوجها، بأن خطبها فقط، أو تزوجها وفارقها قبل الدخول كمن استعاذت بالله منه، فإن نكاحهن لا يحرم مادام لم يحصل دخول بهن، فإن دخل بواحدة ثم فارقها فهناك قولان فى حل زواجها وحرمته، والأصح الحرمة تكريما لمقام النبىﷺ.

قال الزرقانى فى شرح المواهب : من فارقها فى الحياة كالمستعيذة بالله منه، ومن رأى بكشحها بياضاً، فيها أوجه: يَحْرُمْن أيضاً لعموم الآية. فالبعدية هى بعدية النكاح، تعم الموت والمفارقة بغيره.

(١) سورة الأحزاب الآية ٦ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٣ .

وقيل: لا يحرمن ، وقيل: يحرم المدخول بها فقط، لما روى أن الأشعث نكح المستعيذة فى أيام عمر، فهم برجمه، لأنه باطل، ويعتبر زنى، فأخبر بأنها لم تكن مدخولاً بها.

٤ - وجوب احترامهن فى النظر والخلوة، فلسن فى ذلك كالأمهات، وكذلك فى نقض الوضوء باللمس، وفى التوارث أيضاً.

٥ - لسن كالأمهات فى تحريم بناتهن، فقد تزوج بناته ﷺ من خديجة رجال، وليس أخواتهن خالات، ولا آباؤهن أجداداً. فقد تزوج الزبير بن العوام أسماء وهى أخت عائشة ، والعباس كان متزوجاً من أم الفضل وهى أخت ميمونة زوج النبى ﷺ.

٦ - لا يحل سؤالهن أو الحديث معهن إلا من وراء حجاب، بمعنى حرمة رؤية شخوصهن ولو في الأزر. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (١).

٧ - ثوابهن وعقابهن مضاعفان كما جزم به البغوى وغيره، استناداً إلى قوله تعالى:﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ (٢)، وقيست مضاعفة الثواب على مضاعفة العقاب. ويرشح لذلك قوله تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ (٣).

٨ -عدم تطليقهن بعد اختيارهن للنبى ﷺ ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ (٤).

٩ - التخيير بين المقام مع النبى وتطليقهن خاص بهن، لايجوز لغيرهن كما قاله العلماء.

١٠ - هن أفضل نساء الأمة الإسلامية ، لانتسابهن إلى النبى ﷺ وتحملهن ما لم يتحمله غيرهن فى الدعوة والحياة الزوجية مع النبى وبعده. وإذا كن أفضل نساء الأمة الإسلامية فهن أفضل نساء العالمين جميعاً، على ما رآه بعض العلماء، لأن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

ويلاحظ أن التفضيل بين الأمم هو على الجملة، فلا يلزم منه تفضيل كل فرد على كل فرد(٥).

وإليك أيها القارئ العزيز تراجم أمهات المؤمنين زوجات النبى الطاهرات مرتبة حسب دخولهن بيت النبى ﷺ .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٣ . (٢) سورة الأحزاب الآية ٣٠ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٢ . (٤) سورة الأحزاب الآية ٥٢ .

(٥) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/١٨٣-١٨٦ .

[١] أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها

هى : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. ويلتقى نسبها مع النبى ﷺ فى قصى بن كلاب.

وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن الهرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص ابن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك [١]. فنسبها عن أبيها وأمها لقريش.

• زواجها قبل النبى

تزوجت أبا هالة بن زرارة بن النباش بن عدى التميمى أولاً.

ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ثم خلف عليها رسول الله ﷺ؛ هذا قول ابن عبد البر،ونسبه للأكثر.

وعن قتادة عكس هذا: أن أول أزواجها عتيق ثم أبو هالة، ووافقه ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه، وهكذا فى كتاب النسب للزبير بن بكار.

لكن : حكى القول الأخير أيضاً عن بعض الناس» [٢].

• خديجة تختار الأمين لتجارتها

كانت خديجة بنت خويلد سيدة غنية من قريش تشتغل بالتجارة، فكانت تشترى البضاعة، وتستأجر رجالاً يذهبون بتجارتها إلى الشام واليمن، فيتاجرون ويرجعون إليها بربح كثير فتعطيهم على ذلك أجرهم.

جلست خديجة يوماً تتحدث مع صديقتها «نفيسة» عمن تختاره من قريش ليسافر بتجارتها.

فقالت خديجة: كادت قريش تسير بتجارتها إلى الشام، فلم يبق على سير القافلة إلا ليال معدودة، وأنا فى حيرة لا أدرى من أختار!.

فقالت نفيسة: ألم يتقدم إليك أحد ليسير بها ؟

خديجة: بلى، تقدم الكثير، ولكن ما كل رجل أسلمه ثروتى وأأتمنه عليها، فالأمانة صفة عزيزة لا تكون فى الناس جميعاً، وإنى أعرف رجلاً أميناً لو قبل أن يسير بها لضاعفت أجره !.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٧،٨ . (٢) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ٧/ ٦٠٠ .

نفيسة: ومن ذلك الرجل الذى ينال أربعة جمال أجراً على رحلة يرحلها ؟

خديجة: محمد بن عبد الله الأمين! ما تقولين فيه؟

نفيسة: وماذا أقول فى خير شباب قريش أمانة وفضلاً، وأدباً وخلقاً؟

إنه ما فعل قبيحاً، ولا شرب خمراً، ولا آذى شخصاً، ولا عبث كالفتيان!.

ولكنه يعتزل آلهتنا، ولا يعظم ملتنا!.

خديجة: إنه يعظم الكعبة ورب الكعبة وكفى!.

نفيسة: ولماذا لا ترسلين إليه، وقد تاجر لك من قبل؟

خديجة: نعم، لقد تاجر لى فى سوق «حباشة» بتهامة «مع رفيق له» وكان أميناً على مالى، وعاد إلى بربح جزيل.

نفيسة: وما يمنعه أن يسير بتجارتك إلى الشام؟

خديجة: يقول الناس إن عمه « أبا طالب» يمنعه أن يبتعد عنه كثيراً، فربما يخشى عليه من رحلة الشام أن يصيبه ما أصاب أباه من قبل!.

نفيسة: هذا زعم الناس، ولا أظن قولهم حقاً، فأبو طالب رجل شجاع الرأى، لا يرضى لابن أخيه أن يقعد فى البيت، ولا يسعى وراء رزقه، ومحمد ليس من شباب قريش الذين ينامون الضحى، وإنما نراه يعمل ويأكل من عمل يده. وقد كان يرعى الغنم على قراريط [1]. فلم يأنف ولم يستكبر، ولا أظنه اليوم يكره ما تعرضينه عليه.

خديجة: إذن، فاذهبى إلى عمه، وتلطفى به، واعرضى الأمر عليه، فإن أفلحت فلك منى ما تشائين من جزاء » [2].

● نفيسة تعرض الأمر على أبى طالب

ذهبت «نفيسة بنت منية» إلى بيت عمه، وعرضت الأمر على أبى طالب ففكر برهة، ثم وعدها أن يحمل إلى محمد رسالة خديجة، وأن ينصحه بقبولها، وأثنى على خديجة لحسن صنيعها.

---

(١) أى على أجر ونصيب معين، وما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، ولو كان رعى الغنم نقيصة ما اختار الله ذلك لأحب عباده إليه؛ فإنه يعد الأنبياء برعى الغنم قبل رعاية الناس، فيزودهم بالخبرة والرحمة على البهائم العجماء.

(٢) سيرة النبى العربى للأستاذ أحمد العاجى ١ / ٩٣، ٩٤ .

ولما خرجت «نفيسة» من عنده دعا محمداً إليه، وقال له: « يا ابن أخى، بلغنى أن خديجة بنت خويلد كانت تستأجر الرجل بجملين تعطيها إياه ليتاجر لها فى أموالها بالشام، وقد علمت بأمانتك وعفتك فأرسلت إليك اليوم لتتاجر لها على أن تعطيك أربعة جمال أجراً فماذا تقول؟

فقال محمد ﷺ: « لا أكره ما ترضاه لى يا عمى».

فقال أبو طالب: كنت أود ألا تفارقنى، أو تغيب عن عينى، ولكنى لا أمنع عنك رزقاً ساقه الله إليك، وأسأله لك السلامة، وأوصيك أن تسير فى رفقة قرابتك ولا تنفرد عنهم، وأن تكون على حذر ممن لا تعرف من الناس، واعتمد فى ذلك على عقلك، وحسن تصرفك، وأستودعك الله » [1].

● **مؤهلات للزواج ومرغبات فيه**

كان عليه الصلاة والسلام أحسن قومه خلقاً، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأكرمهم مخالطة، وخيرهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة فسموه بالأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة ،والفعال السديدة، من الحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والتواضع، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، حتى شهد له بذلك ألد أعدائه.

وقد حفظه الله فى صغره من كل أعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف بضدها. وبغضت إليه الأوثان بغضاً شديداً، حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عبادها.

وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل ما ذبح على النصب، وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه فى قومه شيوعاً عظيماً، وذلك كله من الصفات التى يحلى الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقى وحيه، فهم معصومون من الأدناس قبل النبوة وبعدها .
أما قبل النبوة فليتأهلوا للأمر العظيم الذى سيسند إليهم.

وأما بعدها فليكونوا قدوة لأممهم.

عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات» [2].

---

(١) المرجع السابق ١/ ٩٥ .

(٢) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى ص٢٢ ، ٢٣ بتصرف.

ميسرة: رأيت فوقه سحابة لا تفارقه لحظة، إن اتجه يمنة أو يسرة اتجهت معه، وإن وقف وقفت، وإن سار سارت، كأنها مشدودة عليه بالحبال! فكنا رجال القافلة نتلوى من الشمس، ونسبح فى عرقنا، ومحمد بيننا كأنه تحت مظلة تحميه! والمثير أنها ليست سحابة عابرة! وإنما رأيتها تصاحبه من مكة حتى دخلنا الشام، ثم عادت عليه حتى وصل مكة، لازمته وحده كأنها جاءت من أجله!.

وأما صحبته لى، فما رأيت مثله صاحباً. ذهبت لأخدمه فإذا هو يخدمنى، ما آذانى بقول ولا فعل، إذا مرضت مرضنى، وإذا تعبت أراحنى، وإذا غبت انتظرنى، وإذا نمت حرسنى، وإذا تكلمت استمع إلى، وفهم منى، يشفق على كالوالد، ويعطينى حقى كأخيه، والله لقد أحببته حتى نسيت به كل الناس، ولا أدرى كيف أصبر عنه ساعة بعدما رأيت من خلقه، وجميل عشرته» [1].

• **خديجة تفكر**

قال ابن الأثير : كانت - خديجة - امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم منه. فلما بلغها عن رسول الله صدق الحديث، وعظيم الأمانة، وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج فى مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره، ومعه غلامها ميسرة».

وقد قبل محمد ﷺ هذا العرض ورحل إلى الشام عاملاً فى مال السيدة التى اختارته، ويظهر أن التوفيق حالفه فى هذه الرحلة، أكثر من سابقتها مع عمه أبى طالب، فكان ربحها أجزل، وسرت خديجة لهذا الخير الذى أحرزته ولكن إعجابها بالرجل الذى اختبرته كان أعمق.

إنها امرأة عريقة النسب ممدودة الثروة، وقد عرفت بالحزم والعقل: ومثلها مطمع لسادة قريش لولا أن السيدة كانت تحقر فى كثير من الرجال أنهم طلاب مال لا طلاب نفوس. وأن أبصارهم ترنو إليها بغية الإفادة من ثرائها وإن كان الزواج عنوان هذا الطمع! ولكنها عندما عرفت محمداً عليه الصلاة والسلام وجدت ضرباً آخر من الرجال. وجدت رجلاً لا تستهويه ولا تدنيه حاجة. ولعلها

(١) سيرة النبى العربى لأحمد التاجى ١ / ٩٥-٩٧ بتصرف.

ويؤخذ من عدة روايات لأحمد والطبراني برجال الصحيح عن ابن عباس، وللبزار والطبراني برجال ثقات عن جابر بن سمرة أن النبي (ﷺ) كان يرعى هو وشريك له إبلاً لأخت خديجة مدة، فلما انقضت جعل شريكه يأتي يتقاضاها ما بقي لهما عليها. وأما محمد فكان يستحي أن يطلب، فأعجبت به خديجة، فبعثت إليه، وأشارت عليه أن يتقدم إلى أبيها ليخطبها منه، وهي تكفيه ما يلزم من مال [1].

● مع ميسرة

سافر محمد بتجارة خديجة، وقد جعلت في صحبته عبدها ميسرة، أرسلته ليخدم محمداً في طريقه، ويرافقه في سفره الطويل. فلما وصلا إلى الشام تاجر محمد وباع واشترى، ونفعته أمانته وإخلاصه، فراجت تجارته، وأقبل عليه أهل الشام يشترون ما معه حتى نفدت بضاعته التي ذهب بها، واشترى بجزء من المال الذي جمعه منها بضاعة من الشام تروج في الحجاز، فكسب في الحالتين.

ولما عاد محمد إلى مكة اتجه إلى بيت خديجة وسلم عليها ودخل، وأخذ يحكي لها خبر تجارتها وما لقيه في بيعه وشرائه، ثم قدم لها كيساً مملوءاً بالدنانير، وبضاعة كثيرة من بضائع الشام. فسرت سروراً كثيراً وشكرت له حسن تصرفه حينما رأت المال وفيراً والبضاعة المجلوبة كثيرة.

ثم استأذن محمد ليطوف بالبيت قبل أن يعود إلى داره وأهله،

وَدَّعَتْ خديجة محمداً ثم عادت إلى ميسرة ليقص عليها ما رآه من محمد في سفره، وما عاناه من التعب في الطريق.

فقال ميسرة : والله ما رأيت من الرجال مثل محمد، وإن الحديث عنه لعجيب !!. خرجنا إلى الصحراء في شدة الصيف وحره وأنا مشفق على محمد أن تلفح الشمس وجهه الجميل، فهممت أن أقدم له ثوباً يظلله، ثم نظرت إليه فإذا هو بعيد عن الشمس، بعيد عن الحر.

خديجة : وكيف ذلك؟

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ١٩٢ .

عندما حاسبت غيره فى تجارتها وجدت الشح والاحتيال. أما مع محمد ﷺ فقد رأت رجلاً تقفه كرامته الفارعة موقف النبل والتجاوز ، فما تطلع إلى مالها ولا إلى جمالها، لقد أدى ما عليه ثم انصرف راضياً مرضياً [1].

أصبحت خديجة تفكر فى أمر محمد، لأن حديث ميسرة عنه شغلها فعادت بذاكرتها إلى عيد كان لنساء قريش يجتمعن فيه فى المسجد، فاجتمعن يوماً فيه، فجاءهن يهودى وقال: أيا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبى قرب وجوده؛ فأيتكن استطاعت أن تكون فرشاً له فلتفعل، فحصبته النساء - أى رمينه بالحصباء - وقبحنه وأغلظن له، وأغضت خديجة على قوله. ووقع ذلك فى نفسها، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات، وما رأته هى: أى وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة،

قالت: إن كان ما قاله اليهودى حقاً ما ذاك إلا هذا » [2].

وفى غمرة حيرتها واضطرابها، زارتها صديقتها نفيسة بنت منية فلم يغب عنها الذى تجد صاحبتها، فمازالت بها حتى كشفت لها عن سرها المطوى.

وهونت نفيسة الأمر عليها، فما فى نساء قريش من تفوقها نسباً وشرفاً، وهى بعد ذات غنى وجمال، كل قومها حريص على الزواج منها لو يقدر عليه، ثم تركتها وقد اعتزمت أمراً » [3].

● **عرض الزواج على محمد**

ذهبت نفيسة بنت منية إلى رسول الله ﷺ وأخذت تتحدث معه ثم ذكرت فى أثناء حديثها خديجة بنت خويلد فأثنى عليها.

فانتهزت نفيسة الفرصة وقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟

فقال: ما بيدى ما أتزوج به .

قالت نفيسة : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب؟

قال: فمن هى؟

---

(١) فقه السيرة - الشيخ محمد الغزالى - ص٨٨، ٨٩ .

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٢٢٧، ٢٢٨ . (٣) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٢٢٠ .

قالت نفيسة : خديجة.

قال: وكيف لى بذلك؟ «بكسر الكاف لأنه خطاب لنفيسة».

قالت نفيسة: بلى، وأنا أفعل.

فذهبت فأخبرتها ، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها » [١].

- **رواية الحافظ ابن كثير**

لما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له -فيما يزعمون - يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك [٢] فى قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه » [٣].

- **محمد يفكر فى الزواج**

فكر محمد فى أمر خديجة وانتهى تفكيره إلى قبول الزواج منها ، ثم ذهب إلى عمه أبى طالب، وعرض عليه أمر خديجة، ففرح عمه كثيراً، وحمد الله أن هداه إلى أعظم امرأة فى قريش.

فلما ذكر محمد لعمه أنها تكفيه المال، ولا تريد منه مهراً كبيراً، أبى عمه أبو طالب إلا أن يمهرها عشرين ناقة من ماله على أن يستوفيها من محمد متى تيسرت له الأمور. فشكر محمد لعمه حسن صنيعه وساق الإبل إلى خديجة» [٤].

ذهب محمد فى صحبة عمه أبى طالب وحمزة وهناك وجدوا أهلها فى انتظار، وكل شيء معد للزواج السعيد. وقد تكلم أبو طالب فقال:

« الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ [٥] معد ، وعنصر [٦] مضر، وجعلنا حضنة [٧] بيته، وسُوَّاسَ [٨] حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان فى المال

(١) السيرة الحلبية ١ / ٢٢٤ .

(٢) وسطتك: فسره السهيلى من الوسط، وقال: فلان أوسط القبيلة أعرفها وأولاها بالصميم.

(٣) البداية والنهاية ٢ / ٢٩٤ .

(٤) سيرة النبى العربى ١ / ١٠٤ .

(٥) أى معدنه

(٦) أى أصله .

(٧) أى المتكفلين به

(٨) أى القائمين بخدمته.

قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، وهو والله بعد هذا نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة فى كريمتكم خديجة».

قال النووى: وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد: «هو الفحل لا يقدع أنفه» وأنكحها منه.

وقيل: قائل ذلك : ورقة بن نوفل.

وبعد أن خطب أبو طالب بما تقدم خطب ورقة، فقال:

« الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، ورغبتنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا على معاشر قريش أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله ».

فتزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عشرين بكرة [1].

وعن الزهرى أن المزوج لها أبوها خويلد بن أسد وكان سكراناً من الخمر، فألقت عليه خديجة حلة وهى ثوب فوق ثوب، لأن الأعلى يحل فوق الأسفل وضمخته بخلوق: أى لطخته بزعفران، فلما صحا من سكره قال: ما هذه الحلة والطيب؟

فقيل له: لأنك أنكحت محمداً خديجة وقد ابتنى بها فأنكر ذلك، ثم رضيه وأمضاه: أى لأن خديجة استشعرت من أبيها أنه يرغب عن أن يزوجها له، فصنعت له طعاماً وشراباً، ودعت أباها ونفراً من قريش فطعموا وشربوا، فلما سكر أبوها قالت له: إن محمد بن عبد الله يخطبنى فزوجنى إياه، فزوجها ، فخلقته وألبسته، لأن ذلك: أى إلباس الحلة وجعل الخلوق به كان عادتهم أن الأب يفعل به ذلك إذا زوج بنته، فلما صحا من سكره قال : ما هذا ؟

قالت له خديجة: زوجتنى من محمد بن عبد الله .

قال: أنا أزوج يتيم أبى طالب؟ لا لعمرى.

فقالت له خديجة: ألا تستحى، تريد أن تسفه نفسك عند قريش، تخبرهم أنك كنت سكران؟

فلم تزل به حتى رضى » [2].

---

(١) سيرة ابن هشام . وفى طبقات ابن سعد أن رسول الله ﷺ أصدقها اثنتى عشرة أوقية.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٢٢٤ .

وأنا أربأ بخديجة العاقلة أن تفعل مثل هذا.

وأربأ بمحمد الأمين أن يتزوج بهذه الطريقة.

وفى كون المزوج أبوها خويلد أو كونه حضر تزويجها نظر ظاهر، لأن المحفوظ عن أهل العلم أن خويلد بن أسد مات قبل حرب الفجار »[1]. فعن ابن عباس، وعن عائشة - رضى الله عنهم - قال: إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله ﷺ وأن خويلدا كان قد هلك فى حرب الفجار»[2].

وهذا ما أميل إليه .

ولما انتهى العقد نحرت الذبائح ودقت الدفوف، وفتحت دار خديجة للأهل والأصدقاء، فإذا بينهم حليمة قد جاءت من بادية بنى سعد، لتشهد عرس ولدها الذى أرضعته، ثم لتعود فى الغداة ومعها أربعون رأساً من الغنم هبة من العروس الكريمة لتلك التى أرضعت محمداً زوجها الحبيب.

وأرخى الزمن لهما فى حياتهما تلك الرخية الهادئة أعواماً ذات عدد ارتوى محمد خلالها من نبع الحنان، معوضاً بذلك حرمان ماض يتيم، ومتزوداً لغد مقبل حافل بالكفاح المضنى والشواغل الجسام »[3].

وقد كان هذا الزواج ضرورة وضرورة محتمة سعداً وتوفيقاً وخيراً جاءت فى وقتها ، وخطا محمد الخطوة الأولى فى سبيل الرسالة، فقد كان يعوزه الاطمئنان والراحة والفراغ. وخديجة مثل طيب للمرأة التى تكمل حياة الرجل العظيم.

إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية. ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذى يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً فى سبيل الخير الذى يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بله الإدراك والمعونة! وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال وكان لها فى حياة محمد ﷺ أثر كريم.

ولم يكن زواج محمد وخديجة فاتحة حياة زوجية هادئة وادعة هانئة وحسب، بل كان فاتحة الاستعداد للدعوة الإسلامية، وإن أعظم أعمال الرجال حتى

(١) المرجع السابق ١ / ٢٢٥ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام هامش ص ١ / ١٧٤ .

(٣) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٢٢٢، ٢٢٣ .

الأنبياء منهم فى حاجة ماسة إلى مساعدة امرأة، سواء أكانت أماً أم زوجة أم أختاً أم بنتا، وهذه المرأة لا تغذى الرجل إلا إذا كان بينهما حب متبادل وإخلاص واحترام وتقدير.

وقد اجتمعت هذه الشروط كلها فى خديجة وذاق محمد ﷺ طعم السعادة البيتية من ليلة البناء إلى أن ماتت خديجة رضى الله عنها بعد ذلك بخمس وعشرين سنة، حتى ما عانياه معاً فى العشر سنوات الأولى للبعثة من المتاعب والمشقة، فإن كل ألم يهون، وكل عذاب يَعْذُبُ إذا كانت الزوجة مثل خديجة رضى الله عنها »[1].

● **عمر خديجة عند زواجها من النبى**

معظم المؤرخين على أن عمر السيدة خديجة رضى الله عنها وقت زواجها من النبى ﷺ كان أربعين سنة، والقلة هى التى تقول بأن عمرها إذ ذاك كان ثمانية وعشرين عاماً، على رأس القائلين بهذا ابن عباس رضى الله تعالى عنهما.

رأى ابن عباس

فى رواية عن ابن عباس أن خديجة كانت يوم تزوجها النبى ﷺ ابنة ثمان وعشرين سنة »[2]. أخبرنا هشام بن السائب عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله ﷺ ابنة ثمان وعشرين سنة [3].

وقد تشيع لهذا الرأى الأستاذ أحمد التاجى، فقال [4]:

جاء فى بعض كتب السيرة : « أن خديجة أم المؤمنين قالت للنبى ﷺ عقب وفاة ولدها القاسم : درت لبينة القاسم، فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعته لهان فقده على».

فقال لها: « إن له مرضعاً فى الجنة تكمل رضاعته ».

قالت: لو أعلم ذلك لهان فراقه على .

قال: « لو شئت أسمعتك صوته فى الجنة ».

قالت: بل صدق الله ورسوله.

(١) ثورة الإسلام وبطل الأنبياء محمد لطفى جمعة ص ٤٣٢، ٤٣٣ بتصرف.

(٢) أعلام النساء عمر رضا كحالة ١ / ٣٢٧ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ١٠ .

(٤) سيرة النبى العربى ١ / ١٦، ١٧ .

ويعرف قراء السيرة حق المعرفة أن «القاسم» توفى قبل أن يبعث محمد رسولاً، فليس من المعقول أن ينسب إلى النبى ﷺ هذا الحديث.

ومادام الحديث قد صح عندهم بإسناده فالأرجح أن يكون قد قاله فى شأن ولده «عبد الله» الملقب بالطاهر، وبالطيب، وقد أنجبه بعد البعثة، ولم يقله فى القاسم كما رووه.

وهذا يستدعينا أن نعيد النظر فى عمر السيدة خديجة، فأكثر المؤرخين يذكرون أنها تزوجت النبى ﷺ وهى فى الأربعين من عمرها ولو كانت كذلك لكانت وقت بعثة الرسول فى الخامسة والخمسين، وكيف تنجب سيدة فى هذا السن [1].

والموثوق به أنها أنجبت ولدها عبد الله بعد البعثة.

ولهذا، ترجح رواية ابن عباس الذى يذكر أنها تزوجت من النبى ﷺ وهى فى الثامنة والعشرين، فكانت أكبر من النبى ﷺ بقليل. وبهذا يستقيم أن تلد خديجة فى الإسلام، وتتحدث عن ولدها عبد الله بهذا الحديث».

●رأى الجمهور ودليلهم

يرى الجمهور أن عمر خديجة عند زواجها من النبى ﷺ كان أربعين سنة، وقد استدلوا على رأيهم هذا بما يلى:

قال ابن سعد [2]: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن الأسدى عن أهله قالوا: سألنا حكيم بن حزام أيهما كان أسن رسول الله ﷺ، أم خديجة؟

فقال: كانت خديجة أسن منه بخمس عشرة سنة، لقد حرمت على عمتى الصلاة قبل أن يولد رسول الله .

قال أبو عبد الله : قول حكيم: حرمت عليها الصلاة: يعنى حاضت - وبلغت - ولكنه تكلم بما يتكلم به أهل الإسلام».

قال محمد بن عمر: ونحن نقول ومن عندنا من أهل العلم إن خديجة وُلدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة، وأنها كانت يوم تزوجها رسول الله ﷺ بنت

---

(١) أما عن الإنجاب فى هذا السن فليس بعزيز على الله القادر أن يخرق النواميس وأن تنجب أى امرأة فى هذا السن بل وفى أكبر منه .

(٢) الطبقات ٨/٨ .

أربعين سنة. أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا المنذر بن عبد الله الحزامى عن موسى بن عقبة عن أبى حبيبة مولى الزبير، قال: سمعت حكيم بن حزام يقول: تزوج رسول الله ﷺ خديجة وهى بنت أربعين سنة، ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة، وكانت خديجة أسن منى بسنتين، ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة» [1].

وأنا أميل إلى رأى الجمهور القائل بأن عمر السيدة خديجة رضى الله عنها كان أربعين عند زواجها من النبى ﷺ.

• من المواقف العظيمة للسيدة خديجة

كان محمد ينفر من أفعال قريش وعاداتها المرذولة التى توارثتها عن الآباء والأجداد من غير أن تفكر فيها. لذلك اعتزل قومه، وتبرأ من ضلالهم، وأخذ يخلو إلى نفسه فى داره حيناً، ويخرج إلى الخلاء حيناً فيتطلع إلى الكون العظيم وما خلق الله فيه من أرض وسماوات وشمس ونجوم، وجبال ورمال، وزرع وحيوان، وليل ونهار، وصبح ومساء، وغير ذلك.

وكان كلما مرت الأيام ازداد بعداً عن الناس، وإمعاناً فى التفكير وحبب إليه الخلاء، فالتمس له كهفاً فى جبل حراء يأوى إليه، وكان على بعد فرسخين من مكة، وأخذ يقضى فيه اليوم والأيام التى قد تمتد فتصير شهراً من الزمان.

وكان يقضى فى هذا الكهف الفترة بعد الفترة، فمتى ضاق صدره من دنيا الناس التمس راحته فى وحدته وخلوته وفكرته، وهجرته إلى ذلك المكان.

وعرفت خديجة هذا الغار، وموقعه من شمال مكة، فكانت ترسل الرسل إلى محمد بالزاد والشراب كلما أحست أنه فى حاجة إلى ذلك.

وطالت تأملات محمد فى الغار، وطال تفكره فى خلق السماوات والأرض وأضاءت نفسه من طول النظرة، وإعمال الفكرة، وأدرك أن قريشاً على الباطل، وأن الله هو الحق لا الأصنام» [2].

وكان إذا عاد إلى داره حدث خديجة بما يدور فى نفسه، وأنه يخشى على قريش أن يأخذها الله بذنوبها فتصبح حديثاً فى الناس، كعاد وثمود، التى تتحدث العرب القصص حول مصارعهم.

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ١٠.
(٢) سيرة النبى العربى للأستاذ أحمد التاجى ١/ ١١٥.

وكان يقص على خديجة ما يراه فى نومه ويقظته، ويتخوف مما يرى، فكانت تستمع إليه وهى مطمئنة مستبشرة؛ فإنها تتذكر حديث «ورقة» لها وقوله : «سيبعث الله نبياً يكون خاتم الأنبياء، وقد اقترب زمانه وإنى وعلماء بنى إسرائيل نترقبه... ».

وكانت خديجة تقول فى نفسها : لماذا لا يبعث فى العرب؟ ولماذا لا يكون محمد ذلك الرجل؟ وهو هو فى خلقه وكماله !. لقد قضى حياته طاهراً بعيداً عن أنجاس الجاهلية، ولم يخفض رأسه لصنم من أصنامهم، ولم يشارك قومه فى عبثهم وفجورهم، بل عاش حياته مفكراً حزيناً، يتطلع إلى الكون، وخالق هذا الكون!» [1].

وطال مقام محمد بحراء فى شهر رمضان، فأرسلت خديجة الرسل يبحثون عنه فلم يجدوه فى الغار ولا فى الطرق المؤدية إليه، فقلقت عليه وخافت أن يكون قد مسه أذى. وبينما هى فى قلقها إذ دخل عليها محمد يرتجف ويقول: «دثرونى دثرونى».

فأسرعت خديجة إليه بغطاء وأغلب ظنها أنه قد أصابه برد شديد.

فلما صحا من نومه أخبرها بما رأى فى الغار. فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق فى غار حراء.

فجاءه الملك، فقال: اقرأ.

قال: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ

قلت : ما أنا بقارئ.

فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ

فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [2].

---

(١) المرجع السابق ١ / ١١٦ .

(٢) سورة العلق الآيات ١-٥ .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرتجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملونى، زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

فقالت خديجة: والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف،وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءاً قد تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى،

فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة : هذا الناموس[1] الذى نزل الله على موسى، ياليتنى فيها جذعا[2] إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: أوَمُخرجى هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى»[3].

وهكذا... نجد الزوجة الوفية تطمئن زوجها بعبارات هادئه، طيبة، مستمدة مما رأته منه فى مشوار حياتهما معاً، فمن كان يتمتع بمثل صفاته لا يخشى عليه.

كانت رضى الله عنها زوجة قيم ومبادئ، وقرينة جود وعمل، رأيها ناضج، وفكرها ثاقب.

هيأت للرسول المناخ المناسب للخلوة وبعد الفكر، فلقد كان صاحب بيت كله استقرار وطمأنينة، بعيداً كل البعد عن الخلافات الزوجية، ومشاحنات بعض الزوجات، فلقد كانت خديجة - رضى الله عنها - زوجة استقرار وهدوء، وأمان كبار ووقار.

(١) الناموس: المقصود به جبريل لأن الله خصه بالغيب والوحى.

(٢) جذعاً: شاباً قوياً .

(٣) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ .

لم تطالبه بحقوقها والقرب منها، وإنما آثرت ما يحب على ما تحب، فقد كان ما تحب هو ما يحب.

عندما جاءه الوحي وقفت بجانبه تهدئ من روعه، وتبين له أنه صاحب خلق لا يضيع من كان عليها. بحثت عما أتاه حتى تبين لها أنه وحي من الله إليه، فسألت أهل الدراية والمعرفة، ومنهم ورقة بن نوفل حتى اطمأنت إلى أنه وحى الله.

وبعد أن ثبت لها أنه وحى الله لم تتردد، وإنما كانت أول من آمن به ﷺ، وانخرطت فى عداد المؤمنين، تجود بكل ما تملك فى سبيل الله، وتتحمل ما تتحمل وهى راضية رجاء رحمة الله، فرضى الله عنها وأرضاها[1].

وهكذا نرى أن الزوجة لم تكتف بماتعرف عن زوجها من صفات طيبة، وإنما سلكت طريق المعرفة بسؤال أهل الذكر ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣)﴾.

ولذا ذهبت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عمها.

لما أرادت خديجة أن تسأل العالم ورقة تووددت إليه بما يشرح صدره، فقالت له: اسمع من ابن أخيك، وفى هذه العبارة من التودد ما فيها، وهذا يعلمنا أن نعامل أساتذتنا ومعلمينا بمنتهى الذوق والأدب والأخلاق والتودد.

أو قالت: (اسمع من ابن أخيك) لأن والده عبد الله بن عبد المطلب وورقة فى عدد النسب إلى قصى بن كلاب (الذى يجتمعان فيه) سواء، فكان من هذه الحيثية فى درجة أخوته.

أو قالته على سبيل التوقير لسنه.

ولم تحك خديجة لورقة ما سمعته من النبى ﷺ، وإنما تركت له عليه الصلاة والسلام الفرصة ليحكى بنفسه ما رأى وما سمع، فهو الأقدر على الوصف والإخبار منها، فليس من رأى كمن سمع[2].

قالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف،وتعين على نوائب الحق، فيا له من موقف عظيم، من زوجة عظيمة !!.

هذا ما صنعته خديجة عندما جاءها النبى عقب اتصاله الأول بالوحى مرتجفاً محموماً يشكو البرد ويطلب الدثار، وهو بداية الدور العظيم الذى قامت بأعبائه فى خدمة الإسلام.

---

(١) السيرة النبوية من الكتاب والسنة د. عبد المهدى عبد القادر ص٢٤٥.

(٢) انظر كتابنا ثقافة إسلامية للدعاة ص ٣١، ٣٢.

وقد ثبت لدينا أن كثيراً من الخير للإسلام ترتب على مسلكها فى اللحظة الأولى، فإنه مذ علمت من محمد سبب اضطرابه بادرت بتبشيره وتشجيعه وإدخال الاطمئنان على قلبه.

وهذا الحديث يدلنا على - صفات - الحب والعطف والإخلاص التى كانت سائدة فى بيت محمد وخديجة، فإن هذا الاكتراث، وهذه الهمة، وذلك النشاط، لاتظهرها الزوجة إلا بفضل الود، وشعور الرحمة، وقد الحدت عواطف المحبة والمودة والوفاء بينهما، فلم يكن محمد ليخفى عليها شيئاً من خفايا نفسه، فهى موضع سره وأمانته ولم تكن لتستهين بشىء مما يحدث له سواء أكان قريباً منها أم بعيداً عنها.

فلا عجب أن بقى محمد طول حياته متعلقاً بحب خديجة ويذكرها - بكل خير - بعد أن توفيت إلى رحمة الله ورضوانه [1].

• موقف ثان

ومما يدل على عظمتها - رضوان الله عليها - أنها أرادت ذات مرة أن تقتنع بتجربة عملية تختبر بها حقيقة هذا الذى يظهر لزوجها ويقض مضجعه ويزعجه فى نومه ويقظته، وللمرأة ذات العقل الكامل فى الأحوال التي قد تشتبه استبصار وإشراف على الحقيقة، وقد دلها هذا الاستبصار على تجربة جديدة فى بابها. فطلبت إلى بعلها أن يترقب الملك عند ظهوره فيخبرها.

وقد دار بينهما هذا الحوار:

خديجة: أى ابن عم، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟

محمد: نعم .

خديجة: فإذا جاءك فأخبرنى به.

فجاءه جبريل كما كان يصنع فقال لخديجة: يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى.

خديجة: قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى.

فقام محمد فجلس عليها، فسألته: هل تراه ؟

محمد: نعم .

خديجة: فتحول فاجلس على فخذى اليمنى.

---

(١) ثورة الإسلام وبطل الأنبياء محمد لطفى جمعة ص ٥٢٨ .

فتحول، فقالت خديجة: هل تراه؟

محمد: نعم

خديجة : فتحول، فاجلس فى حجرى.

فتحول فجلس فى حجرها ، فسألته خديجة: هل تراه ؟

محمد: نعم

فتحسرت وألقت خمارها ومحمد جالس فى حجرها ، ثم قالت خديجة: هل تراه؟

محمد : لا

خديجة : يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان»[1].

هذه رواية ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير وأضاف إليها قوله: « حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول الله بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل، فقالت للرسول : إن هذا ملك وما هو بشيطان»[2].

• موقف ثالث

تعرض المسلمون فى بدء الدعوة إلى شتى ألوان العذاب الجسدى من ضرب وغيره. والعذاب النفسى من شتم وسب وإجبار على ترك الأموال والأهل والأوطان. فقد أمر النبى ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة حينما اشتد عليهم الأذى فهاجر منهم من استطاع الهجرة .

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى المطلب»[3].

---

(١) المرجع السابق ص ٥٢٥، ٥٢٦ .

(٢) هامش زاد المعاد ١ / ١٢٩ والنقل من ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص ٥٢٨ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٣ .

عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: إن كفار قريش جمعوا أمرهم، واتفق رأيهم على قتل رسول الله ﷺ، وقالوا: قد أفسد أبناءنا ونساءنا، فقالوا لقومه: خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش وتريحوننا وتريحون أنفسكم.

فأبى قومه بنو هاشم ذلك، فظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف، فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب، فلما دخلوا إلى الشعب أمر رسول الله ﷺ من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكانت متجراً لقريش، فكان يثنى على النجاشى بأنه لا يظلم عنده أحد.

فانطلق إليها عامة من آمن بالله ورسوله ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعبهم مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن دينا، والكافر حمية، فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومه أجمعوا على أن لا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرفق، وقطعوا عنهم الأسواق، ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا بيعا إلا بادروا إليه واشتروه دونهم.

لا يناكحوهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة، وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنوات، فاشتد البلاء على بنى هاشم فى شعبهم وعلى كل من معهم» [(١)].

وفى كلام السهيلى : كانوا إذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيئاً من الطعام يقتاته، فيقول أبو لهب: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع - الواحد - إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع، وليس فى يده شئ يعللهم به، فيغدوا التجار على أبى لهب فيربحهم.

ولا منافاة بين خروج أحدهم إلى السوق إذا جاءت العير بالميرة إلى مكة،وكونهم منعوا من الأسواق والمبايعة لهم كما لا يخفى » [(٢)].

وفى رواية: أن خروج بنى هاشم وبنى المطلب إلى الشعب لم يكن إخراج قريش لهم، وإنما خرجوا إليه لأن قريشاً لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشى خائباً، وردت معه هديتهم، وفقد صاحبه الذى هو عمارة بن الوليد، وبلغهم إكرام النجاشى لجعفر ومن معه من المسلمين وظهور الإسلام فى القبائل،

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس ١ / ١٢٦ .   (٢) السيرة الحلبية ٢ / ٢٥، ٢٦ .

كبر ذلك عليهم، واشتد أذاهم على المسلمين، واجتمع رأيهم عن أن يقتلوا النبى ﷺ علانية.

فلما رأى أبو طالب ذلك جمع بنى هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم، وأمرهم أن يدخلوا برسول الله ﷺ الشعب ويمنعوه ففعلوا، فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيئاً واحداً، وانعزل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل.

فلما علمت قريش بذلك، أجمع رأيهم على أن يكتبوا عهوداً ومواثيق على أن لا يجالسوهم »[1] الحديث.

● **محاولة التخفيف**

كان أبو جهل - فيما يذكرون - لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله ﷺ ومن معه فى الشعب. فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟

والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة.

فجاء أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أسد، فقال: مالك وله ؟

فقال: يحمل الطعام إلى بنى هاشم .

فقال أبو البخترى: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه به فشجه، ووطئه وطأ شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم»[2].

وذكر أبو عبد الله محمد بن سعد بن هشام بن عمرو العامرى المذكور وقال: كان أوصل قريش لبنى هاشم حين حصروا فى الشعب أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاماً فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه حين أصبح فكلموه فى ذلك فقال: إنى غير عائد لشىء خالفكم، فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فأدخل عليهم ليلاً حملاً أو حملين فغالظته قريش وهمت به، فقال أبو سفيان بن حرب: دعوه، رجل وصل أهل رحمه أما إنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا »[3].

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٢٦ .   (٢) السيرة النبوية ٢ / ٥ .   (٣) عيون الأثر ١ / ١٢٨ .

• نقض الصحيفة

لقد استعملت قريش ضد المسلمين كل أسلحة المحاربة من التهزيء والرشوة والتلويح بالملك والمال وتفريق الصفوف والضرب والقتل والتآمر والمقاطعة، فقد عملوا منشوراً بالمقاطعة سموه الصحيفة، وعلقوه فى الكعبة، ومنعوا البيع والشراء والزواج معهم ومنهم؛ أى جعلوهم أنجاساً، حتى هاج ضمير بعض القرشيين وهم وثنيون، فكانت روابط القرابة والدم أقوى من الدين، ومنهم هشام بن عمرو، وزهير بن أمية، والمطعم بن عدى، وأبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، فاجتمعوا سراً وتآمروا على تمزيق صحيفة المقاطعة، واعترضوا أبا جهل وصارحوه فى شبه فتنة بوجوب تمزيق الصحيفة، فأدرك أبو جهل بفطنته أن الأمر متفق عليه، وأن مخالفتهم قد تثير شراً فأوجس خيفة وتراجع » [1].

• عوامل ساعدت على نقض الصحيفة

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، قال لأبى طالب: ياعم، إن ربى الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ،

قال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال: نعم

قال: فوالله ما يدخل عليك أحد.

ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ،وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخى.

فقال القوم: رضينا. فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا، فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا » [2].

وهكذا يتجلى لنا بوضوح مقدار ما عاناه وما قاساه الرسول ﷺ هو وبنى

---

(١) ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص ٦٧٢ . (٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩ .

هاشم وبنى المطلب مسلمهم وكافرهم. ويتجلى لنا بوضوح أيضاً عظمة الزوجة الوفية خديجة ذات المال والجاه والتى تعودت أن تجد ما تحتاج وأكثر فإذا بها لا تجد الضرورى مما يعين على استمرار الحياة ومع ذلك تقف إلى جانب النبى عليه الصلاة والسلام متحملة مشقة الفقر والجوع المفروضين من جانب القوم ولم تتبرم يوماً ولم تندم وإنما شدت من أزر النبى ﷺ وتحملت إلى جانبه كما تحمل عليه السلام .

● سؤال وجواب

ويبرز هذا السؤال المهم:

هل كان فى طاقة سيدة غير خديجة، غنية مترفة منعمة، أن تتخلى راضية عن كل ما ألفت من راحة ورخاء ونعمة لتقف إلى جانبه ﷺ فى أحلك أوقات المحنة، وتعينه على احتمال أفدح ألوان الأذى وصنوف الاضطهاد ، فى سبيل ما تؤمن بأنه حق؟

الجواب... كلا بل هى وحدها التى من الله تعالى عليها بأن ملأت حياة الرجل الموعود بالنبوة، وكانت أول الناس إسلاماً، كما بها أمن على رسوله ﷺ ملاذاً وسكناً ووزيراً » [1].

بل نقول أكثر من ذلك .. لقد كانت خديجة تملأ حياته ﷺ حية وميتة، وما جاوزت عائشة الحق حين قالت: « كأن لم يكن فى الدنيا امرأة سواها ».

وهل كان باستطاعة امرأة سواها أن تأسو جرحه القديم الغائر الذى تركه فى أعماقه موت أمه بين يديه؟ !! .

هل كان لأنثى غيرها أن تهيئ له الجو المسعف على التأمل، وأن تبذل له من نفسها - فى إيثار نادر - ما ساعده على تلقى رسالة السماء؟

هل كان لزوج عداها، أن تستقبل دعوته التاريخية من غار حراء بمثل ما استقبلته هى به من حنان مستثار، وعطف فياض، وإيمان راسخ دون أن يساورها فى صدقه أدنى ريب، أو يتخلى عنها يقينها فى أن الله غير مخزيه أبداً ؟! [2].

---

(١) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٢٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

• منزلة خديجة رضى الله عنها

لقد كانت لخديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها منزلة عظيمة عند الله تبارك وتعالى، وعند رسوله ﷺ ، وعند الناس. فقد ثبت أن الأمين جبريل عليه السـلام نزل على النبى ﷺ وأخبره أن الحق تبارك وتعالى يقرئ خديجة السلام وكذا الأمين جبريل، ويبشرها ربها سبحانه وتعالى ببيت فى الجنة من قصب.

قال جمهور الفقهاء [١]: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.

وقيل: قصر من ذهب منظوم بالجوهر.

قال أهل اللغة :القصب من الجوهر ما استطال منه تجويف.

قالوا: ويقال لكل مجوف قصب، وقد جاء فى الحديث مفسراً ببيت من لؤلؤة محياة، وفسروه بمجوفة .

قال الخطابى: المراد بالبيت هنا القصر. إلى جانب أنه يتمتع بهدوء عظيم فلا يرتفع فيه صوت، ولا تعب فيه ولا مشقة .

روى الإمام مسلم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب وابن نميرة. قالوا: حدثنا ابن فضيل عن عمارة، عن أبى زرعة. قال: سمعت أبا هريرة قال: أتى جبريل النبى ﷺ ، قال: يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتتك، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » [٢].

وروى أيضاً حدثنا أبو كريب، محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، حدثنا هشام، عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة. ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين، لما كنت اسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة.. وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها » [٣].

• حب النبى لها وثناؤه عليها

كان النبى ﷺ شديد الحب لخديجة رضوان الله عليها، فذات يوم جاءت أختها

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٨٨٧ . (٢) رواه الإمام مسلم باب فضائل خديجة أم المؤمنين.

(٣) رواه الإمام مسلم باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

هالة وكانت شبيهة الصوت بأختها السيدة خديجة، فلما سمع النبى ﷺ صوت هالة هتف قائلاً : «اللهم هالة».

روى الإمام مسلم عن عائشة قالت: أستأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك. فقال:«اللهم هالة بنت خويلد» فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين [1]، هلكت فى الدهر، فأبدلك الله خيراً منها» [2].

وقد كان النبى ﷺ دائم الثناء على أم المؤمنين خديجة رضوان الله تبارك وتعالى عليها [3]: فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى وأحسن الثناء عليها، قالت: فغرت يوماً وقلت: وما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها.

فقال: «ما أبدلنى الله خيراً منها، قد آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى أولادها إذ حرمنى أولاد النساء».

وعنها رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكرت خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها، فذكرها ذات يوم، فاحتملتنى الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن،.

قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً، وسقطت فى جلدى [4]، وقلت: اللهم إن أذهبت غيظ رسولك لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت.

قالت: فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقيت، قال: كيف قلت والله لقد آمنت إذ كفر بى الناس، وآوتنى إذ رفضنى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، ورزقت منى الولد حيث حرمتموه، قالت فعذر وراح على بها شهراً » [5].

وليس بعجيب أن يحب النبى ﷺ خديجة هذا الحب فقد كانت الزوجة الوفية المخلصة ويكفى أنها أول من آمن بالله وصدق برسوله،

---

(١) حمراء الشدقين: معناه عجوز كبيرة جداً، حتى سقطت أسنانها من الكبر، ولم يبق شى من الأسنان، إنما بقى فيهما حمرة لثاتها.

(٢) رواه مسلم باب فضائل خديجة أم المؤمنين . (٣) السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ٢٨ .

(٤) سقطت فى جلدى: أى ندمت. (٥) السمط الثمين ص ٢٩ .

قال ابن إسحاق: كانت خديجة أول من آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء من عند الله عـز وجل وآزرته - ﷺ - على أمره فخفف الله بذلك عن رسوله، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه، من رد عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه، وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رضى الله عنها »[1].

وكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها. ولا غرابة فهى أول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه، وقد رزق منها بأولاده كلهم ماعدا إبراهيم، فمنها زينب وهى أكبر بناته، تزوجها فى الجاهلية أبو العاص بن الربيع، وأعقب منها أمامة التى تزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة، ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان، الأولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها إلى الحبشة، والثانية بالمدينة بعد أن ماتت أختها، ومنها فاطمة وهى أصغر بناته تزوجها على بن أبى طالب، وقد جاءت خديجة بأولاد توفوا صغاراً، ولم يعش بعد رسول الله من أولاده إلا فاطمة التى عاشت بعده قليلاً.

وأنجب ﷺ منها القاسم وكان به يكنى وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر ».

لقد كانت رضى الله عنها رفيقه دربه وعاشت المحنة كلها، فكانت بلسماً لجراحه ومضت فى التاريخ أول من آمن به فى الأرض.

ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله، ومحاجزة الكفار عنه لما لها من الجاه فى عشيرتها بنى أسد.

وماتت هى وأبو طالب فى عام واحد.

- **ربيب رسول الله**

كان هند بن هند ربيب رسول الله ﷺ يفتخر بأنه ربيب للحبيب المصطفى ﷺ، قال ابن قتيبة وأبو سعد وأبو عمر: وعاش هند بن هند ربيب رسول الله ﷺ مسلماً إلى أن قتل مع سيدنا على رضى الله عنه يوم الجمل، قاله الزبير بن بكار.

وقيل مات بالبصرة فى الطاعون فازدحم الناس على جنازته وتركوا جنائزهم وقالوا: ربيب رسول الله ﷺ. وكان فصيحاً بليغاً وصافاً، وصف رسول الله ﷺ فأحسن وأتقن. وكان يقول: أنا أكرم الناس أباً وأماً وأخاً وأختاً. أبى رسول الله ﷺ. وأمى خديجة رضى الله عنها، وأخى القاسم عليه السلام وأختى فاطمة عليها السلام[2].

---

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس ١ / ٩١

(٢) فقد كان النبى زوجاً لأمه خديجة ،السمط الثمين ص ٣٣ .

● عـــام الحزن « وفاة خديجة وأبى طالب»

بعد أن تهاوى الحصار الذى فرضته قريش على بنى هاشم وبنى المطلب أمام الإيمان الصادق والمجاهدة الباسلة، وعاد النبى ﷺ إلى بيته فى جوار الحرم المكى مع زوجته المؤمنة التقية النقية الصابرة السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها التى بذلت له فى المحنة ما شاء الله لها أن تبذل وما أبقى لها الزمن من طاقة فى عامها الخامس والستين. مات أبو طالب عم النبى ﷺ الذى كان للنبى بمثابة الأب والصديق والكافل والحامى والمدافع عنه أمام طواغيت قريش.

وبعد وفاة أبى طالب بثلاثة أيام تقريباً أسلمت خديجة الروح والنبى ﷺ إلى جانبها يمرضها ويتفانى فى خدمتها فكم تفانت رضى الله عنها فى خدمته عليه الصلاة والسلام، فقد كانت له سكناً وأنساً وملاذاً إلى أن رجعت نفسها المطمئنة إلى ربها راضية مرضية، ودفنها ﷺ بالحجون، وكانت وفاتها رضى الله عنها، قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح »[1].

فقد بقيت معه ربع قرن تحنو عليه ساعة قلقه، وتؤازره فى أحرج أوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه فى مغارم الجهاد، وتواسيه بنفسها ومالها، يقول ﷺ عنها: آمنت بى حيث كفر بى الناس. وصدقتنى من حيث كذبنى الناس. واشركتنى فى مالها حين حرمنى الناس . ورزقنى الله ولدها، وحرمت ولد غيرها ».

وبعد وفاة خديجة رضى الله عنها تتابعت المصائب على رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق: فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام»[2].

وبلغت متاعبه ﷺ أقصى مداها فى عام موت خديجة الذى سمى عام الحزن وخيل إلى أعدائه أن الظلمات تكاثفت حوله فما عاد يبدو على الأفق شعاع من ضياء، وكذبتهم أمانيهم فظنوا أن الظفر به جد قريب، ومادروا أن الظلمة تبلغ ذروتها قبل الفجر.

ذلك أن خديجة لم تمض إلا وأمين الوحى جبريل عليه السلام يرعى النبى ﷺ غادياً رائحاً، يذود عنه اليأس ويخبره بما هو فى حاجة إلى معرفته، والسابقون الأولون من المؤمنين يحيطون به عليه الصلاة والسلام مستبسلين يفتدونه بالمهج والأرواح، ويرون الاستشهاد فى سبيل دعوته مجداً وانتصاراً.

(١) عيون الأثر ١ / ١٣٠ ، والإصابة ٨ / ٦٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ٢ / ٢٢٩ .

ولم تمت خديجة إلا والدعوة قد ذاعت وجاوزت مكة إلى أطراف الحجاز، ثم إلى مـا وراءها من بلاد العرب، وحملها فئة من صحابته عبر البيد والبحار إلى الحبشة مهاجرين بدينهم، متخلين عن ديارهم وأهليهم عارضين على الدنيا مشهداً رائعاً فريداً من مشاهد الإيمان الباذل الصابر، مالئين الأسماع والقلوب بحديث مثير عن شرف الجهاد ومجد التضحية وبطولة الاستشهاد.

لم تمت خديجة إلا وفى الموسم بمكة رجال من يثرب لن يلبثوا أن يبايعوا الرسول ﷺ ويعودوا فيعبئوا المدينة كلها لنصرته، وأقصى أمانيهم أن يخوض بهم المعركة المقدسة، ليظفروا بإحدى الحسنيين، النصر على أعداء الله، أو الاستشهاد فى سبيله »[1].

وأخيراً..فقد فجع رسول الله ﷺ بوفاة زجته السيدة خديجة رضوان الله تعالى عليها فى شهر رمضان من السنة العاشرة لبعثته ﷺ ولها خمس وستون، ورسول الله ﷺ فى الخمسين من عمره، .

لقد كانت رضى الله عنها من نعم الله تبارك وتعالى على رسول الله ﷺ.

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رحمة واسعة.

(١) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٢٣١، ٢٣٢ بتصرف.

[٢] أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها

• المرحلة الثالثة

وهذه المرحلة تبدأ من الخمسين من عمره (ﷺ)حتى الخامسة والخمسين :

في هذه المرحلة كان الزواج بعائشة وسودة رضوان الله عليهما. وقد جاوز رسول الله ﷺ الخمسين. ولما ماتت خديجة حزن عليها النبي ﷺ حزناً شديداً. فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهد فقال: يا رسول الله هذه تذهب بعض حزنك،وأن في هذه خلفاً من خديجة»[١].

وقد حدث رسول الله ﷺ عائشة بذلك فقالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام مرتين ،أتيت بك في سرقة من حرير فأكشفها. فإذا أنت .

قال فيقال: هذه امرأتك. قال.فأقول: إن كان هذا من عند الله يمضه»[٢].

• من هي أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة ؟

هي : سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية.

وسودة علم منقول من صفة دالة على المدح، وهو السفح المستقيم، وأطلق عليها ذلك تفاؤلاً أن تكون بعد كبرها بهذه الصفة.

وكانت رضي الله عنها طويلة جسيمة.

وأمها : الشموس بنت قيس بن عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن عدي بن النجار من الأنصار [٣].

ويجتمع نسبها مع النبي ﷺ في لؤي بن غالب.

• زواجها قبل النبي

تزوجت السيدة «سودة بنت زمعة» قبل النبي ﷺ من ابن عمها « السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود القرشي العامري، وهاجر بها إلى الحبشة.

وكان ممن خرج ثمانية من بني عامر تاركين أموالهم وديارهم في سبيل الله، لينجوا بدينهم من مطاردة الكفار والمشركين. من هؤلاء النفر الثمانية :

مالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس العامري «أخو سودة».

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٧٨ .

(٢) فقه السيرة النبوية – منير محمد غضبان – ص٦٥٢، ٦٥٣ .والحديث رواه البخاري.

(٣) الإصابة ٧/ ٧٢٠ .

السكران بن عمرو بن عبد شمس.

عبد الله بن سهيل بن عمرو « ابن أخيه».

وصحب ثلاثة من الثمانية زوجاتهم ، وكلهن عامريات :

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس،

أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس،

عمرة بنت الواقدان بن عبد شمس.

وهكذا خرجت الأسرة المؤمنة برجالها ونسائها من دارها ووطنها، راضية بما هو أقسى من الموت، في سبيل الله . وقبل أن تثوب سودة بنت زمعة من غربتها وتهبط أم القرى فاضت روح زوجها « السكران بن عمرو» ولم يمهله الموت ريثما يعود كيما يدفن في ثرى مكة مرقد من مضوا من الأهل والخلان [1].

● **رؤيا مبشرة**

روى عن ابن عباس أنها رأت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطئ عنقها. فأخبرت زوجها بذلك، فقال: إن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك.

ثم رأت في المنام ليلة أخرى أن قمراً انقض عليها وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها، فقال: لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيراً حتى أموت وتتزوجين من بعدي.

فاشتكى السكران من يومه ذلك ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات [2].

● **اختيار سودة للزواج بالنبي وزواجه منها**

لقد حزن النبي ﷺ على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بعد وفاتها حزناً شديداً، فقد كانت له نعم الزوج، آمنت به إذ كفر الناس وآوته إذ رفضه الناس، وصدقته إذ كذبه الناس، ورزقه الله تعالى منها الولد.

وظل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يرقبون حزن رسول الله ﷺ فيشفقون عليه ويودون أن يتزوج، لعل في الزواج ما يخفف عنه حزنه، ويؤنس وحدته.

لم يجرؤ أحد على مفاتحته ﷺ في هذا الأمر إشفاقاً عليه، إلى أن سعت إليه خولة بنت حكيم، واستخدمت كل ذكائها في أن تحدثه في هذا الموضوع بلطف وأدب ترفقاً بحاله عليه السلام،

---

(١) نساء النبي د. عائشة عبد الرحمن ص ٢٤٤،٢٤٥ بتصرف.

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ١٩٤/٦ .

وعن هذا تروى السيدة عائشة قالت: لما توفيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأقوص، امرأة عثمان بن مظعون، وذلك بمكة:

أى رسول الله ، ألا تزوج؟ فقال: ومن ؟

فقالت : إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً.

قال: فمن البكر؟

قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبى بكر.

قال: ومن الثيب؟

قالت: سودة بنت زمعة بن قيس، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه.

قال: فاذهبى فاذكريهما على.

فجاءت فدخلت بيت أبى بكر، فوجدت أم رومان، أم عائشة.

فقالت: أى أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة !!.

قالت : ما ذاك ؟

قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة .

قالت: وددت ! انتظرى أبا بكر، فإنه آت.

فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة! أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة .

قال: هل تصلح له؟ إنما هى ابنة أخيه!

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت له ذلك ، فقال: ارجعى إليه، فقولى له: أنت أخى فى الإسلام. وأنا أخوك وابنتك تصلح لى ؟

فأتت أبا بكر، فذكرت له ذلك. فقال: انتظرينى حتى أرجع .

فقالت أم رومان: إن المطعم بن عدى كان قد ذكرها على ابنه، ولا والله ما وعد - أبو بكر - شيئاً قط فأخلف.

فدخل أبو بكر على مطعم. وعنده امرأته أم ابنه الذى كان ذكرها عليه.

فقالت العجوز: يا ابن أبى قحافة، لعلنا إن زوجنا ابننا ابنتك أن تصبئه [1] وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ! .

(١) تصبئه : أى ترده عن دينه .

فأقبل على زوجها المطعم. فقال: ما تقول هذه ؟

فقال: إنها تقول ذاك.

قال: فخرج أبو بكر، وقد أذهب الله العدة التى كانت فى نفسه من عدته التى وعدها إياه، وقال لخولة: ادعِ لى رسول الله.

فدعته، فجاء فأنكحه، وهى يومئذ ابنة ست سنين.

قالت: ثم خرجت فدخلت على سودة، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلنى رسول الله يخطبك عليه.

قالت: فقالت: وددت! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك .

قالت: وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه، فحييته بتحية أهل الجاهلية، ثم قلت: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلنى أخطب عليه سودة.

قال: كفء كريم، فما تقول صاحبته؟

قالت : تحب ذلك. قال : ادعيها لى .

فدعيت له فقال: أى سودة، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك، وهو كفء كريم، أفتحبين أن أزوجكه؟

قالت: نعم.

قال: فادعيه لى . فدعته فجاء ، فزوجه.

فجاء أخوها من الحج، عبد بن زمعة، فجعل يحثى فى رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: إنى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله سودة بنت زمعة»[1].

● **رأى آخر**

هناك رأى آخر بأن الذى زوجها النبى ﷺ ليس أبوها وإنما هو: حاطب بن عمرو ابن عبد شمس، ففى الطبقات الكبرى لابن سعد [2]. قدم السكران بن عمرو مكة من أرض الحبشة ومعه امرأته سودة بنت زمعة، فتوفى عنها بمكة [3]، فلما حلت أرسل إليها رسول الله ﷺ فخطبها، فقالت أمرى إليك يا رسول الله.

(١) تاريخ الطبرى ٣ / ١٦٢، ١٦٣ . (٢) ٨ / ٣٦ .

(٣) فى موت السكران بن عمرو روايتان: أنه مات عن سودة بأرض الحبشة مهاجراً.

وقيل عاد بها إلى مكة فما لبث أن مات قبل الهجرة إلى المدينة كما فى طبقات ابن سعد.

فقال رسول الله ﷺ : مرى رجلاً من قومك يزوجك، فأمرت حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود فزوجها، فكانت أول امرأة تزجها رسول الله ﷺ بعد خديجة».

وفى الطبقات الكبرى [1] : جاءت خولة بنت حكيم بن الأقوص السلمية امرأة عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ، فقالت : يا رسول الله كأنى أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة.

قال: أجل، كانت أم العيال، وربة البيت.

قالت: أفلا أخطب عليك؟

قال: بلى، فإنكن معشر النساء أرفق بذلك.

فخطبت عليه سودة بنت زمعة من بنى عامر بن لؤى.

وخطبت عليه عائشة بنت أبى بكر فتزوجهما».

● **طيبتها وخفة روحها**

تزوج النبى ﷺ سودة وظلت الزوجة الوحيدة فى حياته بعد خديجة مدة تقوم على بيت النبى ﷺ إلى أن بنى ﷺ بعائشة، ثم تزوج الباقيات كما سيأتى.

وكانت سودة رضى الله عنها ثقيلة بطيئة فارعة الطول، وكانت تعرف أنها بطيئة ثقيلة ولذا استأذنت النبى ﷺ ليلة المزدلفة فى حجة الوداع أن تدفع قبله وقبل حطمة الناس، فأذن لها، فخرجت قبل دفعة الناس، وكانت تقول لا أحج بعدها أبداً.

عن عائشة أنها قالت: استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع قبله وقبل حطمة الناس، وكانت امرأة ثبطة - والثبطة الثقيلة -

قالت فأذن لها فخرجت قبل دفعة الناس، وحبسنا حتى أصبحنا فدفعنا بدفعه، ولأن أكون استأذنت رسول الله كما استأذنته سودة. فأكون أدفع بإذنه قبل الناس أحب إلى من مفروح به .

وعنها أيضاً قالت: وددت أنى كنت استأذنت رسول الله ﷺ، كما استأذنته سودة، فأصلى الصبح بمنى قبل أن يجىء الناس.

فقالوا لعائشة : استأذنته سودة؟

فقالت: نعم، إنها كانت امرأة ثقيلة ثبطه فأذن لها [2].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٣٩ . (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٣٨ .

ورغم أنها كانت امرأة ثبطة ثقيله -كما روى - فقد كانت تتمتع بخفة روح - كانت تضحك النبى ﷺ وكان يسعدها أن تراه يضحك من خفة روحها، أو استملاحاً لعبارة من عباراتها، قالت له مرة: صليت خلفك الليلة يا رسول الله، فركعت بى حتى أمسكت بأنفى مخافة أن يقطر الدم» [1].

وكانت السيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها طيبة إلى حد كبير، فقد روى ابن إسحاق: قُدمِ بأسرى بدر، وسودة بنت زمعة زوج النبى ﷺ عند آل عفراء، فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء، وذلك قبل أن يضرب على أمهات المؤمنين الحجاب.

قال: «تقول سودة: والله إنى لعندهم إذ قيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم فرجعت إلى بيتى ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد، سهيل بن عمرو - أخو السكران بن عمرو- فى ناحية الحجرة، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلا والله ما ملكت نفسى، حين رأيت أبا يزيد كذلك، أن قلت: أى أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراما؟

فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: « يا سودة، أعلى الله ورسوله تحرضين؟ ».

قالت: يا رسول الله والذى بعثك بالحق ، ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت » [2].

• طلاقها

أكثر الروايات على أن سودة خافت أن يطلقها النبى ﷺ لكبر سنها، ففى الصحيحين عن عائشة قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة.

أخرج الترمذى بسند حسن، وأبو داود والحاكم وصححه أن سودة خشيت أن يطلقها النبى ﷺ فقالت: لا تطلقنى وأمسكنى، واجعل يومى لعائشة. ففعل.

وفى شأنها نزل قول الله تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [4].

---

(١) الإصابة ٨ / ٧٥١ .

(٢) فقه السيرة النبوية - منير محمد غضبان ص ٦٥٥ .

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٨٦٧ .

(٤) سورة النساء الآية ١٢٨ .

وجـــاءت الرواية أنهـا قـالت له: مـا بى على الأزواج من حرص، ولا أريد ما تريد النسـاء، ولكنى أحب أن يبعثنى اللـه يـوم القيـامة فـى أزواجك.

فحقق النبى ﷺ - مطلبها - وأمسكها عنده حتى توفى، وجعل نوبتها لعائشة .

والذى يدقق يجد أن أم المؤمنين السيدة سودة ذات نظر بعيد؛ فإن المصير النهائى لأزواج النـبى - ﷺ - الجنة، وليس هناك أسـمى من هذا المقصد، كما أن الانتـساب إلى النبى ﷺ شرف لا يعدله شرف، فهو يرفع الوضيع، ويعز الذليل، وبعض أزواج الرســول ﷺ من عامة الناس، لكن زواجهن به رفع قدرهن، وقد لفت القرآن نظرهن إلى ذلك فى حادث التخيير فقال ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ .

وفى كتب الأدب أن كسـرى أنو شروان اصطنع رجلاً . فقـيل له: إنه لا قديم له: أى ليس له أصل أو ماض عريق يؤهله لهذا الشرف.

فقال: اصطفاؤنا إياه شرفه .

لكن بعض الروايات روت ما يفيد أن النبى ﷺ بعث إليها بالطلاق، ثم رجته أن يراجعـها فراجعـها. بمعنى أنها ليست هى التى خشيت أن يطلقـها فعرضت عليه تنازلها عن نوبتـها، ولكن النبى هو الذى بدأ بطلاقـها لكبر سنهـا. فقد أخرج ابن حجر [١] حدثنا القاسم بن أبى بزة قال: بعث النبى ﷺ إلى سودة بنت زمعة بطلاقها... فلما أن أتاها جلست له على طريق عائشة. فلما رأته قالت له: أنشدك بالذى أنزل عليك كلامه، واصطفاك على خلقه لما راجعتنى، فإنى قد كبرت ولا حاجة لى فى الرجال، لكنى أريد أن أبعث مع نسائك يوم القيامة.

فراجعها - ﷺ -.

فقالت: فإننى جعلت يومى وليلتى لحبة رسول الله ، وهذا غريب مرسل . أهـ.

وجاء فى هامش المحقق : أخرجه ابن سعد والقاسم بن أبى بزة لم يدرك القصة، فألحـد [٢].

---

(١) المطالب العالية ٤ / ١٣٢ .

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ١٩٧، ١٩٨ .

● إيثـــار

انفردت السيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها من بين نساء النبى ﷺ بأنها الزوجة الوحيدة التى تبرعت بليلتها لعائشة رضى الله عنهما فقد كان النبى ﷺ يعطف على سودة ويبرها.

أما تمكن حبها من قلبه فلم يكن مثل الباقيات إلى جانب كبر سنها، وعدم حاجتها إلى الرجال، فلما أراد النبى ﷺ أن يطلقها بعث إليها بطلاقها.

فلما أتاها جلست على طريقه ببيت عائشة، فلما رأته قالت: أنشدك بالذى أنزل عليك كتابه واصطفاك على خلقه لم طلقتنى، ألموجدة وجدتها فى ؟

قال: لا.

قالت: فإنى أنشدك بمثل الأولى أما راجعتنى، وقد كبرت ولا حاجة لى فى الرجال، ولكنى أحب أن أبعث فى نسائك يوم القيامة.

قالت: فإنى قد جعلت يومى وليلتى لعائشة حبة رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن حميد العبدى، حدثنا معمر قال: بلغنى أن النبى ﷺ كان أراد فراق سودة فكلمته فى ذلك، فقالت : يا رسول الله، ما بى على الأزواج حرص، ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك » [١].

● خلقها

كانت سودة بنت زمعة ذات أخلاق حميدة. فقد قالت عائشة أم المؤمنين ما من الناس أحب إلى من أن أكون فى مسلاخه من سودة بنت زمعة إلا أن بها حدة.

وفى رواية إلا أنها امرأة فيها حسد » [٢].

وكانت رضى الله عنها تحب الصدقة، فقد بعث عمر بن الخطاب إليها بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذا ؟

قالوا: دراهم.

قالت: فى الغرارة مثل التمر، يا جارية بلغينى القنع ففرقتها » [٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٣٦، ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ٨ / ٣٧ .

(٣) أعلام النساء ٢ / ٢٦٨ .

• شدة التزامها

وفى السيدة سودة رضى الله عنها نزلت آية الحجاب، وذلك أن أزواج النبى ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، فكان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - يقول للنبى ﷺ احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة ليلة من الليالى عشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: الآن قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب[1] .

• رواية ثانية

لقد كانت السيدة سودة رضى الله عنها ملتزمة منفذة لقول الله ورسوله، فعن عائشة قالت: خرجت سودة بعدما ضرب عليها الحجاب لتقضى حاجتها وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء [2] جسماً لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة ، والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين،

قالت: فأنكفأت راجعة ورسول الله ﷺ فى بيتى وإنه ليتعشى وفى يده عرق [3]، فدخلت، فقالت: يا رسول الله إنى خرجت فقال لى عمر كذا وكذا،

قالت: فأوحى إليه ثم رفع عنه وإن العرق فى يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن» [4].

ولما نزل قوله تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [5]، من وقر يقر : أى ثقل واستقر، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً، إنما هى إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن، وهو المقر وما عداه استثناءاً طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقرون إنما هى الحاجة تقضى بقدرها » [6].

كانت سودة رضى الله عنها لا تحج ولا تعتمر، فقيل لها، لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل إخوانك؟

فقالت : حججت واعتمرت وأمرنى الله أن أقر فى بيتى.

---

(١) أعلام النساء ٢ / ٢٦٨ .
(٢) تفرع النساء: تطولهن لتكون أطول منهن .
(٣) عرق: بفتح العين وإسكان الراء، العظم الذى عليه بقية لحم .
(٤) رواه مسلم باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان
(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .
(٦) فى ظلال القرآن ٥ / ٢٨٥٩ .

قال الراوى : فوالله ما خرجت من حجرتها حتى أخرجت جنازتها »[1].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر.

قال: فكان كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، فكانتا تقولان فى ذلك: لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ[2].

• وفاتها

عاشت السيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها فى بيت النبى ﷺ إلى أن لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى، وقد عمرت رضوان الله عليها إلى أن توفيت فى آخر زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

ويقال : ماتت سنة أربع وخمسين ورجحه الواقدى »[3].

لكن المشهور أنها توفيت فى عهد عمر بن الخطاب وبه جزم الذهبى وابن سيد الناس.

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين سودة بنت زمعة رحمة واسعة.

---

(١) تفسير القرطبى ١٤/ ١٨٠ .

(٢) أخرجه أحمد

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ٨/ ٧٢١ .

[٢] أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها

● **المرحلة الرابعة:** وهذه المرحلة تبدأ من الخامسة والخمسين حتى الستين :

وقد بنى الرسول ﷺ بالسيدة عائشة وبقية نسائه فى هذه المرحلة .

ونبدأ بعون الله تعالى فنقول :

● **من هى أم المؤمنين السيدة عائشة؟**

هى : عائشة ، ويقال فى اسمها أيضاً : عايشة وعيشة. وتكنى أم عبد الله

أبوها: هو أبو بكر ، واسمه : عبد الله، ولقبه : الصديق.

وجدها: هو أبو قحافة، واسمه عثمان.

فيكون اسمها: عائشة بنت عبد الله «أبى بكر الصديق» بن عثمان «أبى قحافة» بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التيمى»[١].

أمها : هى أم رومان، واسمها زينب، وقيل: دعد، بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس، وقيل: إنها بنت عبد الله بن دهمان أحد بنى فراس.

والمتفق عليه أنها من بنى غنم بن مالك بن كنانة [٢].

من الصحابيات الجليلات، كانت قد تزوجت فى الجاهلية من عبد الله بن الحارث الأسدى فولدت له الطفيل، ثم توفى عنها مخلفا عليها أبا بكر فولدت له عائشة وعبد الرحمن، أسلمت أم رومان وبايعت النبى ﷺ ، وهاجرت إلى المدينة بعد أن استقر مقام الرسول وصاحبه بها.

ماتت بعد النبى ﷺ ، وقيل: ماتت فى حياته ﷺ- بعد حادث الإفك - ونزل ﷺ قبرها، واستغفر لها وقال : «اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفى رسوله» .

وروى ابن سعد والبخارى وغيرهما أنها لما دليت فى قبرها قال النبى ﷺ: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان».

وقد عرف قوم عائشة، بنو تيم، بالكرم والشجاعة والأمانة وسداد الرأى ، كما كانوا مضرب المثل فى البر بنسائهم والترفق بهن وحسن معاملتهن.

---

(١) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة ٤ / ١٦٨ ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٣ / ٣٠٩ وموسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦ / ١٩٨ .

(٢) وفى الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٣٩ أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم ابن مالك بن كنانة.

ثم كان لأبيها إلى جانب هذا الميراث الطيب شهرة ذائعة فى دماثة الخلق وحسن العشرة، ولين الجانب، وأجمع مؤرخو الإسلام على أنه كان أنسب قريش لقريش، وأعلم الناس بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق معروف، يأتيه رجال قومه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وخبرته وحسن مجالسته» [١].

يضاف إلى هذا كله شرف أسمى هو شرف سبقه للإسلام وتصديقه بالنبى محمد ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبى بكر بن قحافة، ما عكم - أى ما تلبث - حين ذكرته له وما تردد فيه».

وقال ﷺ: «إن من أَمَنِّ الناس على فى صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته [٢]» الحديث.

- **عائشة قبل زواج النبى بها**

قبل زواج النبى بعائشة كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدى فخطبها النبى ﷺ

أ -لأنه لم يكن يعلم أنها مخطوبة لغيره.

ب - لأن تحريم الخطبة على خطبة الغير لم يكن قد شرع إذ ذاك.

- **كنيتها**

كانت تكنى : أم عبد الله، روى ابن الأعرابى فى المعجم الحديث مرفوعاً أنها أسقطت جنيناً من رسول الله ﷺ، فسمى عبد الله، فكانت تكنى به، وهذا الحديث يدور على داود ابن المحبر،وهو ضعيف، وأصح منه حديث أبى داود أن رسول الله ﷺ قال لها : تكنى بابن أختك عبد الله بن الزبير، ويروى بابنك عبد الله بن الزبير؛ لأنها كان قد استوهبته من أبويه، فكان فى حجرها يدعوها أما، ذكره ابن إسحق وغيره [٣].

- **بعد وفاة خديجة**

لما توفيت خديجة أم المؤمنين حزن عليها رسول الله ﷺ حزناً شديداً حتى خُشِىَ عليه، ولما خفت وطأة الحزن عليه شرع يختلف إلى بيت أبى بكر الصديق ويقول: يا أم رمان استوصى بابنتك عائشة خيراً واحفظينى فيها.

---

(١) نساء النبى د. بنت الشاطئ ص ٢٤٥.

(٢) انظر مناقب أبى بكر فى صحيح البخارى.

(٣) الروض الأنف ٤ / ٢٦٧.

فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها، فأتاهم رسول الله ﷺ ذات يوم في بعض ما كان يأتيهم وكان لا يخطئه يوماً واحداً أن يأتي إلى بيت أبي بكر منذ أسلم أبو بكر إلى أن هاجر، فوجد عائشة مستترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاء حزيناً، فسألها فشكت أمها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ودخل على أم رومان فقال: يا أم رومان ألم أوصك بعائشة أن تحفظيني فيها؟

فقالت: يا رسول الله، بلغت الصديق عني وأغضبته علينا.

فقال النبي ﷺ: وإن فعلت.

قالت أم رومان: لا جرم لا أسوءنها أبداً »[1].

وهذا يفسر لنا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: « أريتك في المنام مرتين: أرى أنك في سرقة [2] من حرير، ويقول: هذه امرأتك فأكشف، فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه »[3].

ثم حدث أن جاءته إلى بيته امرأة مسلمة بعد وفاة خديجة، وقالت له: يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك الأحزان لفقد خديجة أأخطب لك؟

ثم ذكرتني له، فعجب الرسول ﷺ من قولها؛ إذ وافق ذلك ما رآه في منامه، فكان أن خطبني من أبي وأنا في مكة، وتزوجني بعد ذلك في أول أعوام الهجرة »[4].

- **خطبة النبي لعائشة**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ ،قالت: يا رسول الله ألا تزوج؟

قال: ومن؟

قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً.

فقال: من البكر ومن الثيب؟

قالت: أما البكر فابنة أحب الخلق إليك، عائشة بنت أبي بكر، وأما الثيب فسودة بنت زمعة، وقد آمنت بك واتبعتك.

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٥٤، وأعلام النساء عمر رضا كحالة ٣/ ٩.

(٢) أي قطعة.　　(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري المطبعة السلفية ٧/ ٢٢٤.

(٤) سيرة النبي العربي أحمد التاجي ١/ ٤٠٦

قال: فاذكريهما على.

قالت: فأتيت أم رومان؛ فقلت: يا أم رومان.وماذا أدخل الله عليكم من الخير.

قالت: وما ذلك؟

قالت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة .

قالت: انتظرى ، فإن أبا بكر آت.

قالت: فجاء أبو بكر فذكرت ذلك .

فقال: أو تصلح له وهى ابنة أخيه؟

فقال رسول الله ﷺ: « أما أنا أخوه وهو أخى وابنته تصلح لى ».

قالت: وقام أبو بكر، فقالت أم رومان: إن المطعم بن عدى ذكرها على ابنه، والله ما أخلف وعداً قط: يعنى أبا بكر.

قالت: وأتى أبو بكر المطعم فقال: ما تقول فى أمر هذه الجارية؟

فأقبل على امرأته فقال: ما تقولين؟

قالت: فأقبلت على أبى بكر فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الصبى إليك تصبئه وتدخله فى دينك والذى أنت عليه.

فقال أبو بكر وأقبل: ما تقول أنت؟

فقال: إنها لتقول ما تسمع.

فقام أبو بكر رضى الله عنه ليس فى نفسه من الوعد شىء.

فقال لها أبو بكر: قولى لرسول الله ﷺ ، فليأت.

قالت : فجاء رسول الله ﷺ فملكها »[١].

وقد روى أحمد والطبرانى بإسناد حسن عن عائشة قالت: « لما توفيت خديجة، قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون : يا رسول الله ألا تزوج؟

قال : نعم ، فما عندك ؟

قالت: بكر وثيب، البكر بنت أحب خلق الله إليك عائشة، والثيب سودة بنت زمعة.

(١) السمط الثمين ص ٣٦- .

قال: فاذهبى فاذكريهما على .

فدخلت على أبى بكر ، فقال: إنما هى بنت أخيه .

قال: قولى له أنت أخى فى الإسلام ، وابنتك تصلح لى، فجاء، فأنكحه.

ثم دخلت على سودة فقالت لها: أخبرى أبى، فذكرت له . فزوجه

وذكر ابن إسحاق وغيره أنه دخل على سودة بمكة [1].

• عقد النبى عليها

عـقـد النبى ﷺ عليها فى شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكـانت سنهـا ست سنوات، كـمـا رواه البـخـارى، وفى رواية مـسـلم: سبع.ودفع صداقـهـا خـمـسـمـائة درهم. ففى صحيح مسلم أن صـداق النبى ﷺ لأزواجه كان خـمـسـمـائة درهم. وقـيل: دفع أربعـمـائة درهم. وقـيل: إن الذى دفع الصـداق هو أبو بكر، وكـان اثنتى عـشرة أوقـيـة ونشا ودخل بهـا فى المدينة فى شهر شوال بعد سبعـة أشهر من مقدمه إليـها، أى فى السنة الأولى من الهجرة، وكانت سنها تسع سنوات إذ ذاك كما ثبت فى الصحيحين، وقيل: كان دخوله بها فى السنة الثـانيـة من الهـجرة، بعد ثمـانيـة عـشر شهـراً من مـقـدمـه إلى المدينة،وهو قول ضعيف [2].

• بناء النبى بعائشة

عن عائشة ،قالت: « لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر خلفنا بمكة، فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة، وأبا رافع، وبعث أبو بكر عبد الله بن أريقط، وكتب إلى عبد الله بن أبى بكر أن يحمل معه أم رومان، وأم أبى بكر، وأنا وأختى أسماء، فخرج بنا، وخرج زيد وأبو رافع بفـاطمـة وأم كلثوم وسـودة بنت زمعـة، وأخذ زيد امرأته أم أيمن وولديهـا أيمن وأسـامـة، واصطحبنا، حتى قـدمنا المدينة فنزلت فى عيـال أبى بكر، ونزل آل النبى ﷺ عنده، وهو يومئذ يبنى المسجد وبيوته، فأدخل سودة بنت زمعة أحد تلك البيوت، وكـان يكـون عندها، فقال له أبو بكر: ما يمنعك أن تبنى بأهلك فبنى بنى ... » [3] الحديث.

---

(١) فتح البارى ٧/ ٢٢٥ .

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦/ ٢٠٠ .

(٣) فتح البارى ٧/ ٢٢٥ .

وكان زواج عائشة بعد سبعة أشهر من إقامة الرسول ﷺ بالمدينة، وحين تم بناء مسكنه الذى حول المسجد.

قالت عائشة : لما جئنا المدينة أنزلنا أبى فى بيت رجل من الأنصار، فأقمنا فيه شهراً، وبينا كنت فى يوم ألعب مع بنات الأنصار إذ أقبل الرسول ﷺ على بيتنا، وحوله رجال من المهاجرين والأنصار.

فخرجت أمى تطلبنى، وقادتنى إلى البيت، وأنا أتصبب عرقاً من اللعب فمسحت وجهى بالماء، وألبستنى ثوباً نظيفاً، وأخذتنى إلى رسول الله ﷺ، وقالت له: هذه عروسك يا رسول الله فبارك الله لك فيها، وبارك لها فيك!».

وأخذ أصحابه يباركون ويهنئون، وأصبحت من هذا اليوم زوجة رسول الله ﷺ، ونقلنى الرسول إلى بيته الذى فى جوار المسجد.

وكان النبى ﷺ رفيقاً بى، فقد كنت حديثة السن محبة للعب، يدخل على البنات فى بيتنا فألعب معهن، ويرانى الرسول فيقول: ما هذا؟

فنقول له نلعب خيل سليمان! فيضحك»[1].

وقد عقد النبى ﷺ على عائشة وهى بنت ست سنين، ودخل بها وهى بنت تسع سنين.

حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه، قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبى ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين. فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين»[2].

• الزفاف

تتلخص مظاهر زفافها إلى النبى ﷺ فيما يلى، مأخوذاً من عدة روايات:

أخرج الشيخان عن عائشة قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست سنين، أى عقد عليها. فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحرث بن الخزرج، فوعكت، أى مرضت بالحمى، فتمرق شعرى، وكان أبو بكر، كما فى رواية الطبرانى، قال للنبى ﷺ: ما يمنعك أن تبى بأهلك؟

---

(١) سيرة النبى العربى ١ / ٤٠٣، ٤٠٤ .

(٢) رواه البخارى كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبى ﷺ عائشة .

فجاء النبى ﷺ فدخل بيت أبى بكر، كما فى رواية أحمد، فأتتنى أم رومان، وإنى لفي أرجوحة مع صواحب لى. فصرخت بى ، فأتيتها لا أدرى ماذا تريد منى، فأخذت بيدى، فأوقفتنى على باب الدار، وأنا أنهج، حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئاً من ماء، فمسحت به وجهى ورأسى.

وزاد أحمد: وفرقت جميمتى، أى أصلحت شعرى. ثم ادخلتنى الدار، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليهن، فأصلحن من شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ قد دخل على ضحى، فأسلمتنى أمى إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين.

وفى زيادة لمسلم: وكانت لعبتى معى. يقول أحمد فى روايته: لما وصلت إلى بيت النبى، وكان حجرة بجوار حجرة أبى بكر، فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستنى فى حجره، ثم قالت: هؤلاء أهلك يا رسول الله، بارك الله لك فيهن، وبارك لهن فيك. فوثب الرجال والنساء، ودخل بها النبى ﷺ .

ويبدو لى من مجموعة هذه الروايات : أن النبى ﷺ كان منتظراً لها فى بيته، فلما استبطأها ذهب فوجد النسوة يصلحن شأنها، فراعهن مجيئه ، فقلن له: سنأتى بها إليك، فهو أكرم.

● **وليمة العرس**

وكانت وليمة العرس جفنة «أى قصعة» بعث بها سعد بن عبادة إلى النبى ﷺ، ولم ينحر النبى ﷺ جزوراً، ولم يذبح شاة. تقول السيدة أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء، والتى كانت تكنى بأم سلمة: كنت صاحبة عائشة التى هيأتها، وأدخلتها على النبى ﷺ ومعى نسوة. فوالله ما وجدنا عنده قرى «أى طعاماً يقدم للضيف» إلا قدحاً من لبن، فشرب ثم ناوله لعائشة، فاستحيت، فقلت: لا تردى يد رسول الله، خذى منه. فأخذته على حياء، فشربت.

ثم قال: ناولى صواحبك. فقلن : لا نشتهيه.

فقال: «لا تجمعن جوعاً وكذباً» .

فقلت: يا رسول الله : إنا إذا قلنا لشىء نشتهيه، لا نشتهيه، يعد ذلك كذباً؟

فقال: «إن الكذب يكتب كذباً، حتى الكذيبة تكتب كذبة»[1].

---

(١) رواه أحمد .

- **تأثير الحالة الاقتصادية**

ويلاحظ فى ظروف الزفاف تأثير الحالة الاقتصادية للمهاجرين الذين لم يمض على هجرتهم إلا أشهر، فإن الرسول ﷺ لم يقدم وليمة من عنده، بل كانت هدية من أحد الأنصار هو سعد بن عبادة، وأن الذبح أو النحر لم يكن مستطاعاً للظروف الاقتصادية مع أنه هو المعتاد عند العرب والذى ندب إليه الإسلام بعد ذلك.

كما يلاحظ أن بيت الرسول لم يكن فيه استعداد لتحية صواحبات العروس إلا قدح من لبن نالت منه العروس ومن معها رشفات.

كما أرجح أن قول النساء : لا نشتهيه، ربما كان لتوفيره للنبى ﷺ وعروسه [1].

عن عائشة ، قالت: كانت وسادة رسول الله ﷺ التى يتكئ عليها من أدم حشوها ليف » .

وكانت عائشة عروساً حلوة، خفيفة الجسم، ذات عينين واسعتين، وشعر جعد، ووجه مشرق، مشرب بحمرة، وقد انتقلت إلى بيتها الجديد، وما كان هذا البيت سوى حجرة من الحجرات التى شيدت حول المسجد، من اللبن وسعف النخل، وضع فيه فراش من أدم حشوه ليف، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير ، وعلى فتحة الباب أسدل ستار من الشعر» [2].

تقول عائشة رضى الله عنها : وقد نقلنى الرسول بالزواج منه إلى عالم آخر، لم أكن أهتدى إليه بدونه، وعشت معه الحياة التى رسمها له ربه؛ حياة النبوة، والزهد فى متاع الدنيا، والرغبة فى الآخرة، وتذكر الله فى كل قول أو عمل، فقد علمنى أن الدنيا مزرعة للآخرة، فلا طلعت علينا شمس يوم لا نتقرب فيه إلى الله ببعض الطاعات، فلم نعد نرى الدنيا دائماً متاعاً وزينة، وإنما قنطرة تبلغنا إلى الله.

فأقمت مع رسول الله ﷺ فى حجرة ضيقة مبنية باللبن، تمس اليد سقفها، وليس فيها من الأثاث سوى حصر مفروش على الأرض، وسرير مشدود بالحبال، وأوان من فخار تحفظ طعامنا وشرابنا.

ولكنى لم أشعر بضيق المكان؛ لأن رسول الله ﷺ قد وسع قلوبنا وعقولنا، فجعلها تطلع على رحاب السموات والأرض، وتتنقل فى ملكوت الله العظيم، فلا يشعر الإنسان بزمانه ولا بمكانه، وإنما يشعر أنه من ملك الله الكبير، وأن عليه أن

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ٢٠٠،٢٠١ .

(٢) نساء النبى ص ٢٧٠ .

يضيع صاحب الأمر ويفنى فى عبادته، فتنسلخ نفسه شيئاً فشيئاً من الأرضية، وتسبح فى العلوية. فإذا حدث له ذلك هانت عليه الدنيا وما فيها، ورضى من الحياة بأقل متاع! وطمع فيما عند ربه من جزاء وثواب.

فكان خبزنا الشعير أطحنه بيدى فى الرحى، وطعامنا التمر والماء، وقد يتيسر لنا اللبن حيناً بعد حين. ولقد كان يمر بنا الشهر والشهران والثلاثة ولا يوقد فى البيت نار لخبز أو طعام. ولم يمتلئ جوف رسول الله ﷺ شبعاً قط، وما عرفنا الشبع من التمر إلا بعد فتح خيبر.

ولم يشك رسول الله ﷺ إلى أحد حاجة، وكان الفقر أحب إليه من الغنى، وكان يظل نهاره جائعاً، ويبيت ليله كذلك، ولا يمنعه هذا من صيام غيره متى طلع النهار.

ولقد بكيت مراراً من الشفقة عليه، إذ كنت أراه يربط على بطنه الحجر والحجرين ليسكن ما به، فكنت أمسح بطنه بيدى، وأقول له: «نفسى لك الفداء يا رسول الله! لو أخذت من الطعام ما يقويك على الصيام».

فكان يقول: «يا عائشة، مالى والدنيا! لقد سبقنى أولو العزم من الرسل، وصبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم، وقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم، وأحسن ثوابهم!. وإنى أخاف إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا عنهم، وليس أحب إلى من أن ألحق بإخوانى وأخلائى»[1].

● حب النبى عليه السلام لعائشة

كان النبى ﷺ يحب عائشة حباً جما فهى ابنة حبيبه وصديقه أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى جانب ما تتمتع به من صفات الخير والفضل، فقد كان ﷺ رفيقاً بها غاية الرفق، يعاملها كابنته، فكان عليه الصلاة والسلام إذا دخل عليها مشى على أطراف أصابعه حتى لا يقطع عليها نومها، وكانت رضوان الله عليها تغضب عنده وترضى، وكان عليه السلام يتحملها فى حالة رضاها وغضبها، قال لها يوماً: «يا عائشة ما يخفى على حين تغضبين، و حين ترضين!».

قلت: بماذا تعرف يا رسول الله؟

---

(١) سيرة النبى العربى ١/ ٤٠٧، ٤٠٨.

قال: « أما حين ترضين عنى، فإذا حلفت قلت : لا ورب محمد !
وأما حين تغضبين منى فتقولين : لا ورب إبراهيم ! ».
قلت: صدقت، وإننى والله لا أعدو سوى اسمك »[1]. أى أن حبك يملأ نفسى فى الحالين، ولكنى فى الغضب أتجاوز اسمك.

ورفعت صوتها ذات مرة فوق صوت النبى فى الحديث، وسمعها أبو بكر وهو قادم عليهما فغضب، وهم أن يبطش بها، وهو يقول: أترفعين صوتك فوق صوت رسول الله؟

فمنعه الرسول أن يؤذيها، فلما خرج أبو بكر، قال لها الرسول مازحاً وهو يريد أن يسترضيها: « ألا تعلمين أننى منعت والدك وكان يريد أذاك ! ».

ودخل أبو بكر رضى الله عنه بعدها فوجدهما يضحكان، فقال لهما: أشركانى فى سروركما كما أشركتمانى فى غضبكما »[2].

وقد حدث عمرو بن العاص أنه أتى النبى ﷺ، فقال: أى الناس أحب إليك يا رسول الله؟. قال: «عائشة».

قال: من الرجال؟ قال: أبوها.
قال : ثم من ؟ قال: عمر »[3].

وعن أنس أن النبى ﷺ سئل، من أحب الناس إليك ؟. قال : «عائشة».
فقيل: لا نعنى أهلك. قال : «أبو بكر»[4].

ومن محبة رسول الله ﷺ لعائشة أنه دعا لها فقال:« اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أعلنت».

فضحكت عائشة حتى سقط رأسها فى حجرها من الضحك،
فقال لها رسول الله ﷺ: «أيسرك دعائى».
فقالت: ومالى لا يسرنى دعاؤك؟
فقالﷺ: « إنها لدعائى لأمتى فى كل صلاة».

وفى رواية أن عائشة قالت: بأبى وأمى يا رسول الله ادع الله أن يغفر لى ما تقدم من

---

(١) رواه البخارى برواية قريبة من هذا . (٢) انظر سيرة النبى العربى ١ / ٤٠٥ .
(٣) أخرجه أحمد والترمذى، وقال الترمذى : حديث حسن .
(٤) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ، وله إسناد صحيح «المستدرك».

ذنبى وما تأخر، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً ولا تكسب بعدها خطيئة ولا إثماً».

وقال رسول الله : أفرحت يا عائشة ؟

فقالت: إى والذى بعثك بالحق.

فقال: أما والذى بعثنى بالحق ما خصصتك بها من بين أمتى، وإنها لصلاتى لأمتى بالليل والنهار، فيمن مضى منهم ومن بقى إلى يوم القيامة.

وأنا أدعو لهم، والملائكة يؤمنون على دعائى »[1].

ومما يدل على حب النبى ﷺ للسيدة عائشة رضى الله عنها هذا الحديث.

قالت عائشة : قال لى رسول الله ﷺ: كنت لك كأبى زرع لأم زرع»[2].

قلت: يارسول الله، وما حديث أبى زرع لأم زرع »[3].

فقال: إن قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون أهل اليمن، وكان منهم إحدى عشرة امرأة، وأنهن خرجن إلى مجلس من مجالسهن، فقال بعضهن لبعض: تعالين، فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولانكذب، فتبايعن على ذلك .

ثم قص الحديث بتقديم وتأخير فى ترتيبهن، وتغيير بعض ألفاظهن، وذكرهن بأسمائهن ، وزاد فى آخرها: إلا أن أبا زرع طلق، وأنا لا أطلق.

وفى أخرى : كنت لك كأبى زرع لأم زرع، فى الألفة والرِّفاء، لا فى الفرقة والخِلاء.

وهذا حديث النسوة الإحدى عشرة اللاتى تعاهدن وتعاقدن فيما بينهن على أن يذكرن بعولتهن بما فيهن ولا يكذبن[4].

● حديث أم زرع

قالت عائشة : اجتمعت إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً :

---

(١) أعلام النساء ٣ / ١٤ .

(٢) هذا حديث صحيح، متفق عليه، أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عائشة، أنها حدثت به النبى ﷺ ، وهو مروى من طرق كثيرة كذلك .

(٣) قال أبو الحسن الدارقطنى، فيما حكى عن القاضى عياض: «الصحيح عن عائشة أنها هى التى حدثت النبى ﷺ بقصة النسوة، فقال لها حينئذ: كنت لك كأبى زرع لأم زرع».

(٤) منال الطالب فى شرح طوال الغرائب لابن الأثير . تحقيق د . محمود محمد الطناحى ص٥٣٥-٥٣٩ .

فقالت الأولى: زوجي لَحْم جملٍ غَثٌّ، على رأس جَبلٍ وَعْر، لا سهْلٍ فَيُرْتَقَى، ولا سمين فينتقل[1] .

وقالت الثانية: زوجي لا أَبُثُّ خَبَره، إني أخاف أن لا أذَره، إن أذكُر عُجَرَه وبُجَره.

وقالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق، إن أنطلق أُطلَّق، وإن أسكت أُعلَّق.

وقالت الرابعة: زوجي كليل تِهامة، لا حَرٌّ، ولا قُرٌّ، ولا مخافةَ، ولا سآمة.

وقالت الخامسة: زوجي إن دخل فَهِدَ، وإن خرج أسِدَ،ولا يسأل عما عَهِدَ.

وقالت السادسة : زوجي إن أكل لَفَّ، وإن شرب اشتَفَّ،ولا يُولج الكفَّ، ليَعْلَمَ البَثَّ. وفي رواية : وإن أكل رف، وإن رقد التف.

وقالت السابعة: زوجي عَيَاياءُ طَبَاقاءُ، كل داء له داءٌ، شَجُّكِ أو فَلَّكِ،أو جَمَع كُلاًّ لَكِ.

وقالت الثامنة: زوجي المسُّ مَسُّ أرنب، والريح ريح زرنب.

وقالت التاسعة: زوجي رفيعُ العِماد، طويلُ النِّجَاد، عظيمُ الرماد، قريبُ البيت من النَّاد.

وقالت العاشرة: زوجي مالكٌ، وما مالك! مالكٌ خير من ذلك، له إبلٌ قليلات المسارح، كثيراتُ المبارك، إذا سمعن صوتَ المِزْهر أيقن أنهن هوالك.

وقالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع ! أَنَاس من حُليٍّ أذُنَيَّ، وملأ من شحم عضديَّ، وبَجَّحَني، فَبَجِحَتْ إليَّ نَفْسي، وجدني في أهل غُنَيْمَة بِشِقٍّ، فَجَعَلَني في أهل صَهيلٍ وأطيط، وَدَايِس ومُنَقٍّ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبَّح، وأشربُ فأتَقَمَّحُ.

أمُّ أبي زَرع، وما أمُّ أبي زرع! عُكُومُها رَدَاحٌ، وبَيْتُها فَسَاح.

ابنُ أبي زرع، وما ابنُ أبي زَرْع! مضْجَعُه كمَسَلِّ شطْبَةٍ، وتُشْبِعُه ذِراع الجَفْرة.

بنتُ أبي زرع، وما بنتُ أبي زرع طوعُ أبيها، وطوع أمها، ومِلْءُ كِسائها، وغيظ جارتها.

جاريةُ أبي زرع، وما جاريةُ أبي زرع! لا تبث حديثنا تَبْثِيثا، ولاتنقل ميرتَنا تَنْقِيثَا، ولا تَملأُ بيتنا تَعْشِيشا.

خرج أبو زرع والأوطابُ تُمْخَضُ، فلقي امرأةً معها ولدان لها، كالفهدين،

---

(١) يروى: فينتقى، وهو أولى لرعاية السجع «منال الطالب» ص ٥٣٥ .

يلعبان من تحت خَصْرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فَنكَحْتُ بعده رجلاً سَرِيًا، ركب شَرِيًّا، وأخذ خَطِّيًا، وأراح عليَّ نَعَماً ثَرِيًّا، وقال: كُلي أمَّ زرع، وميرى أهلكِ، فلو جمعتُ كل شيء أعطانيه،ما بلغ أصغر آنية أبي زرع.

● **شرح الحديث** [١]

* قالت الأولى: زوجي لَحْم جملٍ غَثّ، على رأس جَبلٍ وَعْر، لا سهْلٍ فَيُرْتَقَى، ولا سمين فينتقل .

الغث: المهزول، وأغَثَّ اللحم: إذا هزل.

الوعر: ضد السهل، وهو الذي لا يوصل إليه إلا بمشقة وعناء.

لاسهل فيرتقي: صفة للجبل: أي ليس بسهل فيمكن الصعود عليه.

ولا سمين فينتقل: صفة للحم: أي ليس مما يُرغب فيه فَيُنْقَل إلى المنازل لضعفه.

الانتقاء: استخرج النقي، وهومخ العظم، وكثرة المخ من آثار السمن.

خلاصة وصفها لزوجها

وَصَفَتْهُ بقلة الخير، وبعده مع القلة كأنه على جبل صعب المرتقى، وشبهته باللحم الغث الهزيل، الذي خلت عظامه من المخ، أو يزهد الناس فيه، فلايتناقلونه إلى بيوتهم .

وقال الخطابي: وصفته بسوء الخلق، والذهاب بنفسه تيها وكبرا ،تريد: أنه مع قلة خيره، يتكبر على العشيرة ،وينأى بجانبه، فيجمع إلى منع الرفْد، الأذى وسوء الخلق، وليس عنده نفع يُحتمل معه سوء عشرته.

* وقالت الثانية: زوجي لا أبُثُّ خَبَره، إني أخاف أن لا أذَرَه، إن أذْكُر عُجَرَه وبُجَره.

البث: إذاعة السر وإفشاؤه، وقد بث الحديث : يبثه بثاً.

أذره : أتركه، ولا يستعمل منه فعل ماض ولا مصدر، فلا يقال: وذر وذراً استغناء عنه بترك .

العُجَر والبُجَر: كناية عن أموره كلها، باديها وخافيها، وخيرها وشرها، وقيل: أسراره، وقيل : عيوبه.

العجر في الأصل: جمع عجرة: وهي نُفخة في الظهر، فإذا كانت في السرة فهي بُجرة، وجمعها بُجَر.

وقيل العجر: العروق الناتئة المتعقدة في الظهر، وهي في البطن : البجر.

---

(٢) انظر منال الطالب ص ٥٣٩ وما بعدها.

خلاصة وصفها لزوجها

تريد : زوجي لا أخوض في ذكره، لأني لو خضت فيه خفت أن أفضَحه وأذيعَ مثالبه وعيوبه، أو أسراره.

* وقالت الثالثة: زوجي العَشنَّق، إن أنطلق أطلَّق، وإن أسكت أعلَّق.

العشنق:الطويل، وقيل: السيئ الخلق وقال بعضهم : إن العشنق القصير ومعناه: أن له منظراً بلا مخبر، والمشهور عن العشنق أنه الطويل.

وجاءت بلام التعريف في العشنق: لتشعر بأنه معروف بذلك .

أعلق: أي يتركني معلقة، فلا أنا أيم ولا ذات بعل.

خلاصة وصفها لزوجها

إن أرادت أنه طويل، فلأنه في الغالب دليل السفه، وما ذكرت عنه من تطليقها إذا نطقت، وتعليقها إذا سكتت، بيان له، لأنه فعل السفهاء، ومن لا تماسك عنده .

وإن أرادت به سوء الخلق، فهذا الفعل من آثار الخلق المتناهي في السوء.

* وقالت الرابعة: زوجي كليل تِهامة، لا حَرٌّ، ولا قَرٌّ، ولا مخافَةَ، ولا سآمة.

ليل تهامة: طلق طيب، يُضرب به المثل في الطيب واللذة فشبهته به، في خلوه من الأذى والمكروه.

السآمة: الضجر والملل.

خلاصة وصفها لزوجها

تعني أنه ليس فيه شر يُخاف، ولا خلق يوجب أن تُمل صحبته،

وتريد: أن الأمور الجميلة فيه كاملة، كليل تهامة .

وفي رواية أخرى: الليل ليل تهامة ،والغيث غيث غمامة، ولا يُخاف خلفه ولا أمامه).

فالغمام: السحاب المتراكب الهاطل، وإن أهل تهامة وساكنيها لا يخافون مَنْ خلفهم ولا أمامهم، لعزهم وامتناع بلدهم بالجبال.

* وقالت الخامسة: زوجي إن دخل فَهِدَ، وإن خرج أسِدَ،ولا يسأل عما عَهِدَ.

إذا دخل فهد: أي صار كالفهد.

أسِدَ: أي صار كالأسد.

خلاصة وصفها لزوجها

تعنى أنه ينام ويغفل عن معايب البيت، ولا يتيقظ لها؛ لأن الفهد يوصف بكثرة النوم، وإذا خرج من عندها فهو كالأسد فى شجاعته وجرأته.

ولا يسأل عما كان يعرفه فى البيت لحلمه وإغضائه، فهى تصفه بالتجاوز والشجاعة والكرم.

وفى رواية : ولا يرفع اليوم لغد لثقته بكرم الله تعالى وعطائه، فلا يدخر شيئاً.

* وقالت السادسة : زوجى إن أكل لَفَّ، وإن شرب اشتَفَّ،ولا يُولج الكفَّ، ليَعْلَمَ البَثَّ. وفى رواية : وإن أكل رف، وإن رقد التف.

إن أكل لف: أى قمش، وخلط أصناف الطعام بعضها ببعض، فاللفيف من الناس: الأخلاط المجتمعة .

الاشتفاف: افتعال من شرب الشفافة:وهى البقية اليسيرة فى أسفل الإناء،

يقال : شف الماء واشتفه.

البث: أشد الحزن والمرض الشديد.

خلاصة وصفها لزوجها

تريد أنه يأكل كثيراً قبيحاً، ويشرب الماء ولا يبقى منه شيئاً وأنه إذا رآها عليلة لم يدخل يده فى ثوبها ليجسها، متعرفاً لما بها كعادة الناس الأباعد، فضلاً عن الأزواج .

وقيل: أرادت أنه إذا كان بها عيب أوداء، لم يدخل يده فى ثوبها ليمس ذلك الموضع لعلمه أن ذلك يؤذيها.

وفى رواية : إن أكل رَفَّ، وإن رقد التف» تريد أنه ينام منفرداً عنها ملتفاً فى ثوبه.

* وقالت السابعة: زوجى عَيَاياءُ طبَاقَاءُ، كل داء له داءٌ، شَجَّكِ أو فلَّكِ،أو جَمَعَ كُلاًّلَكِ.

العيايا ء: من العى: وهو من الناس والإبل: الذى عيى عن الضراب وعجز.

الغيايا ء: من الغاية،وهى : الظلمة: ومقصودها أنه العاجز الذى لا يهتدى لأمر، كأنه أبداً فى ظلمة، لا يبصر مسلكاً، ولا وجها يتجه إليه .

الطباقا ء: المفحم الذى انطبق عليه الكلام وانغلق : فهى تصفه بعجز الطرفين، وقصوره فى النكاح والكلام.

وقيل: الطباقاء: الذى انطبقت عليه الأمور فلا يهتدى إليها.

كل داء له داء: أى أن كل داء يعرف فى الناس فهو فيه.

الفل: الكسر ، والشج : فتح الرأس .

خلاصة وصفها لزوجها

تصفه بأنه عاجز لا يهتدى لأمر كمن مشى فى ظلمة حالكة دائمة لا يخرج منها ولا يبصر مسلكاً ولا وجهاً يتجه إليه، وأنه عاجز فى النكاح كعجزه فى الكلام وعجزه فى الكلام بَيِّن وكل عيوب الناس موجودة فيه .

وأنه ضروب لها ، وكلما ضربها كسرعظماً من عظامها ، أو فتح رأسها ، أو جمع لها بين الشج والكسر معاً .

ويجوز أن يكون الفل: الطرد والإبعاد.

* قالت الثامنة: زوجى المسُّ مَسُّ أرنب، والريح ريح زرنب.

الزرنب: نبات طيب الريح، وقيل: هو الزعفران،وقيل: نوع من أنواع الطيب، ويقال فيه ذرنب بالذال المعجمة .

خلاصة وصفها لزوجها

أرادت أنه طيب الرائحة، طيب العِرْض والنفس، لين الملمس، سهل كالأرنب فى لين وبرها.

أو أرادت طيب رِيح جسده، ولين بَشرته.

وفى رواية : « أغْلِبُه والناسَ يغلب » فهو يغلب الناس بشجاعته وهى مع ذلك تغلبه لحسن خلقه ومعاشرته .

* قالت التاسعة : زوجى رفيعُ العِماد، طويلُ النِّجَاد، عظيمُ الرماد، قريبُ البيت من النَّاد.

ارتفاع العماد : كناية عن علو البيت والحسب.

طول النجاد : كناية عن طول قامته .

كثير الرماد : كناية عن إكثاره فى القِرى، وإطعام الطعام .

النادى: مجتمع الناس فى أفناء البيوت، أو الناس مجتمعون .

خلاصة وصفها لزوجها

بدأت بمدحه لأن من علا بيته ارتفع عماده، ومن طالت قامته، طال نجاده «وهو حمالة السيف» ومن كثر قراه عظم رماده؛ لعظم ناره.

ويحمل أن المراد: أن ناره لاتطفأ ليلاً، ليهتدى بها الطراق والضيفان، فيكثر غشيانهم إياه، وتقريب البيت من النادى؛ ليعلموا مكانه فيقصدونه، ولا يكون بعيداً فلا يعرف.

وزاد فى رواية : ولا يشبع ليلةَ يُضاف، ولا ينامُ ليلةَ يخاف» أى أنه يؤثر الضيفان بالطعام، ويستعد للعدو عند الخوف، وهى فى هذا تصفه بالكرم والهمة والشجاعة.

* وقالت العاشرة: زوجى مالكٌ، وما مالك! مالكٌ خير من ذلك، له إبلٌ قليلات المسارح، كثيراتُ المباركِ، إذا سمعن صوتَ المِزْهر أيقن أنهن هوالك.

زوجى مالك، وما مالك!: تعجب منه ومن كثرة مناقبه .

القليلات المسارح: التى لا تبعد عن بيته إلا قليلاً.

الكثيرات المبارك: كناية عن كثرتها؛ لأنها إذا كثرت مباركها كثرت هى.

وقلة مسرحها: إما لقرب مرعاها وكثرة نباته وخصبه. وإما لحاجة إلى نحرها للطراق، فلا تكون بعيدة.

المِزْهر: بكسر الميم العود من آلة الغناء، وقيل: هو الذى يزهر النار: أى يوقدها.

خلاصة وصفها لزوجها

تصفه بالكرم، وأن إبله فى أكثر الأحوال باركة بفنائه، مُعدة للقِرى نحراً وحلباً، وأنها قد اعتادت بالنحر والسقى،وألِفت صوت العود والغناء، أو صوت مُوقد ناره، ومناداته بالطارقين، فإذا سمعت ذلك أيقنت أنها تُنحر فتهلك.

زادت فى رواية : «وهو أمام القوم فى المهالك»: أى يتقدمهم فى الحرب لشجاعته وجرأته.

* أما الحادية عشرة فقد كانت أطولهن حديثاً تحدثت عن نفسها، وعن أم زوجها، وابنه، وابنته، وعن الجارية . ثم ختمت حديثها بما آل إليه حالها مع أبى زرع، فعن نفسها تقول:

وقالت الحادية عشرة: زوجى أبو زرع، وما أبو زرع ! أَنَاس من حُلىٍّ أُذُنَىَّ، وملأ من شحمٍ عضدىَّ، وبَجَّحَنى، فَبَجِحَتْ إلىَّ نَفْسِى، وجدنى فى أهل غُنَيْمَةٍ بشقٍّ، فَجَعَلَنى فى أهل صَهيلٍ وأطيطٍ، ودَايِس ومُنَقٍّ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبَّح، وأشربُ فأتقمَّحُ.

أمُّ أبى زَرع، وما أمُّ أبى زرع! عُكُومُها رَداحٌ، وبَيْتُها فَسَاح.

ابنُ أبى زرع، وما ابنُ أبى زَرْع! مضْجَعُه كمَسَلّ شطبَةٍ، وتُشْبِعُه ذِراع الجَفْرة.

بنتُ أبى زرع، وما بنتُ أبى زرع طوعُ أبيها، وطوع أمها، وملْءُ كِسائها، وغيظ جارتها.

جاريةُ أبى زرع، وما جاريةُ أبى زرع! لا تبث حديثَنا تبْثِيثا، ولاتنقل ميرَتَنا تَنْقِيثًا، ولا تَمْلأُ بيتنا تَعْشِيشا.

خرج أبو زرع والأوطابُ تُمْخَضُ، فلقى امرأةً معها ولدان لها، كالفهدين، يلعبان من تحت خَصْرِها برمانتين، فطلقنى ونكحها، فَنكَحْتُ بعده رجلاً سَرِيًا، ركب شَرِيًا، وأخذ خَطِّيًا، وأراح علىَّ نَعَماً ثَرِيًا، وقال: كُلِى أمَّ زرع، وميرى أهلَكِ، فلو جمعتُ كل شىء أعطانيه،ما بلغ أصغر آنية أبى زرع.

● معانى المفردات

أناس: النَّوْسُ: تحريك الشئ المتدلى، تريد أنه حرك أُذُنَىَّ مما حلاهما به، من أنواع الشنوف والقِرَطة، فهما يتحركان بحركتها.

الحُلىُّ: بالضم والتشديد: جمع حَلْى: بالفتح والتخفيف .

امتلاء العضدين بالشحم: دليل على سِمَن الجسم جميعه .

التبجيح: التفريح، يقال: بَجِحَ بالشئ،وبجح به: إذا فرح به وسر، وشدَّدَ «بجَّحَنى» ليعديه إلى المفعول ، أى فرحنى وعظمنى. فبجحت إلىَّ نفسى: أى عظمت وشرفت.

الشق: بكسر الشين : المشقة، قال تعالى : ﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾ [1].

بفتح الشين: من الشق: أرادت أنهم فى موضع ضيق كالشق فى الجبل، وقال أبو عبيد الصواب الفتح هو : اسم موضع بعينه .

الصهيل: صوت الخيل.

الأطيط: صوت الإبل.

الدايس: من دياس الطعام ودَقِّه فى البيدر.

المُنَقّ: يروى بكسر النون وفتحها، فالكسر من النقيق : الصوت يقال نق الطير والدجاجة نقا، وأنَقَّهَا غيرها: إذا حملها على النقيق بالطرد أو الضرب ونحو ذلك.

وقيل : أرادت به أصوات المواشى والأنعام، فاستعارت لها النقيق .

لا أُقَبَّح: أى لايُقال لى قبحك الله، ولا يُرَدُّ عَلَىَّ قولى، ولكن يقبله ميله إلىّ.

التقمح: تَفَعُّل من قمح البعير قموحاً: إذا رفع رأسه ولم يشرب لرِيِّه واكتفائه .

وقيل: الشرب بعد الرى أرادت أنها تُرْوى عنده وتترك باقى الشراب استغناء عنه. أو أنها تشرب بعد رى فلا تعطش.

التصبح : نوم الصبحة.

وفى رواية : فآكل فأتمنح: أى أطعم غيرى منحة وعطية .

● **خلاصة وصف حالها**

تريد أن تقول: إنها من قوم فقراء، فلم يأنف منها زوجها ،ولم يرغب عنها لفقر قومها وبالتالى فقر عائلتها، لكنه تزوجها، ونقلها إلى قومه، وهم أهل غنى ويسار.

ولقد وصفته بالمروءة وكثرة المال والكرم معها والدليل أنها تلبس فى أذنيها الحلى التى تتدلى وتتحرك لكبرها وفخامتها.

وليس ذلك هو الدليل الوحيد على كرمه: بل هناك أدلة كثيرة منها: امتلاء عضديها بالشحم وهذا دليل على سِمن الجسم جميعه وأنه سمنها بإحسانه وتعهده.

وإلى جانب ما ذكرته عن فقر قومهاوأنهم فى ضيق ومثلتهم بمن يعيش فى موضع حرج ضيق كالشق فى الجبل إلا أنها تحدثت عن غناه وغنى قومه بأنهم يملكون الخيل والإبل التى لا تنقطع أصواتها لكثرتها.

وعن معيشتها قالت إنها فى سرور فإلى جانب ما تتمتع به من لباس وزينة واطمئنان نفس ظهر ذلك جلياً على جسدها فإنها لاتقبح ولا تُشْتَم وأنها تشرب وتترك باقى الشراب من كثرة ما يؤتى لها به وبأنواعه المختلفة.

ولم تغفل شيئاً مهما وهو: أنها تنام بالغداة، ولا يفعل هذا إلا من يكون عنده من يكفيه ويقوم بمهام بيته من الخدم، فهى مخدومة مكفية لا تنتبه من نومها حتى تستكفى. فهى تعيش عيشة هنية .

● **أم أبى زرع**

قالت عنها إن عُكُومها رداح: والعكم: هو إناء تجعل فيه المرأة ذخيرتها ولو جاءت الرواية بفتح العين «عَكومها» لتدل ذلك على أنها الجفنة التى لا تزول عن مكانها ،إما لعظمها، أو لكثرة الطعام بها، أو لتعاقب الأطعمة فيها ولهذا وصفتها بأنها «فساح» واسعة

● ابن أبى زرع

الشطبة: هى السعفة، وقيل: السيف.

الجفرة: الجفر والجفرة من المَعز: ما بلغ أربعة أشهر، وأخذ فى الرعى.

تصف ابن أبى زرع بالدقة والنحافة، وأنه ضامر البطن، مُهَفْهَف القد، وأن موضع نومه دقيق العرض كموضع السعفة أو السيف وذلك لقلة طُعْمه وشربه وهو مستحب فى الرجال.

● بنت أبى زرع

طوع أبيها وطوع أمها: الطوع الانقياد والمتابعة .

ملء كسائها: صفة بالسِّمَنْ.

غيظ جارتها: لما ترى من حسنها وسمنها.

الجارة : تقع على الضرة وعلى المجاورة فى المكان

تصف الابنة بالسمن، وفى رواية أخرى تصفها بدقة خصرها؛ لأن الرداء يقع عليه فتقول : «وفِر ردائها ،وملء إزارها، وَعَبْر جارتها » وللعبْر تأويلان:

أحدهما : أن ضرتها ترى من جمالها ما يعْبِر عينها: أى يبكيها من العبرة، وهى الدمع

الآخر: أنها ترى من عفتها ما تعتبر به وتتعظ،ويكن لها عبرة .

● جارية أبى زرع

البث: إظهار الشئ فالجارية لا تبث حديثهم : يعنى لا تنقل أسرار البيت ولا تذيعها، ولا تسرق ولا تخون.

التعشيش: من عشش الطائر إذا عمل له عشا، أى لا تَخْبأ فيه خبيثة، فشبهت المخابئ بأعشاش الطير. أو أرادت أنها لا تترك البيت وسخاً مُزَبّلاً، بل تكنُسه وتنظفه.

● ضيف أبى زرع وطهاته

وفى رواية : «ضيف أبى زرع، و ما ضيف أبى زرع! فى شِبَع ورِى ورتْع.

وأصل الرتع: التنعم.

وفى رواية أخرى: «طهاة أبى زرع وما طهاة أبى زرع! لا تفتر ولاتعدى، تقدح قدرا، وتنصب أخرى ، فتلحقُ الآخرةُ الأولى».

وهذا إظهار لكثرة ضيوف أبى زرع وكرمه .

وفى رواية أخرى: «مالُ أبى زرع، وما مال أبى زرع! على الجمم محبوس، وعلى العفاة معكوس».

أى ماله محبوس على الجمم: جمع جُمَّة: وهم القوم الذين يسألون فى الدية.

وعلى العفاة معكوس: العفاة: جمع العافى وهوالطالب والسائل تعنى أن ماله موقوف ومردود ومبذول فى الصلات والعطايا.

ماذا فعل أبو زرع بعد ذلك؟

خرج أبو زرع والأوطابُ تُمْخَضُ، فلقى امرأةً معها ولدان لها ، كالفهدين، يلعبان من تحت خَصْرها برمانتين، فطلقنى ونكحها.

الأوطاب: جمع وطب، وهو : زِقُّ اللبن.

المخض: تحريك اللبن لإخراج الزبد منه .

تقول: إن أبا زرع خرج يوماً وزقاق اللبن تُحرك لإخراج الزبد منها ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين فى الحدة والخفة والنجابة، وأن هذه المرأة كانت مستلقية على ظهرها لنتو عجزها ، وصفتها بعظم العجز، وأنها إذا استلقت على خصرها بقى بينه وبين الأرض فرجة وخلل بدليل أن الولدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فكل واحد من ولديها يرمى إلى أخيه رمانة فتمر من تحت خصرها ، فهما يلعبان بالرمانتين من جانبها ، فأعجب بها أبو زرع فطلق أم زرع وتزوج هذه المرأة.

● أم زرع بعد طلاقها من أبى زرع

قالت : فَنكَحْتُ بعده رجلاً سَرِيًا ، ركب شَرِيًا ، وأخذ خَطِّيًا ، وأراح علىَّ نَعَماً ثَرِيًا ، وقال: كُلِى أمَّ زرع، وميرى أهلَكِ، فلو جمعتُ كل شىء أعطانيه،ما بلغ أصغر آنية أبى زرع.

السرى : النفيس، الشريف من كل شئ .

الشرى: الفرس الشرى: الذى يَلِجُّ فى عدوه ويتمادى ،

وقيل: هو الفائق الجيد فى نوعه.

الْخَطِيُّ: الرمح، منسوب إلى الخط، وهو ساحل بحر عمان، وبه تُثَقف الرماح.

واعتقال الرمح: هو أن يضعه الراكب تحت فخذه، ويجره على الأرض وراءه.

زاد في رواية: فاستبدلت بعده، وكل بدل أعور، هذا مثل سائر عند العرب، أي لا يكون مثل الأول.

ميرى أهلك: أي خذى الطعام واذهبى به إليهم.

النعم: المواشى وأكثر ما يطلق على الإبل «نعماً ثريا» أي كثيراً.

تقول: تزوجت بعد أبى زرع برجل شريف في كل شئ كان يركب فرساً جيداً يلج في عدوه ويتمادى ويضع تحت فخذه رمحاً عمانياً أصيلاً، كان يجر على الأرض وراءه.

هذا الرجل كان كريماً معى أعطانى من كل «سائمة» أي من كل ما يرعى من المواشى «زوجين» ذكر وأنثى وطلب منى أن آخذ كل هذا وأذهب به إلى أهلى فهم فقراء كما ذكرنا.

وتقول: إنى لوجمعت كل ما أعطانيه مع أنه في نظر الناس كثير ما بلغ أصغر آنية أبى زرع [1].

وهكذا نرى أن النبى ﷺ كان يحب عائشة حبًا جمًا كحب أبى زرع لأم زرع إلا أنه لن يطلقها كما طلق أبو زرع أم زرع.

● **حب المسلمين عائشة**

ومن منطلق حب المسلمين لنبيهم عليه السلام، ولما يحب، ولمن يحب، فقد أحب المسلمون السيدة عائشة رضى الله عنها، فهى زوجة النبى ﷺ، وأم المؤمنين، وابنة الصديق رضى الله عنه وتجلى حبهم لها في مواقف كثيرة،

فكان أحدهم إذا أراد أن يهدى هدية إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة.

دبت الغيرة في حزب أم سلمة الذى كان يتألف من سائر نساء النبى ﷺ ما خلا حفصة وصفية وسودة فإنهن من حزب عائشة أم المؤمنين، فقلن لأم سلمة: إن

(١) هذا الحديث مأخوذ عن كتاب: منال الطالب في شرح طوال الغرائب لمجد الدين أبى السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير. تحقيق د. محمود محمد الطناحى ص٥٣٥ وما بعدها بتصرف وتنظيم واختيار.

الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة فكلمى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار ﷺ.

فذكرت أم سلمة ذلك لرسول الله ﷺ فأعرض عنها ولم يقل لها شيئاً، فسألنها، فقالت: ما قال لى شئ. فقلن : كلميه حتى يكلمك.

فجاءته فكلمته فدار إليها ثم كلمته حتى دار إليها أيضاً، ثم قال: يا أم سلمة، لا تؤذينى فى عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحى فى لحاف امرأة منكن غيرها.

فقالت: أتوب إلى الله من ذلك يا رسول الله .

ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى أبيها، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معها فى مرطها، فأذن لها.

فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافه، وعائشة ساكنة.

فقال لها رسول الله: أى بنية، ألست تحبين ما أحب؟.

قالت : بلى. قال: فأحبى هذه

فقامت فاطمة لما سمعت ذلك من رسول الله فخرجت إلى أزواج النبى ﷺ، فأخبرتهن بالذى قالت والذى قال.

فقلن: ما نراك أغنيت عنا من شئ فارجعى إلى رسول الله فقولى له: إن نساءك: ينشدنك العدل وابنة أبى قحافة .

قالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً .

فعمد أزواج النبى ﷺ فأرسلن زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ؛ وهى كانت تسامى عائشة فى أزواج النبى ﷺ فى المنزلة عند رسول الله ﷺ، فاستأذنت على رسول الله فأذن لها رسول الله ﷺ.

فقالت: يا رسول الله ؛ إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة، ووقعت فى عائشة واستطالت، وعائشة ترقب طرف رسول الله ﷺ ، هل أذن لها؟ فلم تبح حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن تنتصر.

فلما وقعت زينب بها، لم تنشب عائشة أن أفحمتها.

---

(١) أعلام النساء ٣/ ١٢، ١٣ .

فقال رسول الله ﷺ : إنها ابنة أبى بكر »[1].

● ميزاتها رضى الله عنها

يؤخذ من عدة روايات عنها لابن سعد والطبرانى وابن أبى شيبة أنها فضلت على نساء النبى ﷺ بالأمور الآتية:

١ - لم يتزوج بكراً غيرها . ٢ - لم يتزوج امرأة أبواها مهاجران غيرها .

٣ - تزوجها صغيرة السن. ٤ - أنزل الله براءتها من السماء.

٥ - جاء جبريل بصورتها من السماء فى حريرة.

٦- كانت تغتسل هى والنبى ﷺ من إناء واحد، ولم يصنع ذلك مع غيرها.

٧ - كان يصلى وهى نائمة معترضة بين يديه، ولم يصنع ذلك مع غيرها من زوجاته.

٨ - كان ينزل عليه الوحى، وهو معها فى فراشها، ولم يحدث ذلك مع غيرها.

٩ - إنها أحب النساء إليه، وبنت أحب الناس إليه .

١٠ - رأت جبريل ولم يره أحد غيرها من نساء النبى ﷺ.

١١ - خلقت طيبة، وعند رجل طيب. ﴿الطيبات للطيبين﴾.

١٢ - وعدت من الله مغفرة ورزقاً كريماً ﴿ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

١٣ - قبض النبى ﷺ، وهو بين سَحْرها ونحرها.

١٤ - قبض فى الليلة التى كان يدور عليها فيها، ويبدو أنه يلتقى مع إذن نسائه له فى قضاء بقية أيامه الأخيرة عندها.

١٥ - دفن فى حجرتها .

● حب عائشة النبى

كانت عائشة رضى الله عنها تحب الرسول ﷺ حباً عظيماً، ملأ قلبها، وأنار حياتها، وكان هذا الحب العظيم هو السبب فى غيرتها رضوان الله عليها على النبى ﷺ.

أتاها عليه الصلاة والسلام يوماً فقال لها : « إنى سأعرض عليك أمراً فلا عليك أن لا تعجلى به، حتى تشاورى أبويك».

فقالت عائشة : ما هذا الأمر؟

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦/ ٢٠٤، ٢٠٥ .

فتلا عليها النبى ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [١].

فقالت عائشة : فى أى ذلك تأمرنى أن أشاور أبوى وقد أعلم والله أن أبوى لم يكونا ليأمرانى بفراقك، بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

فسر النبى ﷺ بذلك وأعجبه، وقال: «سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك، فكان النبى ﷺ يقول لهن كما قال لعائشة، ثم يقول: قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة» [٢] وغير ذلك كثير من المواقف التى تعبر عن حبها للنبى .

● غيرتها على رسول الله

كانت عائشة جميلة الوجه والجسم، دقيقة الخلقة، حسنة التقسيم، وسيمة الطلعة، قوية النظرات، ذات عينين براقتين خارقتين، تدل سيماها على الرفاهية والرقة والنعومة، عالية الجبين، بسامة، سريعة النطق، تحسن السماع والإصغاء، حادة اللسان فى غير غلظة، سريعة الغضب أحياناً، سريعة الرضا دائماً، تغفر لخصومها إلا رأياً واحداً لم تغفره لصاحبه، وكانت شديدة الغيرة على الرسول، ولكنها لا تتحكم فيه ولا تتسلط على إرادته، ولا تسعى فى تقليل مكانته كما تفعل أية امرأة غيور» [٣].

عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺخرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فرأى ما أصنع، فقال : أقد جاءك شيطانك؟

فقالت: يا رسول الله ومعى شيطان؟ قال : نعم .

قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم .

قلت: ومعك يا رسول الله ؟ قال: نعم، ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم» [٤].

وعنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو عروس بصفية جئن نساء الأنصار فأخبرننى عنها، قالت :فتنكرت وتنقبت، فذهبت فنظرت، فنظر رسول الله ﷺ إلى عينى فعرفنى، فالتفتَ والتفتُّ، فأسرعت المشى، فأدركنى فاحتضننى وقال : كيف أنت؟

قلت : أرسلت يهودية وسط يهوديات » [٥].

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٢٨، ٢٩ .

(٢) أعلام النساء ٣ / ١٧

(٣) ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص ٤٦٢ .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) أخرجه ابن ماجة والحافظ الدمشقى فى الموافقات.

• حادث الإفك

لما للكلمة من شأن وأهمية وخطورة في توجيه الرأى العام فقد أخبر النبى ﷺ بأنه من كان يؤمن بالله الإيمان الكامل المنجي من عذاب الله الموصل إلى رضوانه «جل وعلا» فليقل خيراً أو ليصمت، قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [١]. ولأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده ورجا ثوابه، واجتهد فى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وأهم من ذلك: ضبط جوارحه التى هى رعاياه وهو مسئول عنها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [٣].

وآفات اللسان كثيرة. لذا حذر النبى ﷺ منها فقال: «هل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

وقال: «كل كلام ابن آدم عليه إلا ذكر الله تعالى وأمر بمعروف ونهى عن منكر» [٤] فمن علم ذلك وآمن به حق إيمانه، اتقى الله فى لسانه فلا يتكلم إلا بخير أو يسكت.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثى عن أبيه عن جده علقمة، عن بلال بن الحارث المزنى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه».

قال: فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث [٥].

---

(١) هذا جزء من حديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٦ . (٣) سورة ق الآية ١٨ .

(٤) شرح الأربعين النووية للإمام ابن دقيق العيد ص ٤٨ .

(٥) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة وقال الترمذى حسن صحيح.

وحكى عن الإمام أحمد أنه كان فى سكرات الموت يئن، فسمع أن الأنين يكتب فسكت حتى فاضت روحه رضوان الله عليه.

ومع ذلك ففى الناس من يبسط لسانه بأذى الآخرين وإهانة ذوى المروءات، ولشناعة هذا الأمر فقد طالبهم الإسلام أن يأتوا على ما يقولون بأربعة شهداء وإلا فإقامة الحد، وعدم قبول الشهادة أبداً، والرمي بالفسوق، قال تعالي : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ④ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وضرب المفترين هذا الحد ثم إسقاط كرامتهم أبد الدهر برد شهادتهم وعدها كذباً هو جزاء شديد بلا ريب إلا أنه عادل متناسب مع ما أقدموا عليه من جرم الاتهام الباطل.

ولشناعة الجرم وبشاعته فقد استخدمه المنافقون كسلاح تناولوا به بيت النبوة الطاهر الكريم، وَعِرْضَ رسول الله ﷺ ،وَعِرْضَ صديقه الصديق أبى بكر رضى الله عنه أكرم إنسان على رسول الله ﷺ ، وَعِرْضَ رجلٍ من الصحابة هو صفوان بن المعطل السلمى رضى الله عنه الذى يشهد رسول الله أنه لم يعرف عليه إلا خيراً (٢).

هذا الحادث – حادث الإفك – قد كلف أطهر النفوس فى تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب فى تاريخها الطويل، وعلق قلب رسول الله ﷺ ، وقلب زوجه عائشة التى يحبها ، وقلب أبى بكر وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل شهراً كاملاً، علقها بحبال الشك والقلق والألم الذى لا يطاق (٣).

ولكن الحق تبارك وتعالى غار لنبيه ﷺ فانزل براءة عائشة صيانة لعرض المصطفى ورداً على أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية الشنعاء ولعناً لمن تزعم هذا – عبد الله بن أبى ابن سلول – رأس المنافقين ومن عاونه من المروجين، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) .

(١) سورة النور الآيتان ٤، ٥ .

(٢) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٤ / ٢٤٩٤، ٢٤٩٥ .

(٣) المرجع السابق ٤ / ٢٤٩٥ .

(٤) سورة النور الآية ١١ .

- **السيدة عائشة تروى هذا الموقف**

قالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه،

قالت رضى الله عنها: فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى، وخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه.

فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى فلمست صدرى فإذا عقد لى من جزع ظفار [1] قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركبه وهم يحسبون أنى فيه.

قالت كان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن، ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه » [2].

وكانت عائشة جارية حديثة السن، فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب، فغلبتها عيناها فنامت، وكان الذى يسير وراء الجيش يتفقد ضائعه، «صفوان بن المعطل [3]» فأصبح عند منزلها فعرفها، لأنه رآها قبل الحجاب، فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها، فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة. فقامت قيامة أهل الإفك وقالوا فى عائشة وصفوان، والذى تولى كبر الإفك عبد الله بن أبى.

ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً، والناس يفيضون فى قول أهل الإفك، وهى لا تشعر بشىء، وكانت تعرف فى رسول الله رقة إذا مرضت فلم يعطها

---

(١) الجزع : الخرز ، وظفار مدينة باليمن .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٢٦٨ .

(٣) هو صفوان بن المعطل بن رخصة السلمى، أبو عمرو، شهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وحضر فتح دمشق، واستشهد فى خلافة عمر فى غزوة أرمينية سنة ١٩ هـ «الأعلام».

وهى لا تشعر بشىء، وكانت تعرف فى رسول الله رقة إذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها فى هذا المرض، بل كان يمر على باب الحجرة، لا يزيد على قوله ، كيف حالكم؟ مما جعلها فى ريب عظيم.

فلما نقهت خرجت هى وأم مسطح بن أثاثة - أحد أهل الإفك - للتبرز خارج البيوت ،فعثرت أم مسطح فى مرطها [1]. فقالت: تعس مسطح!

فقالت عائشة : بئس ما قلت !! أتسبين رجلاً شهد بدراً؟

فقالت : يا هنتاه أو لم تسمعى ما قالوا؟

فسألتها عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضاً على مرضها، ولما جاءها -الرسول - عليه الصلاة والسلام كعادته. استأذنته أن تمرض فى بيت أبيها، فأذن لها.

فسألت أمها عما يقول الناس.

فقالت: يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة [2] عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها.

فقالت عائشة : سبحان الله!! أو تحدث الناس بهذا؟

وبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم.

وفى خلال ذلك كان عليه الصلاة والسلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل،

فقال له أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة عائشة: أهلك أهلك، ولا نعلم عليهم إلا خيراً.

وقال على بن أبى طالب: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك.

فدعا عليه الصلاة والسلام بريرة جارية عائشة وقال لها: هل رأيت من شئ يريبك؟

فقالت: والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه [3] غير أنها جارية حديثة السن تنام على عجينها فتأتى الداجن فتأكله .

فقام عليه الصلاة والسلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال: من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلى إلا معى.

فقال سعد بن معاذ: أنا يا رسول الله أعذرك منه، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز تأتزر به المرأة، وأم مسطح هى : رائطة بنت صخر.

(٢) وضيئة : ذات حسن وجمال.

(٣) يدل على عيب .

قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.

فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج، لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكنوا.

أما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم، وبينما هى مع أبويها إذ دخل النبى ﷺ فسلم ثم جلس فقال:

« أما بعد ؛ يا عائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمحت بذنب فاستغفرى اللـه وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف وتاب، تاب الله عليه ».

فتقلص [1] دمع عائشة وقالت لأبويها : أجيبا رسول الله .

فقالا: والله ما ندرى ما نقول .

فقالت: إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقونى، فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حيث قال :﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [2] .

ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله ﷺ مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑪ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ⑫ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ⑬ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑭ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ⑮ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ⑯ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑰ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ

(١) تقلص : جف .

(٢) سورة يوسف الآية ١٨ .

لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

فسرى عن رسول الله وهو يضحك، وبشر عائشة بالبراءة، فقالت لها أمها: قومي واشكري رسول الله .

فقالت : لا والله، لا أشكر إلا الله الذى برأني.

• إقامة الحد على من صرح بالإفك

وبعد ذلك أمر عليه الصلاة والسلام بأن يجلد من صرح بالإفك ثمانين جلدة، وهى حد القاذف، وكانوا ثلاثة: حمنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت.

• مقابلة الإساءة بالحسنة

وكان أبو بكر الصديق ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، فلما تكلم بالإفك قطع عنه النفقة فأنزل الله تعالى :﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

فقال أبو بكر: بلى نحب ذلك يا رسول الله، وأعاد النفقة على مسطح.

وبعد ... فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الناس مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن، فمتى رأوا باباً لها ولجوه، فنعوذ بالله تعالى منهم» (٣).

• منزلة عائشة عند المسلمين

كانت لعائشة رضى الله عنها منزلة سامية عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه وعند التابعين وعند المسلمين والحمد لله إلى يومنا هذا وإن شاء الله إلى يوم الدين.

قال أبو الضحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال عطاء: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً فى العامة.

(١) سورة النور الآيات ١١-٢١ .

(٢) سورة النور الآية ٢٢ .

(٣) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى ص ١٢٨-١٣١ .

وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة.

وقال أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علماً .

وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل.

وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وأخرج الترمذي من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن غالب أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر، فقال: اعزب مقبوحاً، أتؤذي محبوبة رسول الله ﷺ .

وأخرج ابن سعد من وجه آخر عن أبي إسحاق: عن حميد بن عريب نحوه، وقال مقبوحاً منبوحاً، وزاد : إنها لزوجته في الجنة.

وعن مرسل مسلم البطين قال: قال رسول الله ﷺ: عائشة زوجتي في الجنة.

ومن طريق أبي محمد مولى الغفاريين أن عائشة قالت: يا رسول الله، من أزواجك في الجنة ؟ قال : أنت منهن.

ومن طريق أبي إسحاق عن سفيان بن سعد قال: زاد عمر عائشة على أزواج النبي ﷺ ألفين، وقال : أنها حبيبة رسول الله ﷺ [1].

وكانت عائشة تفخر على أزواج النبي بعشر خصال لم تعطهن ذات خمار قبلها فقالت: صورت لرسول الله ﷺ قبل أن أصور في رحم أمي.

وتزوجني بكراً ولم يتزوج بكراً غيري،

وكان ينزل عليه الوحي وهو بين سحري ونحري.

ونزلت براءتي من السماء. وكنت أحب الناس إليه.

وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري،

ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري،

وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٨ / ١٨، ١٩ .

وقبض الله نفسه وهو بين نحرى وسحرى .

ومات الليلة التى كان يدور على فيها ودفن فى بيتى »[1].

• منزلتها عند النبى

كانت عائشة أحب نسائه إليه، ومن مظاهر حبه لها ما يأتى :

١ - كان يدور على نسائه فى طوافه بهن، ثم يختم بها هى.

٢ - أمر فاطمة أن تحب عائشة، لأنه يحبها.

٣ - لما نزلت آية التخيير لزوجاته، بدأ بعائشة، فاختارته.

٤ - اختار النبى ﷺ الإقامة عندها أيام مرضه، وقد وردت بذلك كله الأحاديث الصحيحة.

٥ - قام لها، ووضعت خدها على منكبه، حتى تنظر إلى لعب الحبشة بحرابهم فى المسجد، وأصل الحديث فى الصحيح، ورواه الترمذى وغيره.

٦ - كان يقبلها وهو صائم، ويمص لسانها، كما رواه ابن عدى.

٧ - قال لها : «إنى لأعلم إذا كنت على راضية، وإذا كنت على غضبى» .

قالت: بم يارسول الله؟

قال : «إذاكنت راضية قلت : لا ورب محمد، وإذا كنت غاضبة. قلت : لا ورب إبراهيم »

قالت: صدقت، ما أهجر إلا اسمك،[2].

٨ - أنه سابقها فى سفر فسبقت، فلما سمنت وكثر لحمها سابقته فسبقها، فقال: «يا عائشة، هذه بتلك»[3].

٩ - دعاه جار فارسى إلى طعام، فقال ، مشيراً إلى عائشة «وهذه معى»؟

فقال الرجل: لا.

وأشار له، فقال:«وهذه معى»؟ فقال: لا.

وأشار إليه ثالثاً فقال: «وهذه معى»؟ قال: نعم[4].

١٠ - إن الله أنزل فى براءتها من الإفك وحيا يتلى فى محاريب المسلمين إلى يوم القيامة.

وبهذه المناسبة أقول: إن الشيعة أو الكثيرين منهم لا يبرئون السيدة عائشة

---

(١) أعلام النساء ٣ / ١٦، ١٧ .

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٣) رواه أبو داود والنسائى.

(٤) رواه مسلم.

من هذا الإفك، وجاء وصفها فى كتبهم بما لا يليق بزوجات الرسول، حتى الكتب المؤلفة حديثاً لم تسلم من ذلك.

قال ابن القيم: اتفقت الأمة على كفر قاذف عائشة.

ولعل وجه كفره أنه كذب القرآن فيما جاء به من براءتها وذم قاذفها.

ورب قائل يقول: كيف يحكم بكفره مع أن الله وصفه بالكذب فى سورة النور ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

وتوعد عليه بالعقاب الشديد فى آيات أخرى، ولم يوصف القاذف لها بالكفر؟

والجواب، إما أن يقال إن وصفه بالكذب والتوعد بالعقاب الشديد لا ينافى الحكم على القاذف بالكفر، فكل من الكافر والعاصى مشتركان فى الكذب واستحقاق العقاب الشديد.

وإما أن يقال: إن الحكم فى القرآن على القاذف بالكذب أو غيره كان لأنه ارتكب إثماً، لا لأنه كذب قرآناً، أما بعد أن نزل القرآن ببراءتها فالقاذف لها مكذب لصريح القرآن، فكان الحكم عليه بالكفر من هذه الناحية.

كما أن قذفها فيه إيذاء للنبى ﷺ والنهى الشديد عنه معروف .

١١ - كان النبى ﷺ يعذرها، ويبدى عذرها، كقوله، لما كسرت صحفة ضرتها (غارت أمكم) أى انتابتها الغيرة التى يتعرض لها أمثالها، فلا تلوموها.

١٢ - كانت إذا هويت الشئ تابعها عليه.

١٣ - قال لها ، كما جاء فى الصحيحين عنها «رأيتك فى المنام ثلاث ليال، جاءنى بصورتك جبريل فى سرقة حرير: أى قطعة حرير، يقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا هى أنت، فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه» وكانت الرؤيا وحياً.

وفى روايه الترمذى : أن جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء، وقال: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة. وروى ذلك أيضاً ابن حبان فى صحيحه، وروى

البخارى أن عمار بن ياسر خطب، وقال: والله إنى لأعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة[1].

وفى منزلتها يقول الشيخ ابن القيم [2]:

الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله ﷺ ، عائشة بنت أبى بكر الصديق، عرضها عليه الملك قبل نكاحها فى سرقة من حريروقال: هذه زوجتك، لم يتزوج بكراً غيرها ، وما نزل عليه الوحى فى لحاف امرأة غيرها ، وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها ، وهى أفقه نسائه وأعلمهن بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها ».

- **خوفها من الله**

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: جاء أبو بكر رضى الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبى ﷺ جالس فلم يأذن له، ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلا والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت.

فقال عمر رضى الله عنه : لأكلمن رسول الله ﷺ لعله يضحك.

فقال يا رسول الله أو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتنى النفقة آنفاً فوجأت عنقها.

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه . وقال: «هن حولى كما ترى يسألننى النفقة».

فقام أبو بكر رضى الله عنه إلى عائشة رضى الله عنها ليضربها وقام عمر رضى الله عنه إلى حفصة رضى الله عنها ، كلاهما يقولان تسألان رسول الله ﷺ ما ليس عنده فنهاهما رسول الله ﷺ .

فقلن نساؤه والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده.

ولما أنزل الله عز وجل الخيار بدأ - ﷺ- بعائشة رضى الله عنها فقال : إنى ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك ».

قالت : ما هو فتلا عليها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ الآية .

فقالت عائشة رضى الله عنها : أفيك أستأمر أبوى بل أختار الله ورسوله

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦ /٢٠٢،٢٠٣ .

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد ١ /٢٦ .

وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت.

فقال: «إن الله تعالى لم يبعثنى متعنتًا ولكن بعثنى معلمًا مبشراً لا تسألنى امرأة منهن شيئًا إلا أخبرتها»[1].

وفى رواية ، فقلت: اخترت الله ورسوله . قالت : ففرح رسول الله ﷺ .

وفى رواية قلت: «إنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر فى ذلك أبوى. فضحك رسول الله ﷺ .

ثم استقرأ الحُجر فقال: إن عائشة قالت كذا وكذا فكلهن قال مثل ما قالت .

وفى رواية أن الذى قال لأقولن لرسول الله ﷺ شيئًا أبو بكر رضى الله عنه وقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة تسألنى النفقه ثم ذكر نحوه [2].

● **مزاياها العلمية والخلقية**

١ - كانت رضى الله عنها فقيهة جداً، حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها: وأما حديث «خذوا شطر دينكم عن الحميراء» وحديث «خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء» فذكر الحافظ أنه سأل عنه المزى والذهبى فلم يعرفاه.

وكذا قال الحافظ فى تخريج ابن الحاجب: لا أعرف له سنداً.

والحديث الأول مذكور فى نهاية ابن الأثير بلا إسناد .

والثانى فى الفردوس بلا إسناد أيضاً.

ويظن بعض الناس خطأ أن لفظ الحميراء تصغير لحمارة فكأن النبى يذمها بالبلادة، وهل البليدة يؤخذ عنها شطر الدين أو ثلثيه؟ إلى جانب أن التصغير خطأ نحوى. فالحق أنه وصف بالحمرة الخفيفة، ومدح بالجمال.

٢ - كانت ملمة بعلوم كثيرة غير الأحكام الشرعية ، يقول أبو موسى الأشعرى: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً[3].

وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفريضة، أى ميراث، ولا بحرام ولا بحلال ولا بفقه ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة[4].

وكانت عارفة بأيام العرب، وقائعها، أشعارها. فما كان ينزل بها شئ إلا

---

(١) خرجه مسلم .

(٢) السمط السمين ص ٦٢، ٦٣ .

(٣) رواه الترمذى وصححه .

(٤) رواه الحاكم والطبرانى وغيرهما بسند حسن .

أنشدت فيه شعراً.

روى أحمد عن عروة أنه قال لها: يا أمتاه، لا أعجب من فقهك،

أقول: زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبى بكر.

ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس،

أقول: ابنة أبى بكر، وكان أعلم أو من أعلم الناس به.

ولكنى أعجب من علمك بالطب، كيف هو وأين هو؟

فضربتنى على منكبى، وقالت: أى عرية، يعنى يا عروة بصيغة التصغير، إن رسـول الله ﷺ كان يسقم، أو كانت تكثر أسقامه من آخر عمره،فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فكانت تنعت له الأنعات، أى تصف له الوصفات، وكنت أعالجها،فمن ثم تعلمت.

٣ - كانت رضى الله عنها فصيحة. قال معاوية : والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أوضح ولا أفطن من عائشة[١].

وروى أحمد والحاكم عن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء وهلم جرا، فما سمعت من فم أحد منهم كلاماً أفخم ولا أحسن منه من فم عائشة .

٤ - كانت زاهدة كثيرة التصدق، روى ابن سعد عن أم درة قالت: أتيت عائشة بمائة ألف، فرقتها، وهى يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشترى بدرهم لحماً تفطرين عليه؟

فقالت: لو أدركتينى لفعلت.

٥ - كانت كثيرة الحديث عن النبى ﷺ وروت عنه ٢٢١٠ من الأحاديث، اتفق البخارى ومسلم منها على ١٧٤ حديثاً. وانفرد البخارى بأربعة وخمسين حديثاً، وانفرد مسلم بثمانية وستين حديثاً. وروى عنها كثير من الصحابة، كعمر وابنه، وأبى هريرة وأبى موسى الأشعرى وابن عباس، وكثيرمن التابعين ، منهم سعيد بن المسيب وعلقمة بن قيس ومسروق، ومن آل بيتها أختها أم كلثوم وابنتها عائشة بنت طلحة.

قال النبى ﷺ فيها « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام».

والمراد تفضيلها على نسائه اللائى كن موجودات معها، أما خديجة فقد ورد

---

(١) رواه الطبرانى .

فيها حديث تفضيلها على نساء أهل الجنة هي وفاطمة ومريم وآسية.

وقيل: كانت عائشة تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها. وكان النبي يقسم لها ليلتين ولكل زوجة ليلة واحدة، وكان يدور على نسائه ويختم بعائشة [1].

• هل ولدت للنبي ؟

الصحيح أنه لم يعقب منها مولوداً، وما روى أنها أسقطت منه سقطا، وسماه عبد الله فضعيف. وكانت تكنى بأم عبد الله، والسبب في ذلك، كما ورد في الصحيح عند ابن حبان وأبي داود أن عبد الله بن الزبير، وهو ابن أختها أسماء، لما ولد جاءت به أمه إلى النبي ﷺ فتفل في فمه، وكان ذلك أول شئ دخل جوفه، كما تقول عائشة. وقال لها النبي ﷺ « هو عبد الله،وأنت أم عبد الله».

قالت: فمازلت أكنى بها،وما ولدت قط.

ويروى أبو داود في سننه عنها قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: يارسول الله كنيت نساءك فاكنني. فقال «تكنى بابن أختك أم عبد الله» .

وفي رواية له، فكانت تكنى أم عبد الله، وذكره البخاري في «الأدب المفرد» وكانت عائشة قد استوهبت عبد الله من أبويه، فكان في حجرها.

• عائشة يوم الجمل

خرجت السيدة عائشة رضي الله عنها يوم الجمل بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولم يكن خروجها للحرب، بل للصلح، بعد إلحاح الناس عليها، نزولاً على قوله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾[3] .

ومع هذا كانت محجبة [4].

يرى القرطبي أن خروجها كان باجتهاد منها، وكانت مخطئة فيه،ولهذا لم يوافقها

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦/ ٢٠٥، ٢٠٦ بتصرف.

(٢) سورة النساء الآية ١١٤ .

(٣) سورة الحجرات الآية ٩ .

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ١٩٦

على الخـروج بعض أزواج النبى ﷺ، فقـد ورد أن أم سلمـة رضى الله عنهـا أرسلت إليها كتـاباً جاء فيه : قد علم رسول الله ﷺ مكانك لو أراد أن يعـهـد إليك، وقـد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع»[1].

وفى بعض الروايات : جـهـاد النسـاء غض الأطراف وضم الذيول.وأقـسم لـو قيل لـى : يا أم سلمـة ادخلى الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هـاتـكـة حجاباً ضربه علىّ.

وكذلك لم يوافقها كثير من الصحابة،كعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وأبو الأسود الدؤلى، وجارية بن قدامة الذى قال لها : لقتل عثمان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، إنه كانت لك من الله حرمة وستر، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فقد رأى قتلك، فإن كنت يا أم المؤمنين خرجت مستكرهة فاستعتبى الله » [2].

يقول الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى: أخرج عمر بن شيبة من طريق مبارك بن فـضـالة عن الحـسـن: أن عـائشـة أرسلت إلى أبى بكرة تدعـوه إلى الخـروج معها ،فقال: إنك لأم، وإن حقك لعظيم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «لن يفلح قوم تملكهم امرأة» ولم يخرج معها أبو بكرة.

قال قيس بن أبى: لما أقبلت عـائشة فنزلت ببعض مياه بنى عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت أى ماء هذا ؟ فقالوا: الحوأب

فقالت: ما أظننى إلا راجعة .

فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم.

فـقـالت: إن النبى ﷺ قال لنا ذات يوم: «كيف بإحداكن تنبح عليـهـا كلاب الحوأب» [3].

وورد من طريق عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قـال لنسائه: « أيتكن صاحبة الجمل الأدب - أى ذى الشعـر الكثير- تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو بعد ما كادت»[4].

---

(١) القرطبى ١٤ / ١٨١ . (٢) المصدر السابق .

(٣) اخرجه احمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ابن حبان، وسنده على شرط الصحيح.

(٤) رواه البزار وابن أبى شيبة بسند رجاله ثقات « المطالب العالية ٤ / ٢٩٧ .

وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلى بن أبى طالب: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر».

قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله .

قال: «لا ، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها» [١].

وعن أبى يزيد المدينى قال: قال عمار بن ياسر لعائشة لما فرغوا من الجمل؛ ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عهد إليكن !! يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾.

فقالت : أبو اليقظان؟ قال: نعم.

قالت: والله إنك ما علمت لقوال بالحق.

قال: الحمد لله الذى قضى لى على لسانك [٢].

فهى تعترف بخطئها، وتقر عماراً على إنكار صنيعها [٣].

● رأى القاضى أبى بكر بن العربى

● قاصمة

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلى استأذن طلحة والزبير علياً فى الخروج إلى مكة[٤]. فقال لهما على : لعلكما تريدان البصرة والشام.

فأقسما ألا يفعلا [٥]. وكانت عائشة بمكة [٦].

---

(١) أخرجه أحمد والبزار بسند حسن . (٢) تفسير القرطبى ١٤/ ١٧٩ .

(٣) هذه الأحاديث من بيان لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم الشريعة الإسلامية فى اشتراك المرأة فى الانتخاب للبرلمان الصادر فى يونية ١٦٥٢ ، وانظر موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٢/ ٤٢٧- ٤٢٩ .

(٤) وممن استأذنه فى الخروج إلى مكة عبد الله بن عمر بن الخطاب. وسبب ذلك أن علياً لما تمت له البيعة عزم على قتال أهل الشام. وندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه، فطلب عبد الله بن عمر وحرضه على الخروج معه فقال: إنما أنا رجل من أهل المدينة إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة، لكن لا أخرج للقتال فى هذا العام. ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة (ابن كثير ٧: ٢٣٠) وكان الحسن بن على مخالفا لأبيه فى أمر الخروج لمقاتلة أهل الشام ومفارقته للمدينة .

(٥) قول على لهما وقسمهما له من زيادات مرتكبى (القاصمة) ورواتها .

(٦) ذهبت إليها وأمهات المؤمنين لما قطع البغاة الماء عن أمير المؤمنين عثمان، وأخذ يستسقى الناس، فجاءته أم حبيبة بالماء فأهانوها، وضربوا وجه بغلتها، وقطعوا حبل البغلة بالسيف (الطبرى٥ :١٢٧) ، فتجهز أمهات المؤمنين إلى الحج فراراً من الفتنة (ابن كثير ٧: ٢٢٩).

وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة إلى مكة، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن .

فاجتمعوا بمكة كلهم، ومعهم مروان بن الحكم، واجتمعت بنو أمية. وحرضوا على دم عثمان. وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمائة ألف درهم. وأعطى لعائشة «عسكراً » جملاً اشتراه باليمن بمائتى دينار. فأرادوا الشام، فصدهم ابن عامر وقال : لا ميعاد لكم بمعاوية، ولى بالبصرة صنائع، ولكن إليها

فجاءوا إلى ماء الحوأب [1] ونبحت كلابه، فسألت عائشة، فقيل لها: هذا ماء الحوأب. فردت خطامها عنه، وذلك لما سمعت النبي ﷺ يقول :«أيتكن صاحبة الجمل الأدبب [2]، التى تنبحها كلاب الحوأب؟»، فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوأب، وخمسون رجلاً إليهم [3]، وكانت أول شهادة زور دارت فى الإسلام [4].

وخرج على إلى الكوفة [5]، وتعسكر الفريقان والتقوا [6] ،

(١) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة، قاله أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندرى فيما نقله عنه ياقوت فى معجم البلدان. وقال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم: ماء قريب من البصرة، على طريق مكة إليها. سمي بالحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية.

(٢) الأدبب: الأدبُّ (أظهر الإدغام لأجل السجعة)، والأدب: كثير وبر الوجه. قاله ابن الأثير فى النهاية.

(٣) لم يشهدوا، ولم تقل عائشة، ولم يقل النبى ﷺ .

(٤) شهادة الزور تصدر عن رعاع لا يخافون الله كأبى زينب وأبى المورع ، وتصدر عمن يزعم لنفسه أنه قادر على خلق شخصية لم يخلقها الله كالذى اخترع اسم ثابت مولى أم سلمة . أما طلحة والزبير - المشهود لهما بالجنة من نبى الرحمة ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى - فكانا أسمى أخلاقاً وأكرم على أنفسهما وعلى الله من أن يشهدا الزور. وهذه الفرية عليهما من مبغضى أصحاب رسول الله ﷺ ليست أول فرية لهم فى الإسلام، ولا آخر ما يفترونه من الكذب عليه وعلى أهله .

(٥) خرج من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ ، ليكون على مقربة من الشام. وكان ابنه الحسن يود لو بقى والده بالمدينة فيتخذها دار خلافته كإخوانه الثلاثة قبله فلا يبرحها (الطبرى ٥ :١٧١ ، وانظر ٥ :١٦٣) وقد سلك علىّ من المدينة إلى العراق طريقه الربذة وفيد والثعلبية والأساود وذى قار. ومن الربذة أرسل إلى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر فرجعا إليه وهو فى ذى قار بأن أبا موسى وأهل الحجى من الكوفيين يرون القعود، فأرسل الأشتر وابن عباس، ثم أرسل ابنه الحسن وعماراً لاستمالة القوم إليه. وبينما هو فى الطريق أنشب عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة القتال مع أصحاب الجمل. وفى الأساود جاءه خبر مصرع حكيم بن جبلة وقتلة عثمان. ثم جاء عثمان بن حنيف إلى على وهو فى الثعلبية منتوف اللحية ومغلوباً على أمره. وفى ذى قار أقام علىٌّ معسكره، ثم سار بمن معه إلى البصرة وفيها أصحاب الجمل .

(٦) بعد وصول علىّ إلى ذى قار وقيام القعقاع بن عمرو بمساعى التفاهم تقدم علىّ بمن معه إلى البصره فأسرع قتلة عثمان إلى إحباط مساعى الإصلاح بإنشاب القتال.

وقال عمار- وقد دنا من هودج عائشة - : ما تطلبون؟

قالوا : نطلب دم عثمان.

قال : قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق [1].

والتقى عليٌ والزبير، فقال له عليٌ: أتذكر قول النبي ﷺ :«وإنك تقاتلني؟ فتركه ورجع، وراجعه ولده ، فلم يقبل. وأتبعه الأحنف مَنْ قتله [2].

ونادى علي طلحة من بعد : ما تطلب؟ قال : دم عثمان.

قال: قاتل الله أولانا بدم عثمان. ألم تسمع النبي ﷺ يقول:«اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» وأنت أول من بايعني ونكث [3].

• عاصمة

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه . ولكن لأي شئ خرجوا؟ لم يصح فيه نقل، ولا يوثق فيه بأحد، لأن الثقة لم ينقله، وكلام المتعصب لا يُسمع. وقد دخل على المتعصب من يريد الطعن في الإسلام واستنقاص الصحابة.

فيحتمل أنهم خرجوا خلعاً لعلي لأمر ظهر لهم [4]، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة، وقاموا يطلبون الحق.

ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان [5].

ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين، وضم نشرهم، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا. وهذا هو الصحيح، لا شيء سواه. وبذلك وردت صحاح الأخبار.

---

(١) كان الفريقان يطلبان الصلح وجمع الكلمة، أما الباغي فهم قتلة عثمان، وقد قتلهم الله جميعاً إلا واحداً منهم .

(٢) الذي قتل الزبير عمير بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع التميمي. والأحنف اتقى الله من أن يأمرهم بقتله، بل سمعوه يتذمر من قتال المسلمين بعضهم مع بعض فلحقوا بالزبير فقتلوه (الطبري٥ :١٩٨)

(٣) كان طلحة أصدق إيماناً وأسمى أخلاقاً من أن يبايع وينكث. وإنما كان يريد جمع الكلمة للنظر في أمر قتلة عثمان، واستجاب عليٌ لهذه الدعوة ، ولكن الذين جنوا على الإسلام أول مرة بالبغي على عثمان كانوا أعداء الله مرة أخرى بإنشاب القتال بين هذين الفريقين من المسلمين.

(٤) وهذا الاحتمال بعيد عن هؤلاء الأفاضل الصالحين، ولم يقع منهم ما يدل عليه، بل الحوادث كلها دلت على نزاهتهم عنه. وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٤١، ٤٢) فنقل عن كتاب (أخبار البصرة) لعمر بن شبة قول المهلب: «إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة».

(٥) وهذا ما كانوا يذكرونه، إلا أنهم يريدون أن يتفقوا مع عليٌ على الطريقة التي يتوصلون بها إلى ذلك، وهذا ما كان يسعى به الصحابي المجاهد القعقاع بن عمرو، ورضي به الطرفان.

ثم قال : وأما الذين ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب، فقد بُؤتم فى ذكرها بأعظم حُوب [١]. ما كان قط شئ مما ذكرتم، ولا قال النبى ﷺ ذلك الحديث، ولاجرى ذلك الكلام، ولا شهد أحد بشهادتهم ، وقد كُتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون[٢].

• وفاتها

عاشت السيدة عائشة رضى الله عنها مع النبى ﷺ تسع سنوات ومات عنها وهى ابنة ثمان عشرة سنة وتوفيت فى السادسة والستين من عمرها، بعد أن ظلت المرجع الأول فى الحديث والسنة والفقه لمدة تزيد على نصف قرن من الزمان.

وتوفيت رضى الله عنها بعد أن تركت أعمق الآثار فى الحياة الفقهية والاجتماعية والسياسية للمسلمين، وحفظت لهم بضعة آلاف من صحيح الحديث عن رسول الله ﷺ منها ألفان ومائة وعشرة أحاديث، فى الكتب الستة.

---

(١) الحوب : الإثم .

(٢) تقدم بيان الحواب . وأن الكلام الذى نسبوه إلى النبى ﷺ وزعموا أن عائشة ذكرته عند وصولهم إلى ذلك الماء ليس له موضع فى دواوين السنة المعتبرة. وقد رأينا خبره عند الطبرى (٥ / ١٧٠) فرأيناه يرويه عن إسماعيل بن موسى الفزارى(وهو رجل قال فيه ابن عدى : أنكروا منه الغلو فى التشيع) ، ويرويه هذا الشيعى عن على بن عابس الأزرق (قال عنه النسائى : ضعيف) وهو يرويه عن أبى الخطاب الهجرى (قال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب: مجهول) وهذا الهجرى المجهول يرويه عن صفوان بن قبيصة الأحمسى (قال عنه الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال: مجهول) . هذا هو خبر الحوأب. وقد بنى على أعرابى زعموا أنهم لقوه فى طريق الصحراء ومعه جمل أعجبهم فأرادوا أن يكون هو جمل عائشة فاشتروه منه وسار الرجل معهم حتى وصلوا إلى الحواب فسمع هذا الكلام ورواه، مع أنه هو نفسه - أى الأعرابى صاحب الجمل - مجهول الاسم ولا نعرف عنه إن كان من الكذابين أوالصادقين . ويظهر لى أنه ليس من الكذابين ولا الصادقين، لأنه من أصله - كالثانى عشر - وهومن لم يخلق، ولأن جمل عائشة واسمه «عسكر» جاء به يعلى بن أمية من اليمن وركبته عائشة من مكة إلى العراق. ولم تكن ماشية على رجليها حتى اشتروا لها جملاً من هذا الأعرابى الذين زعموا أنهم قابلهم فى الصحراء، وركبوا على لسانه هذه الحكاية السخيفة ليقولوا إن طلحة والزبير - المشهود لهما بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى - قد شهدا الزور. ولو كنا نستجيز نقل الأخبار الواهية لنقلنا فى معارضة هذا الخبر خبراً آخر نقله ياقوت فى معجم البلدان (مادة حوأب) عن سيف بن عمر التميمى أن المنبوحة من كلاب الحوأب هى أم زمل سلمى بنت مالك الفزارية التى قادت المرتدين ما بين ظفر والحوأب فسباها المسلمون وَوُهبت لعائشة فاعتقتها، فقيلت فيها هذه الكلمة ، وهذا الخبر ضعيف والخبر الذى أوردوه عن عائشة أضعف منه. وما برح الكذب بضاعة يتجر بها الذين لا يخافون الله .

وكانت وفاتها - على الأرجح - ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضين من رمضان سنة ثمان وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة، ثم شيعت جنازتها فى غسق الليل إلى البقيع على أضواء مشاعل من جريد مغموس فى الزيت، وسارت الجموع من ورائها

باكية فلم تر ليلة أكثر ناساً منها.

وأودع جثمانها مع أمهات المؤمنين، فقد ألغى الموت ما كان بينها وبينهن من غيرة وتنافس، ففى صحيح البخارى أن عائشة رضى الله عنها أوصت عبد الله بن الزبير - ابن اختها أسماء - أن يدفنها مع صواحبها بالبقيع، ونزل معها إلى القبر ولدا أختها أسماء: عبد الله وعروة أبناء الزبير، والقاسم وعبد الله أبناء أخيها محمد، وعبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، وكلهم من رواة الحديث عنها » [1].

نامت السيدة عائشة رضى الله عنها وتركت التاريخ مشغولاً برصد دقائق حياتها مذ كانت فى السادسة من عمرها، معنياً بتتبع حركاتها وسكناتها وكلماتها طوال حياتها المباركة المليئة بجلائل الأعمال.

فقد فوجئت بالخطبة فى السادسة، وبالزفاف فى التاسعة، وبموقعة أحد فى الحادية عشرة، وبحديث الإفك فى الخامسة عشرة، وبغيرة النساء من تكرار زواج الرسول فى كل مرة عقد فيها على امرأة ولاسيما الجميلات منهن صفية وجويرة وزينب بنت جحش، وعند مولد إبراهيم من مارية القبطية، وفوجئت بمرض الرسول ووفاته وبما حدث من الجدال والنقاش العنيف وجثمانه الطاهر ما يزال بحجرتها وبوفاة والدها بعد ذلك بسنتين .

مع هذه الأحداث كلها لم تهن ولم تضعف ولم تغب بديهتها، ولم يختلط عليها أمر بأمر، ولم يعترها اضطراب وارتباك يحجب صدق نظرها فى الحوادث، بل كانت أبداً يقظة متحفزة مستعدة، شاعرة بمقامها ومكانتها من العشيرة والأمة.

وقد عاشت بعد زوجها - النبى محمد ﷺ - سبعاً وأربعين سنة .

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين عائشة رحمة واسعة .

---

(١) الاستيعاب ٤ / ١٨٨٣ .

[٤] أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر
رضى الله عنها

هى : حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى، أبو حفص كان من أشراف قريش وإليه كانت السفارة فى الجاهلية، وذلك أن قريشاً كانوا إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر، ورضوا به، بعثوه منافراً ومفاخراً، هذا قبل إسلامه.

أما بعد إسلامه، يقول عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى فى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

ولقد أعز الله به الإسلام، قال الزبير بن العوام: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب».

وعن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب، قال: أى أهل مكة أنقل للحديث؟

فقالوا: جميل بن معمر.

فخرج عمر، وخرجت وراء أبى، وأنا غليم أعقل كل ما رأيت، حتى أتاه، فقال: يا جميل، هل علمت أنى أسلمت؟ .

فوالله ما راجعه الكلام حتى قام يجر رداءه، وخرج عمر يتبعه، وأنا مع أبى، حتى إذا قام على باب الكعبة، صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، إن عمر صبأ.

فقال عمر : كذبت ! ولكنى أسلمت.

فثاوروه [(١)] فقاتلوه وقاتلهم حتى قامت الشمس على رؤوسهم فطلع [(٢)] وعرشوا على رأسه قياماً، وهو يقول: «اصنعوا ما بدا لكم ، فأقسم بالله لو لنا ثلاثمائة رجل تركتموها لنا، أو تركناها لكم » [(٣)].

وأمها : زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، أخت عثمان بن مظعون » [(٤)]. وهى من المهاجرات.

---

(١) ثاوروه : واثبوه .

(٢) طلع : أعيا

(٣) أسد الغابة ٤ / ١٤٥

(٤) الطبقات الكبرى ٨ / ٥٦ .

• مولدها

ولدت حفصة وقريش تبنى البيت قبل مبعث النبى ﷺ بخمس سنين »[1].

• زواجها قبل النبى

كـانت رضى الله عنهـا قبل زواجهـا من النبى ﷺ زوجـاً للصـحـابى الجليل «خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى القرشى» الذى انفرد دون بنى سهم بحضوره غزوة بدر الكبرى .

وهو رضى الله عنه من أصحاب الهجرتين، هاجر إلى الحبشة مع المهـاجرين الأولين إليها، ثم إلى المدينة المنورة ، وقد شهد أُحُداً كذلك، ثم مات بعدها فى دار الهـجرة مـن جراحة أصابته فى أُحُد، وترك من ورائه أرملته الشابة «حفصة بنت عمر بن الخطاب »[2].

• زواج النبى بحفصة

عن عمـر: لما تأيمت حفصة بنت عمـر رضى الله عنهـمـا من خنيس بن حذافة السهمى وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وممن شهد بدراً، فتوفى بالمدينة.

قال عمر: فلقيت عثمانَ بن عفان رضى الله عنهما فعرضت عليه حفصة.

فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة.

فقال: سأنظر فى ذلك.

فلبث ليالى، فلقينى، فقال: ما أريد أن أتزوج يومى هذا.

قال عمر رضى الله عنه : فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فلم يرجع إلى شيئاً، فكنت أوجد عليه منى على عثمان، فلبثت ليالى فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه .

فلقينى أبو بكر،فقال: لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئاً. قال: قلت : نعم.

قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها على إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها ولم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لنكحتها».

---

(١) المرجع السابق ٨ / ٥٦ .

(٢) نساء النبى ص ٣٠٠ .

• **رواية ثانية**

بعد أن تأيمت رضى الله عنها من زوجها خنيس بن حذافة السهمى، ذكرها عمر لأبى بكر وعرضها عليه فلم يرجع إليه أبو بكر بكلمة، فغضب من ذلك عمر، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم.

فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال رسول الله ﷺ: « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة، ثم خطبها إلى عمر فتزوجها رسول الله ﷺ.

لقى أبو بكر عمر بن الخطاب فقال له: لا تجد على فى نفسك، فإن رسول الله ﷺ كان - قد - ذكر حفصة، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها.

وتزوجها رسول الله ﷺ »[1].

والمتأمل لهاتين الروايتين يلمح دون عناء أن الرواية الأولى تثبت أن عمر رضى الله عنه عرض حفصة أولاً على عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

والرواية الثانية تثبت عكس ذلك: أى أن عمر رضى الله عنه عرض حفصة ابنته رضى الله عنها أولاً على أبى بكر رضى الله عنه،ثم على عثمان رضى الله عنه.

وأخرج أبو يعلى أن عمر قال: يا رسول الله ألا تعجب من عثمان عرضت عليه حفصة فأعرض عنى؟

فقال ﷺ: «قد زوج الله عثمان خيرا من حفصة، وزوج حفصة خيرا من عثمان» فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحه عمر إياها. وكان تزوجه بها فى السنة الثانية أو الثالثة للهجرة.

وكان ذلك فى شعبان على ما رآه ابن سيد الناس، وسبب الخلاف فى تحديد عام زواجها مبنى على الخلاف فى أن زوجها قتل فى بدر أو فى أحد.

والذى يعنينا من هذا أمران:

الأول: أن عمر رضى الله عنه رغم شدته فقد تألم لابنته الشابة التى ترملت فى الثامنة عشرة من عمرها، وأوجعه أن يلمح الترمل يغتال شبابها، فبدا له - بعد تفكير طويل - وهو الحصيف أن يختار لها زوجاً، تأنس إلى صحبته ويأنس إلى صحبتها.

الثانى: أن الله تبارك وتعالى قد جبر خاطر عمر بزواج النبى ﷺ من ابنته حفصة رضوان الله عليهما.

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٨١١.

يقول الشيخ محمد الغزالي عن هذا الموقف العمري: «لما تأيمت حفصة بنت عمر بن الخطاب من زواجها الأول لم ير الرجل الكبير غضاضة من مفاتحة صديقه أبي بكر الصديق في الزواج منها. وعمر بهذا التصرف رجل يحترم الطبيعة الإنسانية، وتتحرك في فؤاده عاطفة الأبوة، والإطار الذي يعمل بداخله هو فطرة الإسلام السهلة، فلا ريبة إلا فيما يغضب الله، وكرامته الخاصة مصونة وغالية ما بقي حريصاً على مرضاة الله ورسوله »[1].

وأقول: إن عمر أراد تعليم المسلمين درساً نافعاً ومفيداً، من أنه لا غضاضة من أن يعرض الرجل ابنته ، أو من يلي أمرها ، على من يتوسم فيه كمال الخلق والالتزام بالدين ، خاصة وأن النبي ﷺ قد ركز على من تميز بالدين والخلق، قال ﷺ : «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

قالوا : يا رسول الله وإن كان فيه؟

قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات»[2].

وقد فعل هذا قبل عمر كثيرون منهم شعيب عليه السلام، حينما سقى موسى لابنتيه، وأخبرته إحداهما أن موسى قوي وأمين، وطلبت منه أن يستأجره ، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [3] .

لكن شعيباً تمنى أكثر من أن يكون موسى أجيراً، وإنما صهراً مادام قوياً وأميناً.

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [4] .

• عمر يؤدب حفصة

سمع عمر أن حفصة تصنع مع الرسول ﷺ ما تصنع عائشة فتراجعه وتغاضبه.

فغضب عمر أشد الغضب وذهب إليها والعصا في يده . وقال لها :

« يا بنية : سمعت أنك تراجعين رسول الله ﷺ فيظل يومه غضبان. تعلمين والله أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله !

يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها، وحب رسول الله لها [5].

والله لقد علمت أن الرسول يصبر عليك، ولولا أبوك لطلقك»[6].

---

(١) حقوق الإنسان ص ١٣١ .

(٢) رواه الترمذي وحسنه .

(٣) سورة القصص الآية ٢٦ .

(٤) سورة القصص الآية ٢٧ .

(٥) يقصد عائشة .

(٦) سيرة النبي العربي ١ / ٤٨٤ .

وكان هذا درساً من عمر لابنته حتى تعود إلى رشدها وتفهم ما يجب عليها نحو رسول الله ﷺ ، فقد يغضب النبى منها ، ولا يغضب من الأخرى.

• **فصاحة حفصة**

كانت السيدة حفصة رضى الله عنها كاتبة ذات فصاحة وبلاغة، قالت فى مرض أبيها عمر : يا أبتاه وما يحزنك وفادتك على رب رحيم، ولا تبعة لأحد عندك ومعى لك بشارة، لا أذيع السر مرتين، ونعم الشفيع لك العدل، لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشك، وعفاف نهمتك، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين فى الأرض، ثم أنشأت تقول:

أكظـــم الغلة المخالطة ... القلب وأعزى وفى القرآن عزائى

لم تكن بغتة وفاتك وجدا ... إن ميعـــاد مـــن ترى للفناء [1]

وفى بعض الكتب أن حفصة بنت عمر خطبت بعد قتل أبيها فقالت :

الحمد لله الذى لا نظير له، الفرد الذى لا شريك له.

أما بعد : فكل العجب من قوم زين الشيطان أفعالهم، وأرعوى إلى صنيعهم، ورب فى الفتنة لهم ونصب حبائله لختلهم، حتى هم عدو الله بإحياء البدعة، ونبش الفتنة، وتجديد الجور بعد دروسه، وإظهاره بعد دثوره، وإراقة الدماء، وإباحة الحمى، وانتهاك محارم الله عز وجل بعد تحصينها ، فأضرى وهاج وتوغر وثار غضبا لله ونصرة لدين الله، فأخسأ الشيطان، ووقم كبده، وكفف إرادته، وقدع محنته، وأصعر خده؛ لسبقه إلى مشايعة أولى الناس بخلاقة رسول الله ﷺ ، الماضى على سنته، المقتدى بدينه، المقتص لأثره، فلم يزل سراجه زاهراً، وضوؤه لامعاً، ونوره ساطعاً، له من الأفعال الغرر، ومن الآراء المصاص، ومن التقدم فى طاعة الله اللباب، إلى أن قبضه الله إليه قالياً لما خرج منه، شانياً لما ترك من أمره، شيقاً لمن كان فيه، صبا إلى ما صار إليه، وائلاً إلى ما دعى إليه، عاشقاً لما هو فيه، فلما صار إلى التى وصفت، وعاين لما ذكرت أومأ بها إلى

---

(١) أعلام النساء ١ / ٢٧٥ .

أخيه فى المعدلة، ونظيره فى السيرة، وشقيقه فى الديانة، ولو كان غير الله أراد لأمالها إلى ابنه، ولصيرها فى عقبه ولم يخرجها من ذريته، فأخذها بحقها، وقام فيها بقسطها، ولم يؤده ثقلها، ولم يبهظه حفظها مشرداً للكفر عن موطنه، ونافرا له عن وكره، ومشيرا له من مجثمه، حتى فتح الله عز وجل على يديه أقطار البلاد ونصر الله بقدمه، وملائكته تكتنفه، وهو بالله معتصم، وعليه متوكل، حتى تأكدت عرى الحق عليكم عقدا، واضمحلت عرى الباطل عنكم حلا، نوره فى الدجنات ساطع، وضوؤه فى الظلمات لامع، قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظا لها إذا عجمها، وشانيا لها إذ سبوها، تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلا. ولا تبغى سواه نحلا، أخبرها أن التى يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها صوراً، وأدوم منها سروراً، وأبقى منها خلودا، وأطول منها أياما، وأغدق منها أرضا، وأنعت منها جمالا، وأتم منها بلهنية ، وأعذب منها رفهينة، فبشعت نفسه بذلك لعادتها، واقشعرت منها لمخالفتها، فعركها بالعزم الشديد، حتى أجابت بالرأى الجليد حتى انقادت ، فأقام فيها دعائم الإسلام، وقواعد السنة الجارية،ورواسى الآثار الماضية، وأعلام أخبار النبوة الطاهرة، وظل خميصاً من بهجتها قالياً لأثاثها، لا يرغب فى زبرجها، ولا تطمح نفسه إلى جدتها. حتى دعى فأجاب، ونودى فاطاع على تلك من الحال فاحتذى فى الناس بأخيه، فأخرجها من نسله وصيرها شورى بين إخوته. فبأى أفعاله تتعلقون؟ وبأى مذاهبه تتمسكون؟ أبطرائقه القويمة فى حياته؟ أم بعدله فيكم عند وفاته؟ ألهمنا الله وإياكم طاعته » [١].

• طلاقها

أخرج ابن سعد والطبرانى برجال الصحيح من مرسل قيس بن سعد أن النبى ﷺ طلق حفصة. فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقنى عن شىء. فجاء ﷺ فتخليت. فقال :«قال لى جبريل: راجع حفصة».

وروى ابن خيثمة عن أنس أنه ﷺ طلق حفصة تطليقة. فأتاه جبريل، فقال: طلقت حفصة وهى صوامة قوامة، وهى زوجتك فى الجنة؟

(١) المرجع السابق ١ / ٢٧٦، ٢٧٧ .

وفى تفسير ابن كثير: روى أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه من طرق عن عمر أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، ثم راجعها، وهذا إسناد قوى،

وأخرج الحاكم عن أنس وصححه قال :«قال جبريل: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى الجنة» كما فى الجامع الصغير.

وعن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ طلق حفصة، فبلغ ذلك عمر، فحثا على رأسه التراب وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها.

فنزل جبريل من الغد، وقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر.

ثم أراد أن يطلقها ثانية، فقال له جبريل: لا تطلقها ، فإنها صوامة قوامة.

وروى أبو يعلى عن ابن عمر قال: دخل عمر على حفصة وهى تبكى فقال: لعل رسول الله ﷺ قد طلقك؟ إنه كان قد طلقك ثم راجعك من أجلى. فإن كان قد طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً». قال ابن كثير : رجاله على شرط الشيخين.

وفى رواية لمسلم : والله لأعلم أن رسول الله لا يحبك، ولولا أنا لطلقك [١].

• فضلها

كانت صوامة قوامة، كما صح فى الأحاديث . وقالت عائشة عنها: إنها ابنة أبيها، تنبيهاً على فضلها[٢]، .

واسترضاها النبى ﷺ لما عتبت عليه بوطء مارية فى بيتها، فحرمها.

شهد غزوة بدر من أهلها سبعة: أبوها وعمها زيد، وزوجها خنيس.

وأخوالها: عثمان وعبد الله وقدامة، والسائب بن خالها عثمان. ،

رُوِى لها عن النبى ﷺ ستون حديثاً، فى البخارى منهاخمسة.

وروى عنها جماعة من الصحابة والتابعين [٣].

• جمع القرآن

لما استحر القتل فى القراء فى حروب اليمامة وأهل الردة، رأى عمر أن يجمع القرآن فى مصحف خشية أن يهلك الحفاظ فيضيع القرآن، فلم يزل بأبى بكر حتى رضى بذلك، فدعا زيد بن ثابت فلم يزل به أبو بكر حتى رضى، وهو الذى قام بجمع القرآن[٤].

---

(١) الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ٢١٠، ٢١١ .

(٢) رواه أبو داود عن الزهرى (٣) المرجع السابق ٦/ ٢١٠ .

(٤) الخلفاء الراشدون عبد الوهاب النجار ص ١٠٤ .

أخرج البخارى عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإنى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن، إلا أن يجمعوه، وإنى لأرى أن يجمع القرآن .

قال أبو بكر : فقلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ.

فقال عمر : هو والله خير !!

فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، فرأيت الذى رأى عمر.

قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل ولا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفنى نقل جبل ما كان أثقل على مما كلفنى به من جمع القرآن .

فقلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبى ﷺ؟

فقال أبو بكر : هو والله خير! فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر وعمر «فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف، والعسب، وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين عند خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله . ثم عند عمر حتى توفاه الله . ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها .

وهكذا: نرى أن جمع القرآن الكريم كان بمشورة عمر بن الخطاب مع أبى بكر الصديق،واختار أبو بكر فى حضور عمر شخصاً غير متهم هو زيد بن ثابت الذى أخبر أنه لو كلف بنقل جبل لكان أيسر عليه من جمع القرآن الكريم .

وبعد جمع القرآن الكريم اختير أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليحفظ عنده، ثم اختير من بعده الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليحفظ عنده المصحف، ولمنزلة حفصة العظيمة عند أصحاب رسول الله ﷺ، ولأمانتها فقد اختيرت بعد أبيها عمر ليكون المصحف فى بيتها إلى أن جاء عثمان بن عفان خليفة

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

للمسلمين فنسخ من الأصل عدة نسخ وزعت على الأمصار، لكن الأصل أعيد إلى بيت السيدة حفصة بنت عمر ليكون فى أمانتها.

فقد «قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى،

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا...»[1].

● وفاة عمر

فكما شهدت حفصة أمجاد أبيها، فقد فتح الفتوح ومصر الأمصار، ففتح العراق، والشام، ومصر، والجزيرة، وديار بكر، وأرمينيا، وأذربيجان، وبلاد الجبال، وبلاد فارس، وخرزستان وغيرهم. وأدر العطاء على الناس،ونزل نفسه بمنزلة الأجير وكآحاد المسلمين فى بيت المال، ودون الدواوين، ورتب الناس على سابقتهم فى الإسلام، رتبهم فى العطاء والإذن والإكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولاً عليه، وكذلك فعل بالعطاء، وأثبت أسماءهم فى الديوان على قربهم من رسول الله ﷺ.

فقد رُوِّعت ورُوِّع المسلمون معها بمقتل أبيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقبيل وفاته رضى الله عنه رأى كأن ديكاً نقره نقرة أو نقرتين وفسر عمر ذلك بحضور أجله.

لذا قال : إن عجل بى أمر فالخلافة شورى فى هؤلاء الرهط الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض[2].

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن.

(٢) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٣١١.

● **وفاة حفصة**

أقامت السيدة حفصة رضى الله عنها بالمدينة عاكفة على العبادة، قوامة صوامة، إلى أن توفيت فى عهد معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية، وشيعتها المدينة إلى مثواها بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضى الله عنهن.

وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة وحمل سريرها بعض الطريق ثم حمله أبو هريرة إلى قبرها ونزل فيه أخواها عبد الله وعاصم، وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر .

ويبقى مع ذكراها:

أماً للمؤمنين .

حافظة للمصحف الشريف.

ما روت من الحديث عن النبى ﷺ ،وعن أبيها عمر رضى الله عنهما » .

والراجح أنها توفيت سنة خمس وأربعين » [1].

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين حفصة رحمة واسعة .

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٦٠، والإصابة ٧/ ٥٨٣ .

[٥] أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة
رضى الله عنها

هى : زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

أغفلت معظم المصادر اسم أمها، لكن ثبت أنها أخت ميمونة بنت الحارث - أم المؤمنين - لأمها، وذلك اعتماداً على روايتين :

الأولى: لابن عبد البر عن أبى الحسن الجرجانى النسابة .

الثانية : للنسابة أبى جعفر بن حبيب فى مبحث أسلاف رسول الله ﷺ من قبل ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية [١] .

وبذلك نستطيع أن نقول : أمها «هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة الحميرية» أو «خولة بنت عوف بن الحارث بن حماطة الحميرية فى رأى آخر».

وكانت السيدة زينب تلقب بأم المساكين لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم [٢] .

: «وكان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم» [٣] .

● **زواجها قبل النبى**

اختلف العلماء فيمن كانت عنده السيدة زينب بنت خزيمة قبل النبى ﷺ ولهم فى ذلك أربعة آراء :

١ - كانت تحت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب، ثم طلقها، فخلفه عليها أخوه عبيدة بن الحارث رضى الله عنه الذى استشهد فى غزوة بدر، فخلفه عليها النبى ﷺ .

وبهذا قال ابن سيد الناس، والمحب الطبرى وأحد الأقوال فى الإصابة [٤]، وقد رجحت بنت الشاطئ هذا الرأى فى ترجمتها لها [٥] .

---

(١) نساء النبى لبنت الشاطئ ص ٣١٤ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام .
(٣) الاستيعاب ٤ / ٧١٥٣، والإصابة ٧ / ٦٧٣ .
(٤) الإصابة ٧ / ٦٧٢ .
(٥) نساء النبى ص ٣١٥ .

٢ - كانت عند الطفيل بن الحارث فطلقها، فخلف عليها النبى ﷺ.
وبهذا قال الطبرى ،وابن عبد البر عن قتادة .

٣ - كانت عند ابن عمها جهيم بن عمرو بن الحارث، ثم بعده عند عبيدة فاستشهد فخلف عليها الرسول ﷺ.

٤ - كانت عند عبد الله بن جحش فاستشهد فى أحد، فخلف عليها النبى ﷺ [١] وذلك سنة ثلاث من الهجرة، ولعلها كانت حاملاً من عبد الله فاسقطت بعد موته فانتهت عدتها فتزوجها النبى ﷺ فى السنة نفسها، لأن أحُداً كانت فى شوال، ولو لم تكن حاملاً لاعتدت بأربعة أشهر وعشر، فيكون زواج النبى ﷺ بها سنة أربع من الهجرة [٢].

وبهذا قال الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ودليله أن عدتها لا تنتهى من عبد الله بن جحش إلا فى آخر صفر من السنة الرابعة [٣].

وهكذا نرى أن العلماء قد اختلفوا فى سنة زواجها من النبى ﷺ.

فمن قائل كان زواجها من النبى ﷺ فى السنة الثالثة من الهجرة.

وبهذا قالت د. بنت الشاطئ والشيخ الخضرى.

ومن قائل بأن زواجها من النبى ﷺ كان فى السنة الرابعة لهجرة المصطفى ﷺ، وبهذا قال الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة كما قدمنا.

● زواج النبى بها

خطبها النبى ﷺ للزواج وكانت سنها حوالى الثلاثين.فزوجها له قبيصة بن عمرو الهلالى. وأصدقها أربعمائة درهم.

وقيل: اثنتى عشرة أوقية ونشا.

وكان مكثها عند النبى ﷺ لا يتجاوز العام.

وقيل: شهران، وقيل: ثلاثة، وقيل: ثمانية.

● أخطاء يجب أن تصحح

الأول: قال ابن الأثير [٤]: ذكر ابن منده فى ترجمتها حديث «أولكن لحاقاً بى أطولكن يدا.. » الحديث.

---

(١) ابن حجر الإصابة ٧ / ٦٧٣ .

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦ / ٢٠٨ .

(٣) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ٢ / ٢٠٣ .

(٤) أسد الغابة ٥ / ٤٦٧ .

الصحيح : قال صاحب الإصابة [1] : فى ترجمة السيدة زينب بنت جحش، وهو بها أليق؛ لأن المراد بلحوقهن به موتهن بعده، وهذه ماتت فى حياته ﷺ وهو تعقب قوى.

الثـانى : أخـرج ابن سعـد [2] فى ترجمتها أنها كانت لها خادم سوداء فقالت : يا رسول الله، أردت أن أعتق هذه .

فقال لها: «ألا تفدين بها بنى أخيك أو بنى أختك من رعاية الغنم».

والصحيح ما قاله صاحب الإصابة [3] قال: قلت : وهذا خطأ ، فإن صاحب هذه القصة هى ميمونة بنت الحارث، وهى هلالية، وفى الصحيح نحو هذا من حديثها، وقد ذكر ابن سعد نحوه فى ترجمة ميمونة من وجه آخر».

الثـالث: كـتب الشيخ محـمـد المدنى فى مجـلة الـرسـالة عدد ١١٠٣ تاريخ ١٩٦٥/٣/٤ فـيه مـا نصـه: وكـانت زينب بنت جحش رضى الله عنها هى أجودهن - يعنى أزواج النبى - وأبرهن باليتامى والمساكين .. حتى كانت تعرف بأم المساكين.

والصحيح ما ردت به عليه الدكتورة بنت الشاطئ [4] حيث قـالت: ولست أدرى من أين جاء فضيلته بهذا اللقب للسيدة زينب بنت جحش، فكل مصادرنا عن السيرة وطبقات الصحابة وكتب التاريخ الإسلامى الأولى، تجمع أن لقب أم المساكين كان للسيدة زينب بنت خزيمة .

- **منزلتها**

المتأمل للحياة القصيرة لأم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة- فقد ظلت فى بيت النبى ﷺ شهرين أو ثلاثة [5] أو ثمانية [6] على أكثر تقدير- يجد أن السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله عنها قد أجمع الجميع على وصفها بالطِّيبة والكرم والعطف على الفقراء، ولا يكاد اسمها يذكر فى أى كتاب مما ذكرنا إلا مقروناً بلقبها الكريم أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم ولرحمتها الزائدة بهم .

---

(١) الإصابة ٦٧٣/٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨٢/٨ .

(٣) الإصابة ٦٧٧/٣ .

(٤) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٣١٨ .

(٥) الاستيعاب ١٨٥٣/٤ .

(٦) الطبقات الكبرى ٨٢/٨ .

• **وفاتها**

توفيت سنة أربع من الهجرة فى شهر ربيع الأول أو الآخر. والراجح أنها رضى الله عنها ماتت فى الثلاثين من عمرها بعد حياة قصيرة لكنها امتلأت بجلائل الأعمال ويكفى السيدة زينب بنت خزيمة فخراً أنها رغم قصر حياتها فقد خرجت من الدنيا بثلاثة ألقاب هى :

زوج النبى ﷺ

أم المؤمنين

أم المساكين

وقد صلى عليها النبى ﷺ ودفنت بالبقيع، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين اللاتى لم يمت فى حياة النبى ﷺ سواها ، ومن قبلها أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد والمدفونة بالحجون فى مكة المكرمة.

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رحمة واسعة.

[٦] أم المؤمنين السيدة أم سلمة
رضى الله عنها

هى : أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، أم المؤمنين ، اسمها هند على الأصح، وقيل: رملة، وكنيت بابن لها اسمه سلمة.

واسم أبيها : حذيفة أو زهير، وقيل: سهيل، ويلقب «زاد الركب» لأنه كان أحد الأجواد ، فكان إذا سافر لا يترك أحدا يرافقه ومعه زاد ، بل يكفى رفقته من الزاد.

أمها : عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية من بنى فراس (١) وليست عاتكة بنت عبد المطلب، وأخواها عبد الله وزهير ابنا عمته عليه السلام.

كان ميلادها سنة عشر قبل البعثة .

من السابقات إلى الإسلام، ذات رأى وعقل وكمال وجمال، هاجرت إلى الحبشة والمدينة، ويقال إنها أول ظعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة .

● **زواجها قبل النبى**

كانت قبله ﷺ عند أبى سلمة رضى الله عنه : عبد الله بن عبد الأسد ابن عمته برة بنت عبد المطلب، وأخوه ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما: ثويبة جارية أبى لهب فترة من الزمان .

تزوجت أبا سلمة سنة أربع من البعثة وسنها أربع عشرة سنة .

وأبو سلمة أحد السابقين إلى الإسلام، فقد كان ترتيبه الحادى عشر، وممن شهد بدراً وأحداً، وأصيب بسهم فى أحد وأخذ يعل عليه، فاستشهد بعد أشهر منها ، وَخَلَّفَ: سلمة ، ودرة،وعمر،وزينب. أربع عيال. ودام زواجهما ثلاث عشرة سنة.

● **حب أم سلمة لأبى سلمة**

كانت أم سلمة سعيدة بزوجها أبى سلمة تعزه وتجله، وتتحدث عنه بكل الخير.

قالت أم سلمة : قلت مرة لأبى سلمة: بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة، ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما فى الجنة ! وكذلك إذا ماتت امرأة ويقى الرجل بعدها !.

---

(١) الإصابة ٨/ ٢٢١، ٢٢٢ .

وقلت له : أعاهدك ألا أتزوج بعدك، وألاتتزوج بعدى !!
فقال أبو سلمة : أتطيعينني؟
قلت: ما استشرتك إلا لأطيعك .
قال: إذا مت فتزوجي !! .
ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم ازرق أم سلمة بعدى خيراً منى، لا يخزيها ولا يؤذيها !!».
قالت أم سلمة : فلما مات قلت: ومن هذا الذى هو خير لى منه؟
وكنت قد سمعت أن رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ويقول:«إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتى، فأبدلنى خيراً منها!». فلما مات أبو سلمة قلت لنفسى: من هذا الذى هو خير من أبى سلمة! ومازلت مترددة فى الدعاء. ثم دعوت [1]».

• جانب من جهادها

لما عزم زوجها أبو سلمة على الهجرة إلى المدينة بعد عودته من هجرة الحبشة خرج يقود بعيره وعليه زوجته وابنه فاعترضهم رجال من بنى المغيرة أهل زوجته. فقالوا له: «هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟».
ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوا زوجته.
فغضب بنو عبد الأسد وأهووا إلى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا.
فتجاذبوا سلمة حتى خلعوا يده، و انطلق به بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة.
تقول أم سلمة: وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة حتى لحق بالمدينة ففرق بينى وبين زوجى وابنى، فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح،فما أزال أبكى حتى أمسى سبعاً أو قريبها حتى مر بى رجل من بنى عمى فرأى ما فى وجهى.
فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ! .
فقالوا: الحقى بزوجك إن شئت.
ورد على بنو عبد الأسد عند ذلك ابنى [2].

---

(١) سيرة النبى العربى ١ / ٥٧٥، ٥٧٦ .
(٢) الإصابة ٨ / ٢٢٢ .

و تصور هذه الأبيات اجتماع أم سلمة بولدها بعد فراق [1]:

حبيبى أحقـــا عدت لى اليوم بعد ما فقدتك عـــاما ما عرفت به البشرا

أســـــائل عـــنك الريح عند هبوبها وأستنطق الأفـلاك والسحب والبدرا

وكـــم كنت أخشى أن تمـــد يد الردى إليـــك شباكا تقنص الليث والنسرا

فســـل مقـــلتى هل داعب النوم جفنها وسل قلبى الولهان هل نسى الذكرى

أحقـــــا تراك العين يا من سلبتها لذيذ الكـــــرى أم ذاك وهم بها قرا

لقـــــد خلـــعت يمناك سلت يمينهم فيــاليتها اليمنى بجسمى واليسرى

قضى الله أن نشقى فكان الذى قضى فهـــل كتب الله السعادة واليسرا

● **الهجرة إلى المدينة**

بعد أن رد أهل أبى سلمة الولد إلى أمه، خرجت تريد زوجها، تقول أم سلمة: فقالوا: الحقى بزوجك إن شئت، ورد على بنو عبد الأسد عند ذلك ابنى، فرحلت بعيرى ووضعت ابنى فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة، وما معى أحد من خلق الله ، فكنت أبلغ من لقيت، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بنى عبد الدار، فقال: أين يا بنت أبى أمية؟

قلت : أريد زوجى بالمدينة .

فقال : هل معك أحد؟ .

فقلت : لا ، والله إلا الله وابنى هذا .

فقال: والله مالك من مترك ! فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يقودنى. فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم منه، إذا نزل المنزل أناخ بى ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى قدمه ورحله، ثم استأخر عنى، وقال: اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى نزلت، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء.

قال : إن زوجك فى هذه القرية، وكان أبو سلمة نازلاً بها » [2].

---

(١) هذه الأبيات منقولة من كتاب ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص ٤٧٧ .

(٢) الإصابة ٨/ ٢٢٢، ٢٢٣ .

وجمع الله تبارك وتعالى شمل أسرة أبى سلمة وعاشت فى المدينة عيشة طيبة إلى أن بلغ النبى ﷺ بعد شهرين اثنين من معركة أحد أن بنى أسد يدعون إلى مهاجمته فى دار هجرته.

عندئذ دعا النبى ﷺ إليه أبا سلمة فعقد له لواء سرية إلى قطن، وهو جبل بناحية فيد- ماء لبنى أسد بن خزيمة - ومعه مائة وخمسون رجلاً، منهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص.

ونفذ أبو سلمة ما أمر به النبى ﷺ من أخذ العدو على غرة، فأحاط بهم فى عماية الصبح على غير أهبة لنضال، وقاد معركة ظافرة، ثم رجع وصحبه إلى المدينة سالمين غانمين، فقد أعادوا بعض ما ضيعت أحد من هيبة المسلمين.

فى هذه السرية انتكأ الجرح الذى أصاب أبا سلمة يوم أحد، فظل به حتى مات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع .

وحضره النبى وهو على فراش موته، وبقى إلى جانبه يدعو بخير حتى مات، فأسبل بيده الكريمة عينيه، وكبر عليه تسع تكبيرات.

قيل له: يا رسول الله أسهوت أم نسيت ؟

فقال: لم أسه ولم أنس، ولو كبرت على أبى سلمة ألفا، كان أهلاً لذلك»[1].

ولما كان أبو سلمة قد دعا الله تبارك وتعالى بأن يرزق أم سلمة خيراً منه، ودعت ربها بقولها:«إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتى ، فأبدلنى خيراً منها ». فقد استجاب الله تعالى لدعاء الزوجين الصالحين الصادقين وكان الرسول ﷺ، هو الذى خلف أبا سلمة .

• زواج النبى بأم سلمة

لما انقضت عدتها - من أبى سلمة - خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ، فقالت: مرحباً برسول الله وبرسوله.

أخبر رسول الله أنى امرأة غيرى.

وأنى مصبية.

وأنه ليس أحد من أوليائى شاهد.

فبعث إليها رسول الله ﷺ. أما قولك إنى مصبية فإن الله سيكفيك صبيانك.

وأما قولك إنى غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك.

وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضانى.

---

(١) نساء النبى د. بنت الشاطئ ص٣٢٣، ٣٢٤ بتصرف .

قال: قالت : يا عمر قم فزوج رسول الله .

وكان رسول الله يأتيها ، فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها فى حجرها لترضعها ، وكان ﷺ حيياً كريماً يستحى فيرجع.

فعل ذلك مراراً. ففطن عمار بن ياسر لما تصنع.

قال: فأقبل ذات يوم وجاء عمار وكان أخاها لأمها؛ فدخل عليها فانتشطها من حجرها ، وقال: دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى آذيت بها رسول الله.

فدخل رسول الله فأخذ يقلب بصره فى البيت ، ويقول : أين زناب ؟ وما فعلت زناب ؟ .

قالت : جاء عمار فذهب بها.

قال : فبنى رسول الله بأهله، ثم قال: إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء »[1].

● **رواية أخرى**

قالت أم سلمة: لما انقضت عدتى من أبى سلمة أتانى رسول الله ﷺ ، فكلمنى بينى وبينه حجاب، فخطب إلى نفسى،

فقلت: أى رسول الله وماتريد إلى، ما أقول هذا إلا رغبة لك عن نفسى.

إنى امرأة قد أدبر منى سنى.

وإنى أم أيتام.

وأنا امرأة شديدة الغيرة، وأنت يا رسول الله تجمع النساء.

فقال رسول الله: فلا يمنعك ذلك.

أما ما ذكرت من غيرتك فيذهبهاالله.

وأما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك سنا ،

وأما ما ذكرت من أيتامك فعلى الله ورسوله.

فأذنت له فى نفسى فتزوجنى،

فلما كانت ليلة البناء قمت من النهار إلى رحلى وثقالى فوضعتهما ، وقمت إلى فضلة شعير لأهلى فطحنتها ، وفضلة من شحم فعصدتها لرسول الله ، فلما أتانا رسول الله قدم إليه الطعام فأصاب منه، وبات تلك الليلة ، فلما أصبح قال : قد أصبح بك على أهلك كرامة ولك عندهم منزلة ، فإن أحببت أن تكون ليلتك هذه ويومك هذا كان.

وإن أحببت أن أسبع لك سبعت وإن سبعت لك سبعت لصواحبك.

قالت: يا رسول الله افعل ما أحببت[2].

● **من الذى زوج أم سلمة للنبى؟**

هناك رأى يقول إن عمر بن أبى سلمة هو الذى زوج أمه للنبى ﷺ وهذا رأى ابن عباس.

وفى تزويج عمر بن أبى سلمة أمه النبى ﷺ خلاف:

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ٨ / ٦٣ .

قال ابن القيم: قال ابن سعد فى الطبقات: ولى تزويجها منه سلمة بن أبى سلمة دون غيره من أهل بيتها، ولما زوج النبى ﷺ سلمة بن أبى سلمة أمامة بنت حمزة التى اختصم فيها على وجعفر وزيد، قال: هل جزيت سلمة؟ .

يقول ذلك لأن سلمة هو الذى تولى تزويجه دون غيره من أهلها، ذكر هذا فى ترجمة أم سلمة.

ثم ذكر فى ترجمة أم سلمة عن الواقدى: حدثنى مجمع بن يعقوب عن أبى بكر بن محمد بن عمر بن أبى سلمة عن أبيه أن رسول الله ﷺ خطب أم سلمة إلى ابنها عمر ابن أبى سلمة فزوجها رسول الله ﷺ وهو يومئذ غلام صغير.

وقال الإمام أحمد فى المسند: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن أبى سلمة حدثنا ثابت، قال: حدثنى ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أم سلمة: أنها لما انقضت عدتها من أبى سلمة بعث إليها رسول الله ﷺ «فقالت مرحباً برسول الله ﷺ، وإنى امرأة غيراء، وإنى مصبية، وليس أحد من أوليائى حاضراً...» الحديث.

وفيه فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله ﷺ ، فزوجه وفى هذا نظر: فإن عمر هذا كان سنه لما توفى رسول الله ﷺتسع سنين.

ذكر ابن سعد: تزوجها رسول الله فى شوال سنة أربع، فتكون له من العمر حينئذ ثلاث سنين، ومثل هذا لا يزوج ،قال ذلك ابن سعد وغيره.

ولما قيل ذلك للإمام أحمد،قال: من يقول إن عمر كان صغيراً.

قال أبو الفرج بن الجوزى: ولعل أحمد قال هذا قبل أن يقف على مقدارسنه.

وقد ذكر مقدار سنه جماعة من المؤرخين منهم ابن سعد وغيره.

وقد قيل: إن الذى زوجها من رسول الله ﷺ ابن عمها عمر بن الخطاب، ونسب عمر ونسب أم سلمة يلتقيان فى كعب فوافق اسم ابنها عمر - اسم عمر بن الخطاب- فقالت: قم يا عمر فزوج رسول الله ﷺ، فظن بعض الرواة أنه ابنها فرواه بالمعنى، وقال: فقالت لابنها وذهل عن تعذر ذلك عليه لصغر سنه.

ونظير هذا وهم بعض الفقهاء فى هذا الحديث وروايتهم له، فقال رسول الله ﷺ: قم يا غلام فزوج أمك .

قال أبو الفرج بن الجوزى ، وما عرفنا هذا فى هذا الحديث، قال: وإن ثبت فيحتمل أن يكون قاله على وجه المداعبة للصغير، إذ كان له من العمر يومئذ ثلاث سنين

لأن رسول الله ﷺ تزوجها فى سنة أربع ومات ولعمر تسع سنين.

ورسول الله ﷺ لا يفتقر نكاحه إلى ولى.

وقال ابن عقيل: ظاهر كلام أحمد أن النبى ﷺ لا يشترط فى نكاحه الولى وأن ذلك من خصائصه »[1].

• غيرة عائشة منها

لما تزوج رسـول الله - ﷺ - من أم سلمة، تحدثت نساء المدينة عن جمالها وجلالها، فكانت لاتزال تحتفظ بنصيب وافر من الجمال، مما جعل السيدة عائشة رضى الله عنها تغار منها وتحتال لرؤيتها.

قالت عائشة رضى الله عنها: لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً، لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت لها حتى رأيتها، وهى لا تعرفنى، فرأيت أضعاف ماوصف لى من الحسن والجمال. فرجعت من عندها تأكلنى الغيرة منها! وقلت لحفصة عما رأيت،

فقالت لى : إن هذا من الغيرة يا عائشة، نظرت إليها وأنت تغارين منها.

قلت لها: فاذهبي أنت إليها.

فذهبت حفصة متخفية كما فعلت، ورجعت إلى تقول: إنها جميلة، ولكن ليس كما تقولين يا عائشة، فإن الكبر يظهر عليها، لقد ذهب معظم شبابها مع الأيام، وبقيت منه بقية لا تصبر على الزمن طويلاً، ففرجت عنى ما كانت تضيق به نفسى !!

فقلت : أذهب إليها مرة أخرى لأتحقق من قول حفصة، فرأيتها كما وصفتها، فحمدت الله أنها لم تكن شابة تنازعنى حبى لرسول الله وحبه لى »[2].

• منزلتها

كانت رضى الله عنها عاقلة عالمة راوية روت عن رسول الله بالذات، وبالواسطة، وعن غيره من الصحابة، وعنها روى الكثيرون، وقد ساهمت فى نشر العلم والحكمة عن رسول الله وبسبب سؤالها للنبى نزلت بعض آيات القرآن وتشريعاته.

وكان الوحى ينزل على رسول الله فى بيت عائشة فتباهى بذلك ضرائرها حتى

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ١ / ٢٦، ٢٧ .

(٢) سيرة النبى العربى ١ / ٥٧٧، ٥٧٨ .

تزوج النبي ﷺ أم سلمة فكان مما أوحي إليه في بيتها قول الله تعالى ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1].

وفي سبب نزول الآية يروون أن النبي ﷺ لما غزا بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة، وحصرهم حتى جهدهم الحصار، قذف الله في قلوبهم الرعب فبعثوا إلى رسول الله أن يرسل إليهم صاحبه أبا لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ليستشيروه في أمرهم.

فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم. وسألوه: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فأجاب : نعم الذبح،وأشار بيده إلى حلقه . فمازالت قدماه من مكانهما حتى عرف أنه خان الله ورسوله، وانطلق على وجهه، فربط نفسه إلى عمود من عمد المسجد، وقال : «لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله على مما صنعت».

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع..».

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه قال: «أما أنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه».

ثم روى ابن اسحاق بسنده، أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر وهو في بيت أم سلمة، فقالت،وقد سمعته يضحك:

قلت: مم تضحك يا رسول الله ، أضحك الله سنك؟

قال: «تيب على أبي لبابة».

قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ فقال:«بلى ، إن شئت».

فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب الحجاب على أمهات المؤمنين،فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك.

فثار الناس ليطلقوه فأبي وقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده.

فلما مر رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه» [2].

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣ /١٤٣ ، ١٤٤ ، نساء النبي د. عائشة عبد الرحمن /٣٢٨، ٣٢٩ .

• عمرة الحديبية

انقضت ست سنوات منذ الهجرة، والمسلمون يتحرقون شوقاً يريدون زيارة الكعبة، ويريدون الحج والعمرة،وإنهم لمجتمعون بالمسجد ذات صباح إذ أنبأهم النبى ﷺ بما ألهم فى رؤياه الصادقة » [1].

لقد رأى رسول الله ﷺ فى منامه أنه يدخل الكعبة هو والمسلمون محلقين رؤوسهم ومقصرين، وكان المشركون قد منعوهم منذ الهجرة من دخول مكة حتى فى الأشهر الحرم التى يعظمها العرب كلهم فى الجاهلية، ويضعون السلاح فيها، ويستعظمون القتال فى أيامها والصد عن المسجد الحرام، حتى أصحاب الثارات كانوا يتجمعون فى ظلال هذه الحرمة ويلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فلا يرفع فى وجهه سيفا ،ولا يصده عن البيت الحرام. ولكنهم خالفوا عن تقاليدهم الراسخة فى هذا الشأن، وصدوا رسول الله ﷺ والمسلمين معه طوال السنوات الست التى تلت الهجرة. حتى كان العام السادس الذى رأى فيه رسول الله ﷺ هذه الرؤيا وحدث بها أصحابه رضوان الله عليهم فاستبشروا بها وخرجوا » [2].

قال ابن إسحاق: واستنفر الرسول العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ،أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ولحق به من لحق من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

ولقد علمت قريش بخروج النبى ﷺ فخرجت لملاقاته،

ولما كان الرسول لا يريد قتالاً فقد سار بالمسلمين فى طريق غيرالطريق المعهود حتى وصل إلى الحديبية الواقعة على طرف حدود أراضى مكة، وهناك نزل عن ناقته القصواء ونزل المسلمون عن رواحلهم، وعلم الجيش بنزول النبى بالحديبية فأسرع إلى مكة لحمايتها وعسكرت قريش بقواتها على جميع مداخلها » [3].

---

(١) العرب وظهور الإسلام د. محمود محمد زيادة ص ٢٨٢ .

(٢) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٦/ ٣٣٢٦ .

(٣) العرب وظهورالإسلام د. محمود محمد زيادة ص ٢٨٩ .

وقد تمت سفارات بين الطرفين انتهت بعقد صلح بينهما من أهم بنوده:

١ - عقد هدنة بين الطرفين مدة عشر سنين «على عدم القتال».

٢ - من جاء المسلمين من قريش يردونه، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلتزمون برده.

٣ - أن يرجع النبى من غير عمرة هذا العام ثم يأتى العام المقبل فيدخلها أصحابه بعد أن تخرج منها قريش، فيقيم فيها ثلاث أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف فى القراب والقوس.

٤ - من أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه [1].

وما كاد هذا العهد يوقع حتى حالفت خزاعة الرسول ﷺ وحالفت بنو بكر قريشاً.

• موقف الصحابة من صلح الحديبية

عز على المسلمين قبول الرسول ﷺ لهذه الشروط، وكاد الشيطان ينزغ بينهم لأنهم كانوا يرون أنهم سيدخلون مكة هذا العام لمكان رؤيا رسول الله من أنفسهم فإذا هم يردون عنها وهم على ما هم عليه من كثرة العدد، وقوة الإيمان دون قتال، ويقدمون لقريش يد الضعيف الراضى باليسير.

ونزل بالمسلمين من أمر هذا الصلح شيء عظيم حتى ثاروا وأخذوا يتساءلون فيما بينهم عن حكمة هذا الصلح، على أن أحداً منهم لم يجرؤ على مفاتحة الرسول ﷺ فى شأن هذا الصلح، حتى قام عمر وقد طوعت له جرأته أن يذهب إلى الرسول وسط هذه العاصفة ويسأله : ألست نبى الله حقا؟ قال عليه السلام : «بلى».

قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ .قال: «بلى».

قال: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟

قال: «إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى».

قال : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟

قال: «بلى، أنا خبرتك أنا نأتيه العام؟ . قال عمر : لا .

قال ﷺ: «فإنك آتيه وتطوف به».

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٠٣ .

ولم تهدأ ثائرة عمر رضى الله عنه مع ذلك إلا بعد أن جاء أبا بكر بما سأل به الرسول من قبل، فأجابه أبو بكر رضى الله عنه بمثل إجابة الرسول ﷺ »[1].

وآن للرسول ﷺ وأصحابه أن يتحللوا من عمرتهم بنحر هداياهم وحلق رؤوسهم، لذلك أصدر عليه الصلاة والسلام أمره الكريم فى المسلمين أن يقوموا فينحروا ويحلقوا. وكرر هذاالأمر ثلاثاً والمسلمون يسمعون، فلم يبادر أحد منهم للامتثال.

• رأى صائب لأم سلمة

دخل عليه السلام على زوجه أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها وقد أخذ الغضب منه كل مأخذ، وقال لها : هلك المسلمون، أمرتهم فلم يمتثلوا.

فقالت: يا رسول الله ، إنهم راموا فى الله أمراً فلم ينالوه، وقد حملت نفسك وإياهم بهذا الصلح أمراً عظيماً، فهم لذلك مكروبون، فاعذرهم يا رسول الله، وأبدأ بما تأمرهم به دون أن تكلم أحداً منهم.

فقام عليه السلام فخرج ولم يكلم أحداً كلمة حتى نحروا، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا. نحروا وحلقوا والأسى يملأ قلوبهم فهم ليس لهم عادة بهزيمة ولا تسليم من غير قتال»[2].

ونظر رسول الله ﷺ إلى رؤوس أصحابه، فقال: «يرحم الله المحلقين».

قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ . قال : «يرحم الله المحلقين».

قالوا : يا رسول الله والمقصرين. قال: «يرحم الله المحلقين»،

قالوا: يا رسول الله والمقصرين ، قال: «والمقصرين».

قالوا : فلم ظاهرت الترحم على المحلقين دون المقصرين .

قال: لأنهم لم يشكوا فى الله ورسوله ﷺ »[3].

وبينما هم فى الطريق إلى المدينة نزلت على الرسول سورة الفتح .

بسم الله الرحمن الرحيم :﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[4] الآيات .

فلما سمع عمر ذلك سأل النبى ﷺ : أو فتح هو يا رسول الله ؟

---

(١) تفسير سورة الفتح الأستاذ الدكتور / أحمد السيد الكومى ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ . (٣) رواه البخارى . (٤) سورة الفتح الآيات ١-٣ .

قال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده إنه لفتح ».

وهكذا نرى أن الرسول ﷺ يرجع إلى أم سلمة رضى الله عنها فى ظرف من أدق الظروف، يستشيرها فإذا بها تشير عليه بالرأى الصائب الذى أراح النبى ﷺ والمسلمين معه.

وكان عمر بن الخطاب لا يهاب من زوجات النبى ﷺ أحداً أكثر من أم سلمة، وكان يدرك منزلتها ويحترم رأيها.

وحين تآمرت نساء النبى ﷺ على الرسول يطلبن التوسعة عليهن فى الرزق، ذهب عمر إلى أم سلمة- وكانت من قرابته - وهو يستنكر ما يفعله نساء النبى ﷺ فقالت له أم سلمة : «عجباً لك يا ابن الخطاب! مالك ولهذا؟

قد دخلت فى كل شىء، حتى تبتغى أن تدخل بين النبى وأزواجه؟!» .

فردته رداً عنيفاً مما جعل عمر يراجع نفسه ويعتذر لها » [1].

• فضلها

١ - كانت من أجمل النساء فإن بنى مخزوم يشتهر نساؤهم بالجمال وحسن التبعل، حتى كان يقال: المخزوميات رياحين العرب.

روى ابن سعد أن عائشة قالت: لما تزوجها النبى ﷺ حزنت حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها، فذكرت ذلك لحفصة فقالت: ما هى كما يقال: فتلطفت حتى رأيتها، فرأيت والله أضعاف ما وصفت. فذكرت لحفصة، فقالت: نعم، ولكنك كنت غيرى.

٢ - كانت ذات عقل راجح ورأى صائب، وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدل على ذلك. قال إمام الحرمين: لانعلم امرأة أشارت برأى فأصابت إلا أم سلمة، وذلك أنها أشارت على النبى ﷺ بالبدء فى التحلل حين أُحْصروا عن دخول مكة عام الحديبية، حتى يقتدى به الناس الذين عز عليهم أن يَرجعوا دون زيارة البيت.

٣ - كانت ذات وفاء كبير لزوجها أبى سلمة كما يدل عليه كلامها السابق، وكذلك فى هجرتها معه إلى الحبشة، وهجرتها وحدها إليه بالمدينة بعد أن منعها القوم مدة طال فيها عذابها.

٤ - نزل بعض الوحى فى بيتها وهو قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويطهركم تطهيرا ﴾ .

روى أحمد عنها قالت: يانبى الله ما لى أسمع الرجال يذكرون فى القرآن والنساء لا يذكرون، فأنزل الله ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ كما رواه الحاكم عنها قلت: يارسول الله لا نسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾.

---

(١) أخرجه البخارى .

● اهتمامها بدينها

ومما يدل على علمها وفضلها واهتمامها بأمور دينها أنها رأت رسول الله ﷺ مرة يصلى ركعتين بعد صلاة العصر ،وكانت قد سمعت أنه ينهى عنهما ، فلما انتهى من صلاتهما ، سألته: ماذا صليت بعد العصر يا رسول الله ؟ .

فقال عليه السلام : «يا بنت أبى أمية سألت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتانى ناس من عبد القيس فشغلونى عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان »[1].

فذكر لها الرسول ﷺ أنه صلاهما عوضاً عن ركعتين نافلتين شغل عنهما بعد الظهر بوفد حضر للإسلام من قبيلة عبد القيس التى تسكن ناحية البحرين[2].

● رؤيتها للأحداث

قالت أم سلمة لعثمان بن عفان وهى تعظه: يا بنى مالى أرى رعيتك عنك نافرين، وعن جناحك ناقرين ، لا تعف طريقاً كان رسول الله ﷺ يحبها ، ولا تقتدح بزند كان عليه السلام أكباه، وتوخ حيث توخى صاحباك، فإنهما ثكما الأمر ثكما ولم يظلما ، هذا حق أمومتى قضيته إليك، وإن عليك حق الطاعة .

فقال عثمان: أما بعد : فقد قلت فوعيت، وأوصيت فقبلت، ولى عليك حق النصتة. إن هؤلاء النفر رعاع ثغر تطأطأ لهم تطأطؤ الدلاء. وتلددت لهم تلدد المضطرب، فأرانيهم الحق إخوانا ، وأراهمونى الباطل شيطانا ،أجررت المرسون رسنه وأبلغت الراتع مسقاته، فتفرقوا على فرقا ثلاث، فصامت صمته أنفذ من صول غيره، وساع أعطانى شاهده ومنعنى غائبه فأنا منهم بين ألسن لداد ، وقلوب شداد ، وسيوف حداد ، عذرنى الله منهم أن لا ينهى عالم منهم جاهلا ، ولا يردع أو ينذر حليم سفيها ، والله حسبى وحسبهم يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون»[3].

● الفتنة الكبرى

لما كانت الفتنة الكبرى اندفعت تؤازر علياً ابن عم الرسول، وزوج ابنته الزهراء ، وأبا الحسن والحسين وودت لو تخرج فتنصره، لكنها كرهت أن تبتلى وهى أم المؤمنين بمثل ذلك الخروج؛ فجاءت علياً كرم الله وجهه وقدمت إليه ابنها عمر قائلة:«يا أمير المؤمنين، لولا أن أعصى الله عز وجل، وأنك لا تقبله منى، لخرجت معك، وهذا ابنى عمر، والله لهو أعز على من نفسى، يخرج معك فيشهد مشاهدك»[4].

---

(١) أخرجه البخارى .

(٢) سيرة النبى العربى ١ / ٥٧٩ .

(٣) أعلام النساء ٥ / ٢٢٤ .

(٤) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٣٢ .

ولما كانت السيدة عائشة رضى الله عنها قد آثرت الخروج ضد على رضى الله عنه، فقد كتبت لها أم سلمة رضى الله عنها: من أم سلمة زوج النبى ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين. فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ..أما بعد .

فقد هتكت سدة بين رسول الله ﷺ وأمته، حجاب مضروب على حرمته، قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه،وسكن الله من عقيراك فلا تصحريها صرح الله من وراء هذه الأمة، لو علم رسول الله ﷺ أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك، أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة فى الدين، فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع، جهاد النساء غض الأطراف وضم الذيول وقصر المودة، ما كنت قائلة لرسول الله ﷺ لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا من منهل إلى منهل، وغدا تردين على رسول الله ﷺ، وأقسم لو قيل لى يا أم سلمة ادخلى الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكة حجاباً ضربه على، فاجعليه سترك،وقاعة البيت حصنك، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم، ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشت نهش الرقشاء المطرقة،والسلام »[1].

• وفاتها

توفيت فى رمضان أو شوال سنة ٥٨ أو ٥٩ أو ٦٠ أو ٦١ أو ٦٢هـ، ودفنت بالبقيع،وصلى عليها أبو هريرة على الصحيح،وقيل: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، لكن سعيداً كان قد توفى قبلها[2].

وقيل:" توفيت رضى الله عنها فى آخر سنة إحدى وستين بعد ما جاءها نعى الحسين، وأيد ذلك ابن أبى خيثمة فقال : توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية.خلافاً لما قاله الواقدى من أنها توفيت سنة تسع وخمسين [3].

قال ابن حجر: كانت آخر أمهات المؤمنين موتاً، ثبت فى مسلم أن الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة وعبد الله بن صفوان دخلا عليها فى خلافة يزيد وسألاها عن الجيش، وكان ذلك حين جهز يزيد بن مسلم بن عقبة بعسكر الشام إلى المدينة،فكانت وقعة الحرة سنة ٦٣هـ، وكان عمرها عند الوفاة أربعاً وثمانين على الصواب[4].

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين أم سلمة رحمة واسعة .

---

(١) أعلام النساء ٥/ ٢٢٥ .

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ٢١٥ .

(٣) الإصابة ٨/ ٢٢٥ .

(٤) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦/ ٢١٥ .

[٧] أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش
رضى الله عنها

هى : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة. كان اسمها «بَرَّة» فسماها النبى ﷺ «زينب» لما دخلت عليه، لأنه يحب الفأل الحسن ويكره أن يقال: ما هنا برة.

وليس صحيحاً أن النبى ﷺ غير اسمها لأنها كانت تزكى نفسها.

واسم أبيها جحش سماه بذلك رسول الله ﷺ أما اسمه الأصلى فهو (بُرَّة) بضم الباء، قالت زينب يا رسول الله لو غيرت اسم أبى، فإن البرة صغيرة، فقال ﷺ: «لو كان أبوك مسلماً لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكن قد سميته جحشاً، والجحش أكبر من البرة» [١].

أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم : «عمة رسول الله ﷺ» [٢].

● **زواجها من زيد**

كانت زينب بنت جحش بيضاء جميلة إلى جانب أنها حسيبة نسيبة، فذهب رسول الله ﷺ ليخطبها لزيد بن حارثة. روى الطبرانى بسند صحيح أن النبى ﷺ خطب زينب وهو يريدها لزيد، فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت واستنكفت وقالت: أنا خير منه حسباً ونسباً . وامتنعت زينب وغضبت، وقالت للنبى ﷺ : لست متزوجة منه ! أأجبر على نفسى؟

أنا خير منه حسباً ونسباً !

أنا من قريش وزيد كان عبداً مملوكاً يباع فى الأسواق !!.

وكان أخوها عبد الله بن جحش الذى استشهد فى أحد يرى رأيها ويقول بقولها. فخرج رسول الله من عندهما مغضباً. ونزل بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا

---

(١) رواه الدارقطنى، الزرقانى على المواهب ٣/٢١٨ وانظر: الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/٢١٦ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٨٤٩ .

كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾[1]. فأوجب على كل مسلم طاعة الله والرسول، والتسليم لهما، متى أرادا أمراً، وما يريدان إلا الخير للناس.

فلما نزلت هذه الآية، وسمعت بها زينب وأخوها، خافت من غضب الله ورسوله، فقالت: أرضى بما يرضاه الله ورسوله .

وسمع الرسول ﷺ بذلك، فلما جاءها مرة أخرى، قالت: أرضيته لى يارسول الله زوجاً ؟

قال: «نعم». قالت : لقد رضيت بما رضيت لى ! »[2].

والنبى ﷺ حينما خطب زينب لزيد إنما كان يطبق ما أعلنه الإسلام عن رأيه فى مقادير العباد ومقاييس التفاضل بينهم، إذ جعل التفاضل فيما يعمر القلب، ويسيطر على الوجدان من المبادئ والغايات، وفى صدق النظرة إلى الحياة والأحياء[3]، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

● من هو زيد بن حارثة؟

هو : زيد بن حارثة بن شراحيل[5] بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبى[6].

وأمه : سعدى بنت ثعلبة بن أفلت من بنى معن بن طيئ، ويكنى بأبى أسامة. وهو مولى رسول الله ﷺ، وحبه، أصابه فى الجاهلية سباء، حين خرجت أمه به، تزور قومها بنى معن ، فأغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر،فأخذوا زيداً، فقدموا به سوق عكاظ بمكة، وباعوه هناك، حيث اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد المخزومى، ووهبه لعمته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، فوهبته بدورها النبى ﷺ.

كان ذلك قبل النبوة، وكان زيد وقتئذ ابن ثمانى سنين .

على أن أباه حارثة بذل جهوداً كبيرة فى البحث عنه، وقد وجد وجداً شديداً،

---

(١) الأحزاب الآية ٣٦ .
(٢) سيرة النبى العربى ١ /٥٦٥، ٥٦٦ .
(٣) الأسرة فى الإسلام د. مصطفى عبد الواحد ص ٢٨ .
(٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٥) فى الاستيعاب : ابن كعب بن عبد العزى
(٦) الإصابة ١ / ٤٩ ترجمة أسامة بن زيد .

ولم يجد العزاء عنه في «جبلة» أخي زيد الأكبر، فلما حج جماعة من بني كلب، رأوا زيداً بمكة فعرفوه وعرفهم، وقال لهم هذه الأبيات :

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً فإني قعيد البيت عند المشاعر

فكفوا من الوجد الذي شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر

فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كابراً بعد كابر [1]

فانطلقوا فأعلموا أباه، ووصفوا له موضعه، فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه، فقدما مكة، فسألا عن النبي ﷺ، فقيل: هو في المسجد.

فدخلا عليه، فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا عبدك، فامنن علينا، وأحسن في فدائه، فإننا سنرفع لك[2].

قال: «وما ذاك». قالوا: زيد بن حارثة.

قال: «أو غير ذلك؟

«ادعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء».

قالوا: زدتنا على النصف[3].

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» .

قال : نعم ، هذا أبي وهذا عمي.

قال: «فأنا من قد علمت ، وقد رأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما».

فقال زيد: ما أنا بالذي اختار عليك أحداً؛ أنت مني بمكان الأب والعم.

فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ .

قال: نعم؛ إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً.

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجْر، فقال اشهدوا أن زيدا ابني، يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما، وانصرفا.

فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام » [4].

---

(١) الإصابة ٢ / ٥٩٨، أم المؤمنين زينب بنت جحش د. محمد طلعت أبو صير ص ٥٦ .

(٢) في الطبقات فإننا سنرفع لك في الفداء .

(٣) النصف والنصفة : العدل.

(٤) الإصابة ٢ / ٥٩٩ .

• رواية أخرى:

روى أن عمه لقيه يوماً وكان قد ورد مكة فى شغل له، فقال: ما اسمك يا غلام ؟ قال: زيد.

قال: ابن من؟ قال : ابن حارثة.

قال: ابن من ؟ قال: ابن شراحيل الكلبى.

قال: فما اسم أمك. قال: سعدى، وكنت فى أخوالى طيئ ؛ فضمه إلى صدره. وأرسل إلى أخيه وقومه فحضروا،

وأرادوا منه أن يقيم معهم، فقالوا: لمن أنت؟ قال: لمحمد بن عبد الله .

فأتوه وقالوا: هذا ابننا فرده علينا.

فقال: «أعرض عليه فإن اختاركم فخذوا بيده».

فبعث إلى زيد وقال: «هل تعرف هؤلاء؟».

قال : نعم ! هذا أبى ، وهذا أخى، وهذا عمى.

فقال له النبى ﷺ: «فأى صاحب كنت لك ؟» فبكى وقال: لم سألتنى عن ذلك؟

قال: «أخيرك فإن أحببت أن تلحق بهم فالحق، وإن أردت أن تقيم فأنا من عرفت». فقال: ما أختار عليك أحداً.

فجذبه عمه وقال : يا زيد ، اخترت العبودية على أبيك وعمك! .

فقال: أى والله العبودية عند محمد أحب إلى أن أكون عندكم.

فقال رسول الله ﷺ : واشهدوا أنى وارث وموروث، فلم يزل يقال : زيد بن محمد إلى أن نزل قوله تعالى :﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ ونزل ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ (1).

• منزلة زيد

زيد أول من أسلم من الموالى، كما أن أبا بكر رضى الله عنه أول من أسلم من الرجال، وأول من أسلم من النساء خديجة، وعلى بن أبى طالب أول من أسلم من الصبيان.

قال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى رضى الله عنه: كان يقال زيد بن محمد، حتى نزل ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ (2)، فقال : أنا زيد بن حارثة، وحرم عليه أن يقول : أنا زيد ابن محمد. فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر، وعلم الله وحشته

---

(1) الجامع لأحكام القرآن القرطبى ١٤ / ١٩٣ ، والآيتان من سورة الأحزاب.

(2) سورة الأحزاب الآية ٥ .

من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص بها أحدا من أصحاب النبى ﷺ ، وهى أنه سماه فى القرآن؛ فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ [1] يعنى من زينب.

ومن ذكره الله تعالى باسمه فى الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآناً يتلى فى المحاريب، نوه به غاية فى التنويه، فكان فى هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ. ألا ترى إلى قول أبى بن كعب حين قال له النبى ﷺ : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك « سورة كذا » فبكى وقال: أو ذكرت هنالك؟ وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أن الله تعالى قد ذكره، فكيف بمن صار اسمه قرآناً يتلى مخلداً لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرأوا القرآن وأهل الجنة كذلك أبدا، لا يزال على ألسنة المؤمنين، كما لم يزل مذكوراً على الخصوص عند رب العالمين، إذ القرآن كلام الله القديم، وهو باق لا يبيد، فاسم زيد هذا فى الصحف المكرمة، المرفوعة المطهرة،تذكره فى التلاوة السفرة الكرام البررة،وليس ذلك الاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبى من الأنبياء، ولزيد بن حارثة تعويضاً من الله تعالى له مما نزع عنه[2].

و هاجر زيد إلى المدينة كما هاجر إليها المسلمون، بأمر رسول الله ﷺ وحضر مع النبى ﷺ غزوة بدر، وكان فيها البشير إلى أهل المدينة بالنصر فيها لرسول الله ﷺ على المشركين. وشهد ما بعدها، وقتل فى غزوة مؤته وهو أمير، واستخلفه ﷺ فى بعض أسفاره على المدينة [3] ، وآخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب عندما آخى بين المهاجرين، وبين المهاجرين والأنصار، وجعل الإخاء دعامة من دعامات المجتمع الإسلامى فى المدينة مهجر رسول الله ﷺ [4].

عن عائشة: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فى سرية إلا أمَّرَه عليهم، ولو بقى لاستخلفه.

وعن سلمة بن الأكوع ، قال: غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات، يُؤَمِّرهُ علينا رسول الله ﷺ » [5].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧ . (٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤ / ١٩٤ .

(٣) الإصابة ٢ / ٦٠٠ ، ولم المؤمنين زينب بنت جحش د. محمد طلعت أبو صير ص ٥٩ .

(٤) أم المؤمنين زينب بنت جحش د. محمد طلعت أبو صير ص ٦٠ .

(٥) أخرجه البخارى .

وعن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: يا زيد، أنت مولاى، ومنى، وإلى، وأحب الناس إلى [1].

وعن ابن عمر: فرض عمر لأسامة أكثر مما فرض لى: فسألته، فقال: إنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وإن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك.

و فى غزوة مؤتة قدمه رسول الله ﷺ على جعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة، قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة على الناس» [2].

وروى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس فى إمرته، فقام النبى ﷺ، فقال: «إن تطعنوا فى إمرته، فقد كنتم تطعنون فى إمرة أبيه من قبله، وأيم الله، إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلى».

● **زينب فى بيت زيد**

تزوجت زينب من زيد ومكثت معه نحو عام، ولكنها كانت تشعر فى نفسها أنها تزوجت ممن لا يساويها شرفاً ومقاماً، فكانت تتألم، ولا تمنع زوجها المودة والرحمة اللتين أرادهما الله من الزواج، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3]

وكان زيد يخدمها ويسترضيها بكل ما يستطيع، ولكنها لم ترض عنه وظلت نافرة. فكان زيد يشكو لرسول الله ﷺ ما يلاقى من قسوتها، وما يفتقده من السكينة معها، ويرجو أن يأذن له فى فراقها فكان الرسول ﷺ يصبره ويقول له: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ» [4].

ولما كان رضا زينب وأخيها مجرد طاعة لله ورسوله، وإرغام لها من النبى على التزوج لما يدبره الله من تنفيذ شرعه فى عباده، عاشت زينب مع زيد مسلمة لأمر ربها إلا أنها استمرت تفهم فى نفسها أن زيداً ليس كفءاً لها باعتبارها هاشمية قرشية، وباعتباره

(١) أخرجه ابن سعد بإسناد حسن، وهو عند أحمد مطول.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٧ . (٣) سورة الروم الآية ٢١ . (٤) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

كان عبداً ثم اعتق، فصارت تشمخ عليه بأنفها وتفخر بنسبها فاشتكى مراراً إلى رسول الله ﷺ، والرسول يعلم يقيناً أن أمر الله نافذ ولابد أن تطلق زينب ليأخذها هو بأمر الله بعد انتهاء العدة ليبدأ بإبطال تحريم زوجة الدعى المتبنى، ولكنه مع علمه هذا كان يخفيه فى نفسه، فالأعداء كلهم متربصون يستغلون أية ثغرة ينفذون منها إلى التشنيع عليه وخاصة فى مثل هذا الأمر المقدس لديهم، وكان يحاول تبرير موقفه أمام الناس بنصح زيد وتوصيته أن يتقى الله فى زوجته النقية، ويمسكها على نفسه.

واستمر زيد يشكو حتى غلب أمر الله على أمر الناس وسمح لزيد بطلاقها ثم تزوجها ﷺ بعد انتهاء العدة ليمزق حجاب تلك العادة، ويكسر ذلك الباب الذى كان مغلقاً [1]، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ[2] وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ[3] أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ[4] وَتَخْشَى النَّاسَ[5] وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا[6] زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[7] .

● ما الذى أخفاه الرسول وما الذى خشيه ؟

روى عن على بن الحسين : أن النبى ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبى ﷺ خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية : «اتق الله فى قولك وأمسك عليك زوجك» وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذى أخفى فى نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشى رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس فى أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمر بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشية الناس فى شىء قد أباحه الله له، بأن قال : «أمسك» مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية، أى فى كل حال .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل فى تأويل هذه الآية.

(١) هذه دعوتنا للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ص ٢٩٩ . (٢) أنعم الله عليه بالإسلام .
(٣) أنعمت عليه بالعتق. (٤) حكم الله بأن زيداً سيطلقها وتتزوجها .
(٥) أن يعيروك بمخالفة تقاليد الجاهلية فى التبنى . (٦) عاشرها مدة وانتهت حاجته منها.
(٧) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

وهو الذى عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهرى والقاضى بكر بن العلاء القشيرى، والقاضى أبى بكر بن العربى وغيرهم .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج الأبناء وتزوج بزوجة ابنه » [1].

وعن أنس رضى الله عنه : نزل قوله تعالى : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ فى شأن زينب بنت جحش رضى الله عنها ، فقد جاء زيد يشكو منها ويريد طلاقها ، واستأمر النبى ﷺ فقال له : «أمسك عليك زوجك واتق الله».

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت: «لو كان محمد كاتماً شيئاً من الوحى لكتم هذه الآية : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ [2].

ومعنى الآية: وإذ تقول للذى أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق أمسك عليك زوجك،واتق الله فى شأنها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس أن يقولوا تزوج محمد حليلة ابنه، والله قد أنزل قوله الحق فى ذلك: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾.

والرسول كان قد تبنى زيداً وهو صغير، فلما صار رجلاً وكان لا يقال له إلا زيد ابن محمد، أنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [3].

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى تعليقاً على رواية البخارى: « وقد أخرج ابن أبى حاتم هذه القصة من طريق السدى فساقها سياقاً واضحاً حسنا ، ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت فى زينب بنت جحش،وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ثم رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد أنها من أزواجه فكان يستحى أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال بين زيد وزينب ما يكون بين الناس فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقى الله، وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤ / ١٩٠، ١٩١ .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) السمط الثمين ص ١٢٤ .

وروى ابن أبى حاتم أيضاً والطبرى عن على بن الحسين بن على قال: أعلم الله نبيه أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد يشكوها، وقال له : اتق الله وأمسك عليك زوجك»

قال الله : قد أخبرتك أنى مزوجكها وتخفى في نفسك ما الله مبديه » [1].

ولا ينبغى لذى عقل وبصيرة، فضلاً عن المسلم الذى يعرف ما عصم الله به رسوله ﷺ، ويعرف سيرته العطرة، وعفته وترفعه على الدنايا، وأنه كان قدوة حسنة فى كل خلق كريم، ومعرضاً عن الدنيا، لا يتزود منها إلا بالقليل، متقشفاً مجتهداً فى الله، قائم الليل، صائم النهار، مشغولاً بجلائل الأعمال التى تركها شاهدة له بالبذل والتضحية والفداء، ومواصلة العمل بالليل والنهار، يضع الخطط وينفذها، حتى نجحت دعوته، وتمت رسالته، وأكمل الله له وبه الدين وأنزل عليه فى الهدى الكريم، فى موقف معلوم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [2].

وقال له مبيناً فضله ، مثنياً على ما بذله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [3].

وإن الله اختاره ليتحمل تبعة كل أمر جليل الخطر، عظيم الأثر، يعجز عن تحمله غيره وينوء بحمله، ولايستطيع الوفاء بتبعاته، فيقوم ﷺ بتنفيذ أمر الله فيه، ويتحمل تبعة ما يلقيه عليه تنفيذه لأمر الله، من دعايات خصومه - وهم كثير - والمتربصين به من الكفار واليهود والمنافقين - وعددهم يفوق الحصر - وعلى الرغم منهم نجحت دعوته، وكملت رسالته ، بفضل من الله وحده ، الذى امتن عليه، وله المنة [4]، فقال : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [5].

---

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد أبو شهبة ٢ / ٢٤٥، ٢٤٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .　　　(٣) سورة الأحزاب الآيات ٤٥-٤٨ .

(٤) أم المؤمنين زينب بن جحش د. محمد طلعت أبو صير ص ٧٣، ٧٤ .

(٥) سورة الأنفال الآيتان ٦٢، ٦٣ .

• **طلاق زينب من زيد**

زينب فى بادئ الأمر كانت رافضة لزواجها من زيد بن حارثة لإحساسها بأنها بيضاء جميلة، حسيبة نسيبة، قرشية هاشمية لها مكانتها ومنزلتها فى أسرتها، ولأسرتها منزلة عظيمة فى القبيلة، ولقبيلتها شأن وشأن بين العرب. وأن زيداً المولى لرسول الله، ثم المتبنى بعد ذلك، وفى زواجها منه هوان لمنزلتها، فلو طلقها لايتزوجها شريف. كل هذه الاعتبارات كانت تعيها زينب.

لذا .. فقد انعكست على تصرفاتها مع زيد فكانت تتعالى عليه. وكان زيد دائم الشكوى لرسول الله ﷺ مما يلاقيه من زينب ولا يملك الرسول إلا أن يقول له: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». إلى أن وصل الأمر إلى منتهاه، ونفذت مشيئة الله تعالى، وطلق زيد زينب بعد أن قضى منها وطرا.

• **زواج الرسول بزينب بنت جحش**

قصة زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش رضى الله عنها كثر فيها اللغط والقيل والقال، لكننى قبل عرض الآراء أريد أن أنبه إلى الآتى:

أولاً: زينب بنت عمة الرسول، وزيد تبناه الرسول وأعتقه، وكان زوجاً لزينب.

ثانياً : المرأة القرشية لا يمكن أن تتزوج مولى من الموالى مهما كانت منزلته، ويعتبر العرب هذا الزواج - لو حدث - خروجاً عن التقاليد والعادات .

ثالثاً : كان من عادة العرب أن الابن المتبنى له حرمة الابن من النسب فلا يصح لمن ادعى بنوته أن يتزوج من مطلقته؛ مهما كانت الأسباب .

رابعاً: إذا حدث زواج مولى بامرأة وطلقها فإن منزلتها تهون بهوان زوجها، فلا ينبغى أن يتزوجها شريف.

فلما جاء الإسلام كان لابد له أن يغير من وضع هذا المجتمع، ويقضى على عادات الجاهلية البغيضة، وأوحى الله إلى رسوله أن يزوج قرشية شريفة من أعلا قريش نسباً «بزيد» الذى كان مولى له، ثم متبناه، فلما كانت الخطبة ثارت زينب وثارأخوها عبد الله بن جحش،لكن القرآن نزل بالأمر القاطع فرضخت زينب

ورضخ أخوها، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (١).

فرضخت زينب للأمر، وأطاعته بجسدها لا بقلبها، فكان زوجها يعانى من ذلك آلاماً نفسية شديدة. وكان هذا هو التخطيط الإلهى، لأنه سيرتب على فساد العشرة بين زيد وزينب أثر لا يعلمه إلا علام الغيوب، وهو طلاق زينب وزواج الرسول بها للقضاء على فكرة تحريم زواج زوجة المتبنى إذا طلقها، ولإبطال ما كانت تدين به العرب من مساواة الأدعياء بالأبناء الحقيقيين فى كل شىء ورفع هامة زينب ومن على شاكلتها » (٢).

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: « لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد فاذكرها على.

قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينة، قال: فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهرى، ونكصت على عقبى، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك.

قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربى.

فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.

قال، فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك.

قال: فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى، قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب .. (٣) الحديث.

وكانت زينب تقول : إنى والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله ﷺ إنهن زوجهن بالمهور. وزوجهن الأولياء، وزوجنى الله رسوله، وأنزل فى الكتاب يقرأ به المسلمون لا يبدل ولا يغير.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .

(٢) العرب وظهور الإسلام د. محمود محمد زيادة ص ٣٦٠، ٣٦١ بتصرف يسير.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٩ / ٢٢٨، ٢٢٩ .

وفى رواية أنها كانت تقول للنبى ﷺ ، أنا أعظم نسائك عليك حقاً.
أنا خيرهن منكحاً.وأكرمهن سترا . وأقربهن رحما.
ثم تقول: زوجنيك الرحمن من فوق عرشه.
وكان جبريل عليه السلام هو السفير بذلك،
وأنا بنت عمتك وليس لك من نسائك قريبة غيرى » [١].

● **روايات واهية**

القارئ لكتب التفسير فى هذا الموضوع يجد أن بعضها روى روايات واهية لا قيمة لها، مثل: ما روى عن قتادة وابن زيد أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت زيد فى غيبته فرأى زينب فى زينتها.

وفى رواية : أن الريح كشفت عن ستر بيتها فرآها فى حسنها فوقع حبها فى قلبه، فرجع وهو يقول : سبحان الله العظيم، سبحان مقلب القلوب .

فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله، فذهب إليه وقال: بلغنى أنك أتيت منزلى، فهلا دخلت يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فقال له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله » فنزلت الآية : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾.

وقد ذكر هذا الهراء فى تفسير الجلالين، والزمخشرى ، والنسفى وابن جرير والثعلبى إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل المكذوب رواية على بن الحسين الآنفة وهى الصحيحة » [٢].

ومما يثير الأسى والحزن ما ذكره الزمخشرى فى تفسير سورة الأحزاب عند ذكر زواج زينب، يقول الزمخشرى: إن رسول الله أبصر زينب بعد ما أنكحها لزيد فوقعت فى نفسه، فقال: سبحان مقلب القلوب، وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادها لاختطبها.

ثم يقول: فإن قلت فما الذى أخفى فى نفسه؟
قلت: تعلق قلبه. وقيل: مودة مفارقة زيد إياها.

ثم يقول الزمخشرى أيضاً: فإن قلت كيف عاتبه الله على ما استهجن التصريح به؟ وماله لم يعاتبه فى نفس الأمر، ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس أن تنازع إلى زينب وتتبعها.

---

(١) أعلام النساء ٢ / ٦١ .

(٢) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد أبو شهبة ٢ / ٢٤٦ .

قلت: كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من إطلاع الناس عليه، وهو في نفسه مباح متسع، وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله.

ثم يقول: إلا أن طموح القلب إلى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها موصوف بالقبح في العقل لا في الشرع لأنه ليس بفعل الإنسان، ولا وجوده باختياره .

ثم يستطرد الزمخشري فيقول: فبالحرى أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله : «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ » وإن الله لا يرضى إلا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحون من المكاشفة بالحق وإن كان مراً.

● التعليق على رأى الزمخشري

نقول: وقد أفاض الزمخشري في هذا وتبعه أبو السعود والنسفي في تفسيرهما وتبعه المؤرخون. وسار على نهجهم كل من نقل عنهم فأعطوا المستشرقين الفرصة للتجريح في معلم الإنسانية جمعاء. والأسلحة التي يطعنون بها معتقداتنا ومقدساتنا، ومن غير شك أنهم لم يقصدوا طعناً ولا تجريحاً، ولكنهم عن حسن نية صدر عنهم ما صدر.

وتلقفه المستشرقون فقالوا: «انظر لقد انقلب محمد الذى كان بمكة داعية قناعة وزهد وتوحيد ورغبة عن شهوات هذه الحياة الدنيا، رجل شهوة يسيل منظر المرأة لعابه؟؟ إلى أن يقولوا: وهو لا يكفيه أن يتزوج ممن لا بعولة لهن بل هو يشغف حباً بزينب بنت جحش وهي تحت زيد بن حارثة مولاه لغير شيء إلا أنه مر ببيت زيد: فاستقبلته زينب وكانت في ثياب تبدي محاسنها، فوقع منها في شيء لجمالها. فقال: سبحان مقلب القلوب، ثم كرر هذه العبارة ساعة انصرافه فسمعتها زينب ورأت في عينيه وهج الحب فأعجبت بنفسها وأبلغت زيداً ما سمعت. فذهب من فوره إلى النبي يذكر له استعداده لتسريحها،

فقال له: «امسك عليك زوجك واتق الله ».

لكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها. وأمسك محمد عن زواجها وقلبه قد شغل بها حتى نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ . إذ ذاك تزوجها فأطفأ بزواجها لاذع حبه ومتوهج غرامه.

فأى نبى هذا ؟ وكيف يبيح لنفسه ما حرمه على غيره ؟

وكيف لا يخضع للقانون الذى يقول إن الله أنزله عليه ؟

وكيف بهذا الخلق الذى يثير فى النفس ذكرى الملوك المترفين بدل أن يثير فيها ذكر الأنبياء الصالحين والمصلحين ؟ .

كيف يبلغ منه الخضوع لسلطان الحب فى شأن زينب حتى يصل بمولاه زيد إلى تطليقها، ثم يتزوجها من بعده، وكان ذلك محرماً فى الجاهلية فأباحه نبى المسلمين إرضاء لهواه واستجابة لداعى حبه ؟

ويطلق المبشرون والمستشرقون أمثال (موير) و (ودر منجم) وواشنطون ، ولامنس . وغيرهم لخيالهم العنان فى تصوير هذا الموضوع إلى حد بعيد فى الدناءة»[1].

ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان حين يتحدثون فى هذا الموضوع حتى يصور بعضهم زينب ساعة رآها النبى وهى نصف عارية أو تكاد، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها الناطق بما يكنه من كل معانى الهوى.

ويذكر آخرون أنه حين فتح باب بيت زيد لعب الهواء بأستار غرفه زينب وكانت ممددة على فراشها فى ثياب نومها، فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها فكتم ما فى نفسه وإن لم يطق الصبر على ذلك طويلاً !! .

وأمثال هذه الصور مما أبدعها الخيال، تراها فى موير وفى درمنجم وفى واشنطون وفى أرفنج وفى لامنس وغيرهم من المستشرقين»[2].

• الرد على هذه الروايات والآراء الواهية

أما زينب بنت جحش، وما أضفى بعض الرواة وأضفى المستشرقون والمبشرون على قصتها من أستار الخيال حتى جعلوها قصة غرام ووله. فالتاريخ الصحيح يحكم بأنها من مفاخر محمد، وأنه وهو المثل الكامل للإيمان، قد طبق فيها حديثه الذى قال فيه: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»[3].

---

(١) العرب وظهور الإسلام د. محمود محمد زيادة ص ٣٦٣، ٣٦٤ .

(٢) حياة محمد د. محمد حسين هيكل ص٣٣٣ بتصرف.

(٣) رواه البخارى ومسلم والرواية للبخارى .

وقد جعل نفسه أول من يضرب المثل لما يضع من تشريع يمحو به تقاليد الجاهلية وعاداتها، ويقر به النظام الجديد الذى أنزله الله هدى ورحمة للعالمين.

ويكفى لهدم القصة من أساسها مايلى:

١ -إن زينب بنت جحش هذه هى ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأنها ربيت بعينه وعنايته، وأنها كانت لذلك منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى وأنه كان يعرفها، ويعرف أهى ذات مفاتن أم ليست كذلك قبل أن تتزوج زيداً وأنه شهدها فى نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا وإلى الشباب »[1].

٢ - هو الذى خطبها لمولاه زيد فتمنعت حتى نزل الوحى أن لاخيرة لأحد بعد قضاء الله ورسوله. فغير معقول والحال كما ذكرت أن لا يكون شاهدها، فلو كان يهواها، أو وقعت من قلبه فأى شىء كان يمنعه من زواجها من أول الأمر، وإشارة منه كانت كافية لأن يقدمها له أهلها وما ملكت. فمثله وهو فى الذروة من قريش نسباً، وديناً، وخلقاً وخلقة وصحة ممن تتطاول إليه الأعناق، وتهفو القلوب.

فلو كان كما يزعم المتخرصون تمتد عينيه إلى كل ما يهوى ويستحسن لتزوجها وهى بكر عذراء لا أن يسكت حتى يجنى جناها، ويقطف زهرتها رجل مولى له، ثم بعد ذلك يرعى حيث رعى، فلولا أنه يتزوج لتشريع أو لحكمة سامية لما رضى بذلك.

٣ - إن حياة رسول الله ﷺ لم تكن حياة حب واستهتار، ولا عرف عنه أنه صريع الغوانى، وإنما كانت حياة الشرف والكرامة والعفة والترفع عن الدنايا قبل نبوته، وبعدها، ما عرفت الدنيا أطهر ذيلاً منه، ولا أعف منه، ولا لمست يده قط يد امرأة لاتحل له، ولما بايع النساء على الإيمان والطاعة، ونبذ المعاصى والفجور، بايعهن بدون مصافحة، مع أن المصافحة كانت من ملازمات البيعة والمعاهدة فى الجاهلية والإسلام، وكيف يكون ذلك الخلق - الذى لا نرضاه لرجل من سوقة الناس فضلاً عن أنبياء الله ورسله - خُلُقُ من خاطبه الله مولاه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

٤ -لو كان رسول الله - متيماً بالنساء ومغرماً بمفاتنهن - كما زعموا - لأشبع رغبته بالأزواج الكثيرات وهو فى ميعة الصبا وشرخ الشباب أيام كان الغيد

(١) حياة محمد د. محمد حسين هيكل ص ٣٣٣.

الكواعب، والخيرات الحسان من بنات الأشراف تشرئب أعناقهن أن يكن حليلات له، ولا سيما أن التعدد عند العرب فى الجاهلية لم يكن له حد محدود، ولكنه قضى زهرة شبابه، ومعظم حياته الزوجية مع سيدة كانت عند اقترانه بها (فى الأربعين) ورضيها قانعاً بها حتى توفاها الله قبيل الهجرة » [1].

● **رأى الدكتورة عائشة عبد الرحمن**

أما الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) فلها رأى مفاده أن رد الدكتور محمد حسين هيكل رد نبيل [2] لولا أن قصة إعجاب الرسول بزينب، وحكاية الستر من الشعرالذى رفعته الريح،وانصراف الرسول عن بيت زيد وهو يقول : سبحان الله مقلب القلوب، قد حكاه سلف لنا صالح، غير متهمين بالكيد للإسلام، من قبل أن تسمع الدنيا بالحروب الصليبية والتبشير والاستشراق فمن الحق أن ندع المستشرقين والمبشرين أمثال موير، ومرجليوث،وارفنج،وسبرنجر، ولننظر فى القضية على ما حكاها الطبرانى وابن حبيب.

إن آية العظمة فى شخصية نبينا، أنه بشر يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، وما نعرف فى تاريخ الأبطال ولا أقوال الأنبياء من أصر على تقرير بشريته إصرار محمد بن عبد الله، ولا عرفت الإنسانية كتاب دين كالقرآن، جعل من بشرية المبعوث به آية تتلى، وقرآناً يتعبد به المؤمنون، وأصلاً من أصول العقيدة الإسلامية. أفينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيعجب بها ؟

وماذا يطلب من مثله – فى سمو خلقه وعفة ضميره – أكثر من أن يشيح بوجهه عمن أعجبته، وهو يسبح باسم الله العظيم، مقلب القلوب؟

وأى ضبط للنفس ينتظر من بشر رسول،أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد فى طلاقها، فيأبى عليه إلا أن يمسكها ويتقى الله !؟

إن القصة – وقد نقلها إلينا رواة غير متهمين – لترتفع بسيدنا محمد ﷺ إلى أقصى ما تطيقه بشرية من عفة وضبط للنفس واعتقال للهوى، وإنها لجديرة بأن تعد مفخرة لمحمد والإسلام .

ثم تقول: هل لى أن أقول بعد هذا، إن الدكتور هيكل أخطأ من حيث أراد الدفاع عن سيدنا محمد ﷺ ؟

---

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد أبو شهبة ٢ / ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٢) انظر كتابها تراجم سيدات بيت النبوة ص ٣٤١ وما بعدها .

ذلك أنه بإنكاره ما أنكر منها، قد ألقى على المسألة ظلالاً من الريبة، توهم أن مثل هذا، خطأ لا يجوز على المصطفى،ومنقصة يجب أن ينزهه عنها، ومافى الأمر شيء من ذلك قط،إنما هى البشرية تتعرض لما تملك دفعه من أهواء،فتتسامى وتترفع فى نبل وعفة، ثم تأبى إلا المضى فى الامتناع عما أحل الله دفعاً لمقالة الناس، ويأبى الله على رسوله أن يتحرج من زواج كهذا أباحه الشرع، وقضت به مصلحة عامة هى: «ألا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا» .

ومصلحة أخرى خاصة «هى أن تأمن زينب - بنت عمته - الأيمة والضيعة، وتنال الشرف بأن تغدو من أمهات المؤمنين، ومن هنا كان عتاب الله لرسوله، حين كتم الأمر وبالغ فى كتمه، والله لا يرضى له إلا اتحاد الضمير والظاهر، والثبات فى مواطن الحق، حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحوا من المكافحة بالحق وإن كان مراً »[1].

ونقول للسيدة الدكتورة بنت الشاطئ: لقد جانبك الصواب والذى يشفع لك أن هذا الخطأ منك غير متعمد وإنما هو الحب لرسول الله ﷺ ومحاولة تبرير هذه الروايات الواهية، وقد فاتك أن الروايات التى اعتمدت عليها واعتبرتيها صحيحة لسبب واحد هو أن ابن حبيب رواها والطبرى أيضاً رواها فى تاريخه روايات لا يلتفت إليها.

وفى شأن هذه الروايات يقول الحافظ ابن حجر فى الفتح بعدما ذكر الصحيح فى تفسير الخشية : «ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبى حاتم والطبرى ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغى التشاغل بها، والذى أوردته هو المعتمد».

والحاصل : أن الذى كان يخفيه النبى ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذى كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس، تزوج امرأة ابنه.

وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى بأمر لا أبلغ فى الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط فى متعلق الخشية، والله أعلم »[2].

---

(١) هى هنا تردد ما قاله الزمخشرى فى الكشاف عند تفسيره آية الأحزاب رقم ٢٧ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨ / ٥٢٤ .

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره عند تفسير هذه الآية: «ذكر ابن أبى حاتم، وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها [1].

وأنت والحمد لله تقولين: فلندع المبشرين والمستشرقين ، ولننظر فى هذه الرواية الإسلامية من القرون الأولى للهجرة. أقدم من رواها على هذا الوجه - فيما أعلم - الأخبارى النسابة ابن حبيب (توفى سنة ٢٤٥هـ) ولم يذكر فيها أى سند له .

بعده رواها الإمام الطبرى (ت٣١٠هـ) فى تاريخه، من مراسيل التابعين بإسنادين رجالهما معروفون. لكن هذه الرواية لم تأت فى مصادر أمهات، ككتب الصحاح الستة وسيرة ابن إسحاق، وطبقات ابن سعد، والاستيعاب والإصابة، وعيون الأثر، كما أن الإمام الطبرى نفسه، لم يشر فى تفسيره العمدة، إلى هذه الحكاية التى رواها فى تاريخه[2]. وفى ذلك دليل كاف على عدم الالتفات لهذه الروايات .

● لم تزوج النبى زينب بنت جحش؟

لم يكن زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش لشهوة عارمة دفعته ﷺ إلى ذلك بعد أن رأى من مفاتنها ما جعله يقول : سبحان مقلب القلوب، ولا لهوى ملك عليه نفسه وملأ فؤاده بحبها ،وإنما كان:

١ -لإبطال حرمة زوجة الابن المتبنى، والقضاء على أمر الجاهلية فى هذا الشأن من العنجهية والاعتزاز بالأحساب والأنساب.

٢ - إعلان التسوية بين الناس وتنفيذها عملاً بعد أن كانت بنات الأشراف يأنفن من الزواج من موال وإن أعتقوا وصاروا أحراراً.

٣ - إزالة الفوارق المصطنعة بين الناس القائمة على العصبية وحمية الجاهلية، إذ الناس فى نظر الإسلام كلهم لآدم وآدم من تراب و«لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

٤ -مشيئة الله بأن يتزوج أول عتيق بعربية فى القمة من العرب، ذلك العتيق هو زيد بن حارثة،وأن يكون أول سيد يبطل هذه العادة الجاهلية هو رسول الله ﷺ.

٥ - فتح الباب أمام بنات الأشراف ليتزوجن من الموالى فهذه زينب بنت جحش قد تزوجت أحد الموالى (زيد بن حارثة).

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٨٧١ طبع دار الكتب العلمية - بيروت - نشر دار الباز.

(٢) نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ٣٤٥ .

٦ - لا حرج على سادة العرب أن يتزوجوا بعد بأزواج أدعيائهم بعد فراقهم لهن، فهذا قدوة المسلمين وإمامهم يأمره المولى جل وعلا بفتح هذا الباب والزواج من حليلة متبناه بعد فراقها له »[1].

٧ - تم ما أراده الله تعالى ولا غضاضة فى ذلك وإن تخرص المتخرصون.

● وليمة وحجاب

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضى الله عنها دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبى ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس،ثم إنهم قاموا فانطقت فأخبرت النبى ﷺ أنهم انطلقوا فجاء، حتى دخل فذهبت لأدخل فألقى الحجاب بينى وبينه، فأنزل الله عز جل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ الآية .

وعنه رضى الله عنه: بنى النبى ﷺ بزينب بنت جحش رضى الله عنها بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجىء قوم يأكلون ويخرجون،ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقلت : يا نبى الله ما أحداً أدعوه، فقال: ارفعوا طعامكم، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت، فخرج النبى ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها ، فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته.

فقالت: عليكم السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله فيها ؟

فنقر حجر نسائه كلهن يقول لهن ما يقول لعائشة رضى الله عنها ،ويقلن له ما قالت عائشة رضى الله عنها ، ثم رجع النبى ﷺ ، فإذا الرهط فى البيت ثلاثة يتحدثون، وكان النبى ﷺ شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة رضى الله عنها ، فما أدرى أخبرته أو أخبر أن القوم قد خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب[2] داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بينى وبينه، وأنزلت آية الحجاب»[3].

---

(١) أم المؤمنين زينب بنت جحش د. محمد طلعت أبو صير ص ١١١ مع تفسير وتنظيم .

(٢) أسكفة الباب : عتبته .

(٣) أخرجاه واللفظ للبخارى .

• أعجب ما رآه أنس فى بيت النبى

عن ثابت البنانى قال: قلت لأنس بن مالك : كم خدمت رسول الله ﷺ ؟

قال: عشر سنين ، فلم يغير علي فى شيء أسأت ولا أحسنت .

قلت: فأخبرنى بأعجب شيء رأيته منه فى هذه العشر سنين، ما هو؟ .

قال : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت مولاه زيد بن حارثة،قالت أم سليم : يا أنس إن رسول الله أصبح اليوم عروساً وما أدرى عنده من غداء، فهلم تلك العكة، فناولتها فعملت له حيسا من عجوة فى تور من فخار قدر ما يكفيه وصاحبته، وقالت: اذهب به إليه،

فدخلت عليه وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب.

فقال: ضعه، فوضعته بينه وبين الجدار.

فقال لى : ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، وذكر ناساً من أصحابه سماهم. فجعلت أعجب من كثرة من أمرنى أن أدعوه وقلة الطعام، إنما هو طعام يسير وكرهت أن أعصيه، فدعوتهم.

فقال انظر من كان فى المسجد فادعه، فجعلت آتى الرجل وهو يصلى أو وهو نائم، فأقول. أجب رسول الله فإنه أصبح اليوم عروساً، حتى امتلأ البيت.

فقال لى : هل بقى فى المسجد أحد؟ ، قلت : لا . .

قال : فانظر من كان فى الطريق فادعهم.

قال: فدعوت حتى امتلأت الحجر. فقال: هل بقى من أحد؟

قلت : لا يا رسول الله .

قال : «هلم التور، فوضعته بين يديه، فوضع أصابعه الثلاثة فيه، وغمزه، وقال للناس : كلوا باسم الله ، فجعلت انظر إلى التمر يربو أو إلى السمن كأنه عيون تنبع، حتى أكل كل من فى البيت، ومن فى الحجرة، وبقى فى التور قدر ما جئت به، فوضعته عند زوجته ثم خرجت إلى أمى لأعجبها مما رأيت.

فقالت : لا تعجب، لو شاء الله أن يأكل منه أهل المدينة كلهم لأكلوا.

فقلت لأنس: كم تراهم بلغوا؟

فقال: أحدا وسبعين رجلاً، وأنا أشك فى اثنين وسبعين رجلاً [1].

---

(١) السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ١٢٦ .

• **منزلتها**

كانت للسيدة زينب بنت جحش منزلة عظيمة،وكانت تعرف قدر نفسها. فقد كانت تقول : إني والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله ﷺ إنهن تزوجهن بالمهور،وزوجهن الأولياء، وزوجني الله رسوله وأنزل في الكتاب يقرأ به المسلمون لا يبدل ولا يغير.

وفي رواية : أنها كانت تقول للنبي ﷺ: أنا أعظم نسائك عليك. أنا خيرهن منكحاً، وأكرمهن سترا، وأقربهن رحماً،

ثم تقول: زوجنيك الرحمن من فوق عرشه، وكان جبريل عليه السلام هو السفير بذلك، وأنا بنت عمتك، وليس لك من نسائك قريبة غيرى » [1].

قالت عائشة : كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله، وما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب، أتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم والقرابة، وأعظم صدقة، وأشد تبذلاً لنفسها في العمل الذى تتصدق به، وتتقرب به إلى الله عز وجل » [2].

والسيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها، تذكر في القرآن عند إلغاء التبنى. وتذكر كذلك عند ذكر الحجاب.

وتذكر أيضاً عند حديث القرآن عن تحريم النبى ﷺ على نفسه ما أحل الله له، مما توجه إليه بسببه من الله عز وجل هذا الخطاب علي ما فيه من العتاب : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [3]،

وكانت رضى الله عنها موضع الاحترام والتقدير [4].

• **فضلها**

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يدا،

قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً،

قالت: وكانت أطولنا يدا زينب لأنها كان تعمل بيدها وتتصدق [5]».

وعنها رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «أولكن يتبعنى أطولكن يدا، قالت عائشة رضى الله عنها: فكنا إذا اجتمعنا بعد رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الحائط نتناول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش

---

(١) أعلام النساء عمر رضا كحالة ٢ / ٦١ . (٢) سيرة النبى العربى ١ / ٥٧٢ .

(٣) سورة التحريم الآية ١ . (٤) أم المؤمنين زينب بنت جحش د. محمد طلعت أبو صير ص ١٠١ .

(٥) أخرجه مسلم .

رضى الله عنها، فكانت امرأة قصيرة. ولم تكن أطولنا فعرفت أن النبى ﷺ أراد بطول اليد الصدقة،كانت امرأة صناعاً [1] وكانت تعمل بيدها وتتصدق به فى سبيل الله [2]

وأكبر دليل على بذلها الأموال، وزهدها بالدنيا ما حدثت به برزة بنت رافع فقالت: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها، فلما أدخل إليها، قالت: غفر الله لعمر بن الخطاب، غيرى من أخواتى كانت أقوى على قسم هذا منى.

قالوا: هذا لك.

قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب ثم قالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت لى: أدخلى يديك واقبضى فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان من ذوى رحمها وأيتام لها، فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت برزة لها: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا فى هذا المال حق،

قالت زينب: فلكم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسمائة وثمانين درهماً، ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامى هذا » [3].

وكانت إذا ذكرت ما سلف منها نحو زيد بكت وتأوهت! وكان الرسول ﷺ يسمعها تتأوه فى جوف الليل، وتستغفر ربها، فكان يشعر بالعطف عليها، ويدعو لها، ويقول لأصحابه: «إن زينب أواهة».

عن عبد الله بن شداد، أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: « إن زينب بنت جحش أواهة». فقال رجل: يا رسول الله ما الأواه؟

قال: «الخاشع المتضرع، وإن إبراهيم لأواه منيب » [4].

- **وفاتها**

توفيت زينب بنت جحش رضى الله عنها سنة عشرين فى خلافة عمر بن الخطاب، وفى هذا العام افتتحت مصر.

وقيل: بل توفيت سنة إحدى وعشرين، وفيها افتتحت الإسكندرية [5]، وحين حضرتها الوفاة، قالت: إنى قد أعددت كفنى وإن أمير المؤمنين سيبعث إلى بكفن، فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى [6] فافعلوا.

وصلى عليها عمر وكان يعجبه أن يدخل قبرها ولكن نساء النبى ﷺ رفضن وقلن: يدخل قبرها من كان يدخل عليها فى حياتها.

وهى أول نسائه اللاتى جُعل على جنازتها نعش، وما سبقها من النساء إلا فاطمة [7].

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين زينب بنت جحش رحمة واسعة.

---

(١) امرأة صناع: أى لها صنعة تعمل بيدها وتكسب منها. (٢) السمط الثمين ص ١٢٨.

(٣) أعلام النساء ٣ / ٦٢. (٤) الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٨٥٣.

(٥) المرجع السابق ٤ / ١٨٥٢. (٦) حقوى: أى إزارى.

(٧) الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦ / ٢١٩.

[٨] أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث
رضى الله عنها

شُغل النبى ﷺ بعد زواجه بالسيدة زينب بنت جحش بأحداث هامة كبار كان أولها وَقعة الخندق التى لقى فيها الرسول والمسلمون جموع الأحزاب من المشركين الذين عبأهم اليهود لحرب الإسلام فى دار هجرته.

ونقض اليهود العهد الذى قطعوه على أنفسهم بالحياد، وعظم البلاء بالمسلمين، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً.

كان حصاراً مرهقًا استغرق سبعة وعشرين يومًا، ثم دارت الدائرة على المشركين، وتم النصر لرسول الله ﷺ والذين معه ووضع المسلمون السلاح وقد أجهدتهم المعركة، وأووا إلى بيوتهم فى الصبح يلتمسون راحة طويلة، فما انتصف النهار حتى تناهى إلى أسماعهم صوت مؤذن النبى ﷺ يؤذن فى الناس :

« من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة».

وأستأنفوا القتال وحاصروا يهود بنى قريظة خمسًا وعشرين ليلة قبل أن يتم التسليم فى شهر ذى القعدة وصدر ذى الحجة، بعدها كانت غزوة بنى لحيان وغزوة ذى قرد، وعاد النبى ﷺ إلى المدينة فما أقام شهراً وبعض شهر حتى بلغه أن بنى المصطلق - وهم حى من خزاعة - يجمعون الجموع لقتاله بقيادة زعيمهم الحارث بن أبى ضرار» [١].

● غزوة بنى المصطلق

فى شعبان - سنة خمس - بلغ النبى عليه الصلاة والسلام أن الحارث بن أبى ضرار سيد بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين فى أحد يجمع الجموع لحربه. فخرج له عليه الصلاة والسلام في جمع كثير، وولى على المدينة زيد بن حارثة، وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة، وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط فى غزوة مثلها، يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا[٢].

وفى أثناء مسيره عليه الصلاة والسلام التقى بعين [٣] بنى المصطلق ، فسأله عن حال العدو، فلم يجب ، فأمر بقتله.

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة د/ عائشة عبد الرحمن ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ بتصرف.

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ٨٣ .

(٣) عين : جاسوس

ولما بلغ الحارث - رئيس الجيش - مجيء المسلمين لحربه، وأنهم قتلوا جاسوسه، خاف هو وجيشه خوفاً شديداً، حتى تفرق بعضهم.

ولما وصل المسلمون إلى المريسيع تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الإسلام فلم يقبلوا، فترامو بالنبل ساعة، ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالاً للهرب، بل قتلوا عشرة منهم، وأسروا باقيهم من النساء والذرية، واستاقوا الإبل والشياه، وكانت الإبل ألفي بعير، والشياه خمسة آلاف فاستعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران، وعلى الأسرى بريدة. وكان في نساء المشركين «برة بنت الحارث» بنت سيد القوم، وقد أخذ من قومها مائتا «أهل بيت» أسرى، وزعت على المسلمين [1].

● من هى السيدة جويرية؟

هى : جويرية، وكان اسمها الأول برة، فغيره النبى ﷺ كما فعل مع زينب بنت جحش وهى خزاعية مصطلقية.

أبوها هو : الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جزيمة بن المصطلق[2] من خزاعة.

وكانت قبل زواجها من النبى ﷺ تحت مسافع بن صفوان ذى الشفر بن سرح بن مالك بن جذيمة، فقتل يوم المريسيع [3].

وقيل كانت تحت ابن عم لها يقال له : صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشفر، فقتل عنها.

عن عائشة قالت: أصاب رسول الله نساء بنى المصطلق فأخرج الخمس منه، ثم قسمه على الناس، فأعطى الفرس سهمين، والرجل سهماً، فوقعت جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، وكانت تحت ابن عم لها يقال له : صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشفر، فقتل عنها. فكاتبها ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه. فبينما النبى ﷺ عندى إذ دخلت عليه جويرية تسأله فى كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبى ﷺ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت.

---

(١) نور اليقين للشيخ محمد الخضرى ص١٢٥، ١٢٦ .

(٢) المصطلق: بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء وكسر اللام لقب لخزيمة بن كعب، وهم بطن من خزاعة.

(٣) المريسيع: بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء وكسر السين ماء بنى خزيمة.

فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابنى من الأمر ما علمت، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبنى على تسع أواق فأعنى فى فكاكى.

فقال: «أوخير من ذلك؟ » فقالت: ماهو؟

فقال:«أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم يارسول الله .

قال: «قد فعلت»[1].

● رأى آخر

وقال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث،وكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة فأقبل أبوها الحارث بن ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبى ﷺ ، وقال: يا محمد، أصبتم ابنتى وهذا فداؤها.

فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا و كذا؟

فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى ﷺ، ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم»[2].

● تصرف نبوى كريم

كان بنو المصطلق من أعز العرب داراً ، وأشرفهم نسباً، وأسر نسائهم على هذه الحال مما يترك فى نفوسهم، وفى نفوس حلفائهم جراحاً لا تندمل، وحزازات لا تنسى، والعربى يهون عليه المال مهما علا، ولكن لا يهون عليه أن ينال فى عرضه، أو تخدش كرامته وشرفه، لذلك لم يرتح قلب النبى الكبير لما تم من سبى واسترقاق، وفكر ثم فكر حتى تفتق العقل الكبير عن هذا التصرف الحكيم

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٨٣ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٨٦، ٩٠٦٧ .

الكريم. فأقبل عليه السلام على الزواج من جويرية بنت الحارث، فلما فشا بينهم أن رسول الله قد تزوج جويرية، كان المسلمون عند حسن ظنه، وبعد نظره [1].

ودخلت العروس بيت النبى، وما من امرأة أعظم على قومها بركة منها: أعتق بزواجها من رسول الله ﷺ أهل مائة بيت من بيوت بنى المصطلق. وسماها جويرية، كراهة أن يقال خرج من عند برة [2].

ولما تسامع المسلمون بأن جويرية المصطلقية أصبحت أماً لهم، وصار جميع من فى أيديهم مائة أهل بيت من بنى المصطلق أصهارا لرسول الله ﷺ، وهل من أدب المروءة الإسلامية، وإعظام رسول الله ﷺ أن يبقى أصهاره أرقاء؟ .

لا، إنه عليه الصلاة والسلام أعز عليهم وأعظم مقاماً فى أنفسهم من الدنيا بحذافيرها، فما قيمة مائة أهل بيت إذا انطلقوا من أيديهم أحراراً إكراماً لمقام رسول الله ﷺ؟

إنه لأمر هين إلى ما يجب لرسول الله ﷺ فى أعناقهم من إكرام وتعظيم، وماله من حب فى قلوبهم يفوق حبهم لأنفسهم، فأرسلوا جميعاً مَنْ فى أيديهم، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يجب أن يكونوا أحراراً. وصدقت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى قولها : فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية المصطلقية.

ولقد أحدث تصرف رسول الله ﷺ هزة فى قلب الحارث بن أبى ضرار، والد جويرية، وفى قلوب قومه فتحركت طائرة من حماة الوثنية إلى آفاق الإسلام مستجيبة إلى دعوته لأنه الدين الكريم الذى يعز الكرماء. فأسلموا جميعاً.

فهل سمع الناس بنبأ يحمل من المعانى الإنسانية النبيلة ما حمله نبأ تصرف رسول الله ﷺ مع جويرية بنت الحارث، ولكنها سماحة الإسلام ومكارم الأخلاق المحمدية » [3].

وظلت جويرية ما عاشت تبارك تلك اللحظة السعيدة التى لقيته فيها، فنجت من العار، وأعتقت قومها من الأسر، وكرمت بالزواج من سيد البشرية [4].

---

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ٢ / ٢٠٩ .   (٢) الإصابة ٧ / ٥٧١ .

(٣) الموسوعة فى سماحة الإسلام للشيخ محمد الصادق عرجون ٢ / ١٠٨٠، ١٠٨١ .

(٤) نساء النبى د. بنت الشاطئ ص ٣٦٠ .

● **حكم نظر النبي إلى جويرية قبل الزواج**

هل من حرج على الرسول فى أن ينظر لجويرية؟

إن نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حرة ما ملأ عينيه منها، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى وهبت نفسى لك يا رسول الله، فصعد فيها النظر ثم صوب، ثم أنكحها من غيره .

وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة: لو نظرت إليها، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما. وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد الزواج.

وقد أجازه مالك فى إحدى الروايتين عنه، ذكرهما ابن أبى زيد. وفى مسند البزار من طريق أبى بكرة لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها، ولا تشعر.

وفى تراجم البخاري: النظر إلى المرأة قبل التزويج، وأورد فى الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتك فى المنام يجىء بك الملك فى سرقة من حرير، فكشفت عن وجهك، فقال هذه امرأتك، فقلت: إن يكن من عند الله يمضه».

● **تعليم النبى لها**

لقد تعلمت السيدة جويرية من النبى ﷺ الكثير، فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ دخل على جويرية بنت الحارث يوم جمعة وهى صائمة فقال لها :

«أصمت أمس؟». قالت : لا.

قال : «أفتريدين أن تصومى غداً؟» قالت: لا .

قال: «فأفطرى إذاً» [1].

وعن جويرية رضى الله عنها، قالت: أتى على رسول الله ﷺ وأنا أسبح غدوة ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريباً من نصف النهار، وأنا أسبح،

---

(١) الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ١٩ .

فقال: «مازلت قاعدة؟». قالت: نعم.

فقال: «ألا أعلمك كلمات لوعدلن بهن أو لو وزن بهن وزنهن - يعنى جميع ما سبحت به - سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات.

سبحان الله رضاء نفسه ثلاث مرات[1].

سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات».

• فضلها

كانت جميلة مُلاحة، كما شهدت بذلك عائشة، واجتهدت فى العبادة لتعوض ما فاتها من العمر قبل إسلامها. ومر عليها النبى ﷺ وهى فى مسجدها أول النهار، ثم مر عليها قريباً من نصف النهار، فقال: «مازلت على حالك؟».

قالت: نعم.

وعلمها كلمات تزن ما فعلته هذه المدة «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» ثلاث مرات [1].

• وفاتها

عاشت رضى الله عنها إلى أن استقر الأمر لمعاوية، وتوفيت بالمدينة بعد منتصف القرن الأول الهجرى «سنة ست وخمسين» على الأرجح وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة وقد بلغت سبعين سنة.

وقيل: توفيت سنة خمسين وهى ابنة خمسين سنة [2].

وقيل توفيت وعمرها خمسة وستون سنة وكان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة خمسين على الصحيح .

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رحمة واسعة .

---

(١) الإصابة ٨ / ٨٥ .

(٢) موسوعة الاسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ٢٢٠، ٢٢١ والحديث رواه مسلم.

(٣) نساء النبى للدكتورة بنت الشاطئ ص ٣٦٢ .

[٩] أم المؤمنين السيدة أم حبيبة
رضى الله عنها

هى : رملة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية زوج النبى ﷺ ، تكنى أم حبيبة، وهى بها أشهر من اسمها [١].

وأمها : صفية بنت أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، عمة عثمان بن عفان» [٢].

● **زواجها قبل النبى**

ولدت رضى الله عنها قبل البعثة بسبعة عشر عاماً، وكانت قبل النبى ﷺ تحت زوجها عبيد الله بن جحش [٣] وكانا أسلما وهاجرا إلى الحبشة ثم تنصر زوجها وبقيت على إسلامها.

قالت أم حبيبة : رأيت فى النوم عبيد الله بن جحش زوجى بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة إنى نظرت فى الدين فلم أر دينا خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها ثم دخلت فى دين محمد، ثم رجعت إلى النصرانية .

فقلت : والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التى رأيت له فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات، فأرى فى النوم كأن آتيا يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت، فأولتها أن رسول الله يتزوجنى » [٤].

أما عبيد الله بن جحش [٥] فأدرك البعثة وأسلم وهاجر إلى الحبشة، فكان فى الصفوف الأولى من أبطال الإسلام، ولكن كان ضعيف الخلق، فخضع لتأثير القسس والنساء ورجال البلاط عند النجاشى، وكان حديث العهد بدين التوحيد، فاستهوته قوة الأحباش، وخشى على نفسه عاقبة النفى، وظن الهجرة ضعفاً للمسلمين لن يفارقهم فتنصر .

---

(١) اختلف فى اسمها فقيل: رملة، وقيل: هند، والمشهور رملة وهو الصحيح عند جمهور أهل العلم «أعلام النساء هامش ١ / ٤٦٤».

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ٦٨، والإصابة ٧ / ٦٥١ .

(٣) هو : عبيد الله بن جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليف حرب بن أمية . «الطبقات الكبرى ٨ / ٦٨».

(٤) الطبقات الكبرى ٨ / ٦٨ .

(٥) ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص ٣٨٠، ٣٨١ .

ولم يكتفِ بالارتداد معتزاً بسطوة الملك الأسمر، وإنما كان يمر على المسلمين مــــن المهاجرين وهم رفاقه بالأمس فى الهجرة، وهم مازالوا ضعافاً، وقد ظن نفسه قوياً لحماية الأحباش، ولعل القساوسة اتخذوه آلة لجذب بقية الجالية العربية المسلمة إلى دينهم بنوع قديم من التبشير، فإن عبيد الله -كان - يقول لهم «فتحنا وصأصأتم» [1].

وكان الأجدر به أن يقوله للوثنيين فى مكة لأنهم مازالوا فى ظلام دامس! وهناك كانت تفيد الشطارة وطول اللسان وتعيير قوم من أهله بدينهم الذى كان بالأمس دينه وترك وطنه وملة آبائه فى سبيله فإنه بلا شك هاجر أول ما هاجر فى سبيل الإسلام.

ولم يطل عمره فى الحبشه فمات بعد قليل. وقد ولدت له أم حبيبه ابنته حبيبة التى بها كانت تكنى .

وقيل: إنما ولدتها بمكة، وقيل: هاجرت وهى حامل وولدتها بالحبشة [2].

● ضربة فوق ضربة

بعد ردة عبيد الله بن جحش عن الإسلام كادت أم حبيبة أن تهلك غماً وأسى وحسرة، واعتزلت الناس شاعرة بالخزى لفعلة الرجل الذى كان لها زوجا، ولطفلتها والدا، وأغلقت الباب عليها وعلى وليدتها حبيبة مضاعفة الغربة، لا تريد أن تلقى الناس فى دار هجرتها، ولا سبيل لها إلى أرض الوطن، وهناك أبوها يعلن حرباً شعواء على النبى الذى صدقته وآمنت به. وأين تراها تقيم فى مكة لو عادت؟

أفى بيت أبويها وقد حيل بينها وبينه منذ أسلمت؟

أم فى دار آل جحش رهط زوجها، وقد أقفرت بهجرة أهلها وصارت منهم خلاء؟

لقد بلغها من أبناء مكة أن عتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وأبا جهل بن هشام بن المغيرة، مروا بدار بنى جحش وهم مصعدون إلى أعالى مكة، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يباباً ليس فيها ساكن، فقال:

وكل دار وإن طالت سلامتها   يوماً ستدركها النوباء والحوب

---

(١) أى فتحنا أعيننا على الحق والنور والمسيح ، وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا.

(٢) الإصابة ٧ / ٦٥١ بتصرف.

أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها. فقال أبو جهل: وما تبكى عليه؟
ثم قال: هذا عمل ابن أخي، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا.
إذن لا سبيل لرحلة إلى مكة والمعركة محتدمة بين أبيها وبين النبي ﷺ.
ودار بني جحش تخفق أبوابها يباباً» [١].

- **بين النبى والنجاشي**

بعث ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشي، فكان أول رسول وكتب إليه كتابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام، وفى الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة، وأخذ الكتابين وقبلهما ووضعهما على رأسه وعينيه.ونزل عن سريره تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق [٢].

- **كتاب النبى إلى النجاشي فى الدعوة إلى الإسلام**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن.

وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه.

إنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى، وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله.

وقد بعثت إليك ابن عمى جعفراً، ونفراً من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر، فإنى أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحى.

والسلام على من اتبع الهدى» [٣].

و لم يرو نص الكتاب الذى أرسله النبى ﷺ فى شأن زواجه بأم حبيبة.

وذكر أن عمرو بن أمية - رضى الله عنه - قال للنجاسى عند إعطائه الكتاب: يا أصحمة: إن على القول وعليك الاستماع، إنك كأنك فى الرقة علينا منا، وكأنا فى الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نحفظك على شر قط إلا أمناه،

(١) نساء النبى د. بنت الشاطئ ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) السيرة الحلبية ٣/٢٩٣. (٣) مجموعة الوثائق السياسية د. محمد حميد الله ص ٧٥.

وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، فى ذلك موقع الخير وإصابة الفضل. وإلا فأنت فى هذا النبى الأمى ﷺ كاليـهود فى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام. وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر.

فقال النجاشى: أشهد بالله إنه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل،وأن العيان ليس بأشفى من الخبر.

زاد بعضهم : ولكن أعوانى من الحبشة قليل فأنظرنى حتى أكثر الأعوان وألين القلوب » [1].

● رسالة النجاشى إلى رسول الله

أحضر النجاشى جعفر وأصحابه وأسلم على يد جعفر لله رب العالمين.

وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من النجاشى الأصحم بن أبجر .

سـلام عليك يانبى الله ورحـمتـه وبركـاته، من الله الذى لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الإسلام .

أما بعد:

فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء إن عيـسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً، وإنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأسلمت على يده لله رب العالمين.

وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم بن أبجر، فإنى لا أملك إلا نفسى وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإنى أشهد أن ما تقول حق .

والسلام عليك يا رسول الله [2].

● بشرى لأم حبيبة

وبينمـا أم حبيبة فى هذا الجو من الغربة والوحشة لا تعرف مـاذا تعمل ولا كيف تتصرف إذا بالفرج يأتى من عند الله تبارك وتعالى .

تقول أم حبيبة : فما هى إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشى

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٩٤ .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ص ٧٨ .

على بابى يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه وذهبه، فدخلت علي، فقالت: إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجكه.

فقلت: بشرك الله بالخير .

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وأعطت أبرهة سوارين من فضة، وخدمتين كانتا فى رجليها، وخواتيم فضة كانت فى أصابع رجليها سرورا بما بشرتها » [1].

● زواج النبى بأم حبيبة

ردت أم حبيبة على النجاشي باختيارها للصحابى الجليل خالد بن سعيد ليكون وكيلها فى زواجها من النبى ﷺ.

فلما كان العشى أمر النجاشي جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال:

« الحمد لله ، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز الجبار،
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله،
وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم ﷺ.

أما بعد: فإن رسول الله كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة ابنة أبى سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله، وقد أصدقتها أربع مائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدى القوم.

فتكلم خالد بن سعيد، فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون.

أما بعد :

فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله وزوجْتُه أمَّ حبيبةَ بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله .

ودفع النجاشي إلى خالد بن سعيد بن العاص – الدنانير – فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا » [2].

● هدايا النجاشي ورسالة إلى النبى من أبرهة

قالت أم حبيبة: فلما وصل إلى المال[3] أرسلت إلى أبرهة التى بشرتنى فقلت لها: إنى كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدى فهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعينى بها فأبت، وأخرجت حقاً فيه كل ما كنت أعطيتها فردته

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٦٨، ٦٩ . (٢) السيرة الحلبية ٣/ ٢٩٣ .

(٣) الطبقات الكبرى ٨/ ٦٩ .

على وقالت: عزم على الملك أن لا أرزأك شيئاً، وأنا التى أقوم على ثيابه وذهبه،وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ، وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر.

قالت: فلما كان الغد جاءتنى بعود وورس وعنبر وزباد كثير فقدمت بذلك كله على النبى ﷺ فكان يراه على وعندى فلا ينكره، ثم قالت أبرهة: فحاجتى إليك أن تقرئى رسول الله منى السلام وتعلميه أنى قد اتبعت دينه.

قالت: ثم لطفت بى وكانت التى جهزتنى، فكانت كلما دخلت على تقول : لا تنسِ حاجتى إليك.

قالت: فلما قدمت على رسول الله أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بى أبرهة، فتبسم رسول الله ، وأقرأته منها السلام.

فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته[1] ».

● عودة أم حبيبة

رجع النبى ﷺ إلى مدينته بعد أن تم له النصر فى خيبر وتزوج عقيلة بنى النضير السيدة صفية بنت حيي، وسيقت بين يديه غنائم اليهود. وتأهبت المدينة للقائه ﷺ وقد أعدت له مفاجأة ترضيه! . فهناك فى المدينة، وهو ﷺ غائب فى خيبر، كان مهاجروا الحبشة قد جاءوا فى صحبة عمرو بن أمية الضمرى الذى بعثه النبى عليه الصلاة والسلام إلى النجاشى ليعود بمن بقى فى بلاده من المهاجرين الأولين [2].

وحملهم عمرو فى سفينتين فبلغ بهم المدينة حيث الأهل والأنصار ومعركة خيبر إذ ذاك فى ذروة احتدامها. وأعقب وصولهم إعلان فتح خيبر والنصر المبين على يهودها، وخرج أهل المدينة لاستقبال العسكر المنتصر، فضاقت بهم أرجاء الوادى، وقد بحت أصواتهم من هتاف ودعاء. وأهل عليهم ﷺ ، فلمح من بينهم أصحابه الذين هاجروا من مكة أيام الاضطهاد والعذاب».

ووثب رسول الله ﷺ من فوق راحلته، فالتزم ابن عمه جعفر بن أبى طالب معانقاً، وقبل عينيه وهو يقول فى غبطة: «ما أدرى بأيهما أسر، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر، والتفت الرسول من بعد ذلك يلتمس بقية صحبه المهاجرين وقد كانوا فيما أحصى ابن إسحاق [3]، ستة عشر رجلاً وكان من بين المهاجرات

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٦٩ . (٢) نساء النبى ص٢٧٨ عن تاريخ الطبرى والسيرة النبوية لابن هشام .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٣٣ .

العائدات السيدة أم حبيبة زوج النبى ﷺ وأم المؤمنين التى كانت تنتظر النبى ﷺ ليحملها إلى بيته. وقد مضى على زواجها به ﷺ بضع سنين »[1].

ولما بلغ أباها أبا سفيان تزوج النبى بها قال : هو الفحل لا يقدع أنفه»[2].

● من نتائج صلح الحديبية

ذكر ابن اسحاق أن بنى بكر بن عبد مناة كانت بينهم وبين خزاعة حروب قبل الإسلام وقتل، فلما جاء الإسلام تشاغل الناس به، فلما كانت الهدنة «صلح الحديبية» دخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله وعقده، فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو بكر وأرادوا أن يصيبوا الثأر من خزاعة. فخرج نوفل بن معاوية فى نفر من بنى بكر فبيت خزاعة على ماء بأسفل مكة يقال له الوتير، فأصابوا منهم رجالاً وتناوشوا واقتتلوا.

وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم فلما انتهوا إليه. قالت بنو بكر : يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك.

فقال كلمة عظيمة: لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم، فلعمرى إنكم لتسرفون فى الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟

فقاتلوهم حتى لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعى، ودار مولى لهم.

لذا ... خرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكباً، حتى قدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بما قد وقع ، ويستنصرونه، فقام وهو يجر رداءه ويقول: لا نصرت إن لم أنصر بما أنصر منه نفسى »[3].

● موقف لأم حبيبة

ندمت قريش على ما صنعت، وعلموا أن ذلك نقض لما كان بينهم وبين رسول الله، فأرسلت أبا سفيان ليعرف وقع ذلك على نفسية النبى وليمد فى الأجل.

وقد كان رسول الله ﷺ - قد - قال للناس: كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد فى المدة.

---

(١) نساء النبى ص ٣٧٩ .

(٢) مثل يضرب للكفء الكريم، والفحل ذكر الإبل، وكان من عادة العرب إذا كان الفحل غير كريم ضربوا أنفه ليبتعد عن الناقة، وإذا كان كريماً تركوه، وفى بعض المراجع مثل طبقات ابن سعد (لا يقرع).

(٣) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٢ / ٣٣٢، ٣٣٣ .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه،

فقال: يا بنية أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى ؟ .

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس.

فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر.

ثم خرج حتى أتى رسول الله فكلمه فلم يرد عليه شيئاً. ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم رسول الله ، فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فقال: أنا أشفع لكم؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به.

ثم أتى على بن أبى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله وعندها الحسن بن على غلام يدب بين يديها ، فقال: يا على إنك أمس القوم بى رحماً ، وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لى إلى رسول الله.

فقال: ويحك يا أبا سفيان. والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه .

ثم التفت إلى فاطِمة، فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

فقالت: ما بلغ ابنى ذلك، وما يجير أحداً على رسول الله .

فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمر قد اشتد على فانصحنى.

قال: والله ما أرى شيئاً يغنى عنك، ولكنك سيد بنى كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك.

فقال: أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً؟

قال: لا والله، ولكن ما أجد لك غيره.

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال: أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس.

ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟

قال: أتيت محمداً فكلمته، فوالله ما رد على شيئاً، ثم ابن أبي قحافة فلم أجد منه خيراً، ثم أتيت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو، وفى لفظ أعدى العدو، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار على بشىء صنعته، فوالله ما أدرى هل يغنى شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين الناس، ففعلت.

قالوا: فهل أجاز ذلك محمداً؟ قال: لا

قالوا: ويلك إن زاد الرجل على أن لعب بك[1] ».

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٣٣٤ .

ولا عجب من مسلك السيدة أم حبيبة مع والدها، فقد قاسى النبى ﷺ والمسلمون على يديه ويدى أمثاله الشىء الكثير مما لا يطاق ولا يغتفر، ولو سئلت أم حبيبة عما يدور بداخلها لقالت أمنية عزيزة أتمنى أن يحققها المولى سبحانه وتعالى لى وهى :

أن يدخل أبو سفيان فى الإسلام، وأن يكون رأساً من رؤوس الإسلام كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهما من كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وكفى أبا سفيان نجاة بنفسه أنه دخل المدينة وأقام بها ما أقام فى وقت كان على رأس المجموعة التى نقضت عهد رسول الله ﷺ، ثم بعد ذلك يخرج سالماً، ولو دخل مكة كبير من المسلمين لذاق العذاب ألواناً إن لم يمت شر ميتة.

● **فتح مكة**

أما رسول الله ﷺ فتجهز للسفر وأمر أصحابه بذلك، وأخبر الصديق بالوجهة، فقال له يا رسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد؟

قال: «نعم، ولكن غدروا ونقضوا».

ثم استنفر عليه الصلاة والسلام الأعراب الذين حول المدينة، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة».

فقد جمع من قبائل العرب، أسلم. وغفار ومزينة وأشجع، وجهينة،

وطوى عليه الصلاة والسلام الأخبار عن الجيش كيلا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب،والرسول عليه الصلاة والسلام لا يريد أن يقيم حرباً بمكة، بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها، فدعا مولاه جل ذكره،وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها».

● **لكن الله سلم**

قام حاطب بن أبى بلتعة أحد الذين شهدوا بدراً، وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وأرسله مع جارية لتوصله إلى قريش على عجل. فأعلم الله رسوله ذلك، فأرسل فى إثرها علياً والزبير والمقداد، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها».

فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة.

فقالوا لها : أخرجى الكتاب.

قالت: ما معى كتاب! .

قالوا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب! ،

فأخرجته من عقاصها، فأتوا به رسول الله ، فقال ﷺ: «يا حاطب ماهذا؟.

قال يارسول الله لا تعجل على، إنى كنت حليفاً لقريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى، ولم أفعله ارتداداً عن دينى، ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام.

فقال عليه الصلاة والسلام: «أما إنه قد صدقكم».

فقال عمر: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق.

فقال: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وفي ذلك أنزل الله سورة الممتحنة :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١].

ثم سار عليه الصلاة والسلام بهذا الجيش في منتصف رمضان بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم، وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد .

ولما وصل ﷺ الكديد رأى أن الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضاً. وقد قابل ﷺ فى الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بأهله وعياله، فأمره أن يعود إلى مكة ويرسل عياله إلى المدينة .

ولما وصل ﷺ مر الظهران أمر بإيقاد عشرة آلاف نار، وكانت قريش قد بلغهم أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدرى وجهته، فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرالظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة.

فقال أبو سفيان : ما هذه لكأنها نيران عرفة !.

فقال بديل بن ورقاء: نيران بنى عمرو.

فقال أبو سفيان : بنو عمرو أقل من ذلك»[٢].

وبينما هما يتحاوران عرف العباس صوت أبى سفيان .

فقال : أبا حنظلة؟ وأجاب أبو سفيان : أبا الفضل؟

فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ فى الجيش.

فقال أبو سفيان: فما الحيلة؟ فداك أبى وأمى.

فقال العباس: فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله فأستأمنه لك.

---

(١) سورة الممتحنة الآية ١ .

(٢) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى ص ١٧٨، ١٧٩ .

فركب وسار الآخران وراءهما، فكلما مروا بنار قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله وأنا عليها قالوا: عم رسول الله على بغلة رسول الله، حتى مروا بنار عمر ابن الخطاب، وعرف أبا سفيان فوجأه فى عنقه، وهم بقتله حتى أجاره العباس.

وأركض العباس البغلة، وعمر يشتد فى إثرهما حتى دخل العباس ومعه أبو سفيان على رسول الله ، ثم دخل عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد فدعنى فلأضرب عنقه.

فقال العباس: أنا أجرته، ثم جلس إلى رسول الله يناجيه، فلما أكثر عمر فى شأن أبى سفيان، قال العباس: مهلاً يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا، ولكنك عرفت أنه من بنى عبد مناف.

فقال عمر: مهلاً يا عباس فوالله لأسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم. وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب !!.

وحسم رسول الله الخلاف بينهما فقال: «اذهب يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتى به»[1].

● **إسلام أبى سفيان**

وبات أبو سفيان ليلته ورأى فيها ما ملأ نفسه إعجابا!!

رأى المسلمين لما سمعوا الأذان انتشروا فتوضأوا، ثم اقتدوا برسول الله يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، فقال: يا عباس ما يأمرهم بشئ إلا فعلوه؟

قال: نعم، والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه! ورأى أعجب من ذلك، أنه لما توضأ رسول الله ﷺ جعلوا يبتدرون وضوءه، فقال: يا عباس ما رأيت كالليلة ولا كسرى وقيصر!! .

وفى الصباح غدا به العباس إلى رسول الله ، فقال له: «ويحك يا أبا سفيان: أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله.؟

فقال أبو سفيان: بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد.

قال الرسول: «ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟»

فقال: أما هذه فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً.

فقال له العباس: ويحك ، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. فشهد شهادة الحق وأسلم.

---

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة، د.محمد أبو شهبة ص٣٦٠، ٣٦١ .

فقال العباس: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فرأى رسول الله بنور قلبه وواسع عقله أن يكون هذا الشئ مما يتعلق بحقن الدماء، ونشر الأمان، وأن لا يقتصر على أبى سفيان حتى يأمن أكثر عدد من الناس.

فقال: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن.

ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»[1].

ولقد ارتاحت نفس أم حبيبة رضى الله عنها واطمأن قلبها بدخول والدها أبى سفيان بن حرب - سيد قومه - فى الإسلام وخروجه من قائمة أعداء الإسلام، فقد كان من أعظم أمانيها أن يكون والدها من السابقين إلى الإسلام، والحمد لله فقد تحقق أملها وإن جاء متأخراً. ومما زادها غبطة وسرورا ذلك الكرم النبوى العظيم الذى أرضى به والدها، وزادها به إكراماً، قوله ﷺ : «ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

● **التزام أم حبيبة السنة**

كانت رضى الله عنها ملتزمة لسنة النبى ﷺ، قالت زينب بنت أبى سلمة: دخلت على أم حبيبة زوج النبى ﷺ، حين توفى أبو سفيان بن حرب، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت به ذراعيها ثم مست بعارضيها، ثم قالت: والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا»[2].

وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى اثنتى عشرة ركعة فى يومه وليلته بنى له بيت فى الجنة».

قالت أم حبيبة رضى الله عنها: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ»[3].

● **وفاتها**

عن عوف بن الحارث، قال: سمعت عائشة تقول: دعتنى أم حبيبة زوج النبى ﷺ عند موتها، فقالت: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك.

فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك.

فقالت: سررتنى سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.

وتوفيت سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان[4].

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين أم حبيبة رحمة واسعة.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦١.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) الطبقات الكبرى ٨ / ٧١.

[١٠] أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي
رضي الله عنها

اسمها صفية، وهو الاسم الأصلي، وقيل: كان اسمها قبل السبي «زينب» فلما صارت من الصفي سميت صفية .

اسم أبيها حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب ابن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل، من سبط هارون بن عمران ﷺ .

أمها : برة بنت سموأل، أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير[١]، وقيل اسمها ضَرَّة.

● **سبي صفية**

في المحرم من سنة سبع كان النبي ﷺ يتهيأ لمعركة حاسمة مع اليهود اللئام تقطع دابرهم، فقد كشفت وقعة الخندق عما ينطوون عليه من حقد مرير، وما يبيتون للإسلام من شر وغدر.

وخرج ﷺ في النصف الثاني من المحرم إلى خيبر معقل العدو، فما أن أشرف عليها حتى هتف: الله أكبر، خربت خيبر، إنا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[٢].

وخرجت خيبر ، وفتحت حصونها حصناً حصناً، وكان أعظم حصون خيبر القموص، وكان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على ابن أبي طالب كرم الله وجهه، ومنه سبيت صفية رضي الله عنها .

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص، حصن بن أبي الحقيق، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب، وبأخرى معها ،فمر بهما -بلال- على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا[٣] عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه،

فقال رسول الله ﷺ لبلال، فيما بلغني ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما »[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ٨٥، ٨٦ .

(٢) نساء النبي د. بنت الشاطئ ص ٣٦٤ .

(٣) أعزبوا : أبعدوا .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٢١٧ .

● **زواج صفية قبل النبي**

لما أجلى النبي يهود بني النضير من المدينة، ذهب عامتهم إلى خيبر، وفيهم أبوها حيي سيد بني النضير، وبنو أبي الحقيق، وكانت صفية حينئذ دون البلوغ، فلما بلغت تزوجها سلام بن مشكم، ثم خلفه عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق [1] فقتل عنها وهي عروس في المحرم سنة سبع من الهجرة.

● **رؤيا تحققت**

وكانت صفية قد رأت في المنام [2] وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها.

فَأُتِيَ بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها: «ماهو؟» فأخبرته الخبر».

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ بعين صفية رضى الله عنها خضرة، فقال: «ياصفية ما هذه الخضرة؟» .

قالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق، وأنا نائمة، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني، وقال: تمنين ملك يثرب [3].

رواية أخرى: رأى رسول الله ﷺ أثراً في وجهها [4]، فسألها عن ذلك . فقالت: رأيت كأن القمر وقع في حجري، فذكرت ذلك لأبي، فضرب وجهي ضربة أثرت في هذا الأثر، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب».

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير [5]: .. كانت صفية رأت قبل ذلك أن القمر وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأمها، فلطمت وجهها، وقالت: إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتي بها رسول الله ﷺ، فسألها عنه، فأخبرته.

ولا مانع من كونها قصتها على زوجها وعلى والدها وعلى أمها لكن الضارب واحد.

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د. محمد أبو شهبة ص ٣١٦ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢١٧ .

(٣) السمط الثمين ص ١٤٠ .

(٤) السيرة الحلبية ٣/ ٤١٥ .

(٥) الإصابة ٧/ ٧٣٩ .

- **من كيد اليهود**

لقد فطر اليهود على الشر والكيد للمسلمين، والحقد عليهم، والحسد [illegible] والنفاق ، فذلك طبع اليهود الخبيث، ولؤمهم الخسيس ومن صور الخبث واللؤم والحقد والحسد التى قام بها سيد بنى النضير حيى بن أخطب ما يلى:

١ - حنث بالعهد الذى عاهد قومه من بني النضير حين أجلاهم النبى محمد ﷺ عن المدينة ولم يقتل منهم بعد النزول على حكمه أحداً.
٢ - ألب قريشاً وغطفان وخدعهم بأن دينهم أحسن من الإسلام .
٣ - حزب العرب كلها لقتال محمد ﷺ.
٤ - جعلهم يعتقدون ضرورة استئصال النبى والمسلمين.
٥ - أفسد نفوس يهود بنى قريظة وخدعهم حتى نقضوا عهدهم .
٦ - دخل الحصن مع كعب ووضع حظه فى كفة حظه فنال جزاءه.
٧ - عرض بنى قريظة كلهم للقتل بعد أن انقلبوا كلهم على المسلمين فى أحرج الأوقات [١].

والأكثر من ذلك، ما ترويه صفية، قال ابن إسحاق عن صفية بنت حيى بن أخطب إنها قالت : كنت أَحَبُّ وَلَد أبى إليه، وإلى عمى أبى ياسر، لم ألقهما قط وولدهما إلا أخذانى دونه.

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه أبى حيى بن أخطب، وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين.

قالت : سمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى حيى: أهو هو؟

قال: نعم ، والله.

قال: أتعرفه وتثبته؟

قال: نعم، قال : فما هى نفسك منه ؟

قال: عداوته والله ما بقيت».

ولقد تعرض النبى ﷺ لكذبهم وكرههم بل والتفكير فى قتله ﷺ بالسم.

فمن كذبهم، أن رسول الله ﷺ أتى بكنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بنى النضير، فسأله عنه، فجحد أن يكون يعرف مكانه.

أتى رسول الله ﷺ رجل من يهود ، فقال لرسول الله ﷺ: إنى رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة،

فقال رسول الله ﷺ لكنانة : «أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك؟ ». قال : نعم .

فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقى،

---

(١) انظر ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص ٩٧٨ .

فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزند في صدره، حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة »[1].

● **كره اليهود النبي**

وأما عن كره اليهود له عليه السلام - فواضح بيّن -، لما دخلت صفية على النبي ﷺ قال لها: لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله.

فقالت: يا رسول الله إن الله يقول في كتابه: « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ » [2].

وأما عن محاولة قتله ﷺ فذلك ثابت، فبعد أن اطمأن رسول الله ﷺ بعد خيبر، أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية [3]. وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟

فقيل لها : الذراع.

فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها.

فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ.

فأما بشر فأساغها.

وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت. فقال: ما حملك على ذلك؟

قالت : بلغت من قومي مالم يخف عليك . فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر .

قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل» [4].

● **اختيار النبي صفية**

روى مسلم أنه لما جمع سبي خيبر طلب دحية من الرسول جارية،

فقال له «اذهب فخذ جارية» فأخذ صفية.

فجاء رجل إلى النبي ﷺ ، وقال له: أعطيت دحية صفية بنت حيي، سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك. أي لنسبها وجمالها.

فاستدعى النبي ﷺ دحية، فجاء بها، فلما نظر إليها قال: «خذ جارية من السبي غيرها» .

قال: وأعتقها وتزوجها.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢١٧ . (٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٨٨ .

(٣) مصلية : مسمومة . (٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢١٨ .

وجاء فى مسلم أن النبى ﷺ اشتراها منه بسبعة أرؤس، أى سبع من السبايا، وذلك حتى لا يتميز بها دحية عن غيره من سائر الجند، مع أن فيهم من هو أفضل منه، فيكون الخلاف. وكان فيما أعطاه أخت كنانة بن الربيع زوج صفية وابنة عمها، تطييباً لخاطره، كما نقله الشافعى فى (الأم) وابن إسحق وغيرهما.

يقول النووى فى التعليق على حديث مسلم فى أخذ النبى لها من دحية: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون رد الجارية برضاه، وأذن له فى غيرها.

الثانى: أنه إنما أذن له فى جارية من حشو السبى لا أفضلهن، فلما رأى النبى ﷺ أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسباً وشرفاً فى قومها وجمالها، استرجعها لأنه لم يأذن فيها، ورأى فى إبقائها لدحية مفسدة:

أ - لتميزه بمثلها عن باقى الجيش،.

ب - لما فيه من انتهاكها مع مرتبتها وكونها بنت سيدهم.

جـ - لما يخاف من استعلائها على دحية، بسبب مرتبتها، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيرة. فكان أخذه ﷺ إياها لنفسه قاطعاً لكل هذه المفاسد المتخوفة. ومع هذا فعوض دحية عنها.

وقوله فى الرواية الأخرى إنها وقعت فى سهم دحية، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس، يحتمل أن المراد بقوله: وقعت فى سهمه، أى حصلت بالإذن فى أخذ جارية، ليوافق باقى الروايات.

وقوله: اشتراها، أى أعطاه بدلها سبعة أنفس، تطييباً لقلبه، لا أنه جرى عقد بيع.

قال القاضي: والأولى عندي أن تكون صفية فيئاً، لأنها كانت زوجة كنانة بن الربيع، وهو وأهله من بنى أبى الحقيق كانوا صالحوا رسول الله ﷺ، وشرط عليهم ألا يكتموه كنزاً، فإن كتموه فلا ذمة لهم، وسألهم عن كنز حيى بن أخطب، فكتموه، وقالوا: أذهبته النفقات، ثم عثر عليه عندهم، فانتقض عهدهم، فسباهم.

ذكر ذلك أبو عبيد وغيره،فصفية من سبيهم، فهى فىء لا يخمس، بل يفعل فيه الإمام ما رأى. هذا كلام القاضي، وهذا تفريع منه على مذهبه أن الفىء لا يخمس، ومذهبنا أنه يخمس كالغنيمة. قاله النووى» [1].

---

(١) صحيح مسلم ٩ / ٢٢٠.

● تخيير صفية

و من عظمة النبى ﷺ أنه خيرها ، قال ابن سعد [1]: لما دخلت صفية على النبى ﷺ ، قال لها :« لم يزل أبوك من أشد يهود لى عداوة حتى قتله الله».

فقالت : يا رسول الله إن الله يقول فى كتابه ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.

فقال لها رسول الله : «اختارى. فإن أخترت الإسلام أمسكتك لنفسى.

وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك.

فقالت : يا رسول الله لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعونى حيث صرت إلى رحلك وما لى فيها ولد ولا أخ، وخيرتنى الكفر والإسلام،

فالله ورسوله أحب إلى من العتق وأن أرجع إلى قومى .

قال: فأمسكها رسول الله لنفسه ».

وفى حديث عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما أخذ صفية بنت حيى، قال لها : «هل لك فى؟» .

قالت: يا رسول الله .. قد كنت أتمنى ذلك فى الشرك، فكيف إذا أمكننى الله منه فى الإسلام ؟ .

فأعتقها ﷺ وتزوجها ، وكان عتقها صداقها [2].

● زواج النبى بصفية

وقد تزوجها النبى ﷺ حيث جعل عتقها صداقها ، واشترى لها خادماً تسمى «رزينة » أو «رُزينة» .وكانت سنها حوالى سبع عشرة سنة، وبزواجها من الرسول ﷺ تحققت رؤياها[3].

وفى الطبرى : لما جىء بصفية وأخرى معها ومر بهما بلال رضى الله عنه على قتلى يهود وحبست صفية صوتها وكتمت صرخاتها أما زميلتها فكانت تصرخ وتضرب وجهها ، وتحثو التراب على رأسها ، فلما جىء بهما إلى النبى ﷺ ، نفر من منظر من تصرخ، وتلطم وتحثو التراب.

وقال وهو يشيح بوجهه عنها : «أغربوا عنى هذه الشيطانة».

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٨٨ .　　(١) المرجع السابق ٨/ ٨٩ .

(٣) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ٢٢٤، ٢٢٥ .

أما السيدة صفية فقد أمر فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه [1].

ويرى ابن عبد البر : أن رسول الله ﷺ لما جمع سبى خيبر جاءه دحية فقال أعطنى جارية من السبى. فقال : «اذهب فخذ جارية». فأخذ صفية.

فقيل: يا رسول الله إنها سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك.

فقال له النبى ﷺ: «خذ جارية من السبى غيرها» [2].

● **صداق السيدة صفية**

اختارت السيدة صفية الله ورسوله وأسلمت لله رب العالمين، فأعتقها النبى ﷺ وجعل عتقها صداقها،

رأى العلماء فى ذلك :

قالوا: وتزوج ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير من ولد هارون بن عمران أخى موسى، فهى ابنة نبى، وزوجة نبى، وكانت من أجمل نساء العالمين، وكانت قد صارت له من الصفى أمة فأعتقها، وجعل عتقها صداقها فصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة، أن يعتق الرجل أمته ويجعل عتقها صداقها فتصير زوجته من غير احتياج إلى تجديد عقد ولا ولى، وهو ظاهر مذهب أحمد وكثير من أهل الحديث.

وقالت طائفة: هذا خاص بالنبى ﷺ، وهو ما خصه الله به فى النكاح دون الأمة، وهذا قول الأئمة الثلاثة ومن وافقهم .

والصحيح : القول الأول لأن الأصل عدم الاختصاص حتى يقوم عليه دليل، والله سبحانه لما خصه بنكاح الموهوبة له قال فيها : ﴿خَالِصَةً لَكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل هذا فى المعتقة، ولا قاله رسول الله ﷺ لقطع تأسى الأمة به فى ذلك فالله سبحانه أباح له نكاح امرأة من تبناه لئلا يكون على الأمة حرج فى نكاح أزواج من تبنوه، فدل على أنه إذا نكح نكاحاً فلأمته التأسى به فيه مالم يأت عن الله ورسوله نص بالاختصاص ، وقطع التأسى وهذا ظاهر [3].

● **بناء النبى بها**

لم يخرج رسول الله ﷺ من خيبر حتى طهرت من حيضتها، فخرج من خيبر، ولم

---

(١) تاريخ الطبرى ٣ / ١٤ .

(٢) الاستيعاب .

(٣) زاد المعاد ١ / ٢٨ .

يعرس بها ، فلما قُرِّب البعير لرسول الله ليخرج وضع رجله لصفية لتضع قدمها على فخذه فأبت ووضعت ركبتها على فخذه ، وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه ، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها ثم شده من تحت رجلها ، وتَحمَّل بها وجعلها بمنزلة نسائه.

فلما صار إلى منزل يقال له تبار على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها فأبت عليه، فوجد النبي ﷺ في نفسه من ذلك.

فلما كان بالصهباء وهي على بريد (١) من خيبر، قال رسول الله ﷺ لأم سليم: عليكن صاحبتكن فأمشطنها ، وأراد رسول الله ﷺ أن يعرس بها هناك.

قالت أم سليم : وليس معنا فسطاط ولا سرادقات.

فأخذت كساءين أوعباءتين فسترت بينهما إلى شجرة فمشطتها وعطرتها.

قالت أم سنان الأسلمية : وكنت فيمن حضر عرس رسول الله ﷺ بصفية مشطناها وعطرناها ، وكانت جارية تأخذ الزينة من أوضأ ما يكون من النساء ، وما وجدت رائحة طيب أطيب من ليلتئذ، وما شعرنا حتى قيل رسول الله يدخل على أهله.

وأقبل رسول الله ﷺ يمشي إليها فقامت إليه، وبذلك أمرناها فخرجنا من عندها ، وأعرس بها رسول الله ﷺ هناك وبات عندها.

وغدونا عليها وهي تريد أن تغتسل، فذهبنا بها حتى توارينا من العسكر فقضت حاجتها واغتسلت، فسألناها عما رأت من رسول الله ﷺ ، فذكرت أنه سر بها.

لم ينم - رسول الله ﷺ - تلك الليلة، ولم يزل يتحدث معها ، وقال لها :

«ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك؟».

قالت : خشيت عليك قرب يهود ، فزادها ذلك عند رسول الله ﷺ »

وأصبح رسول الله ﷺ فأولم عليها هناك (٢).

- **وليمة العرس**

أعرس ﷺ بصفية بنت حيي فأقام ثلاثة أيام يبنى بصفية، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك : آذن من حولك.

---

(١) البريد : أثنا عشر ميلا «مختار الصحاح».

(٢) فقه السيرة النبوية - منير محمد غضبان ص ٦٧٢ ، ٦٧٣ .

قال أنس: فدعوت الناس على وليمته على صفية ، وما كان فيها خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت، فألقى عليها التمر والأقط والسمن وهو الحيس، فرأيت النبى يحوى لها وراءه بعباءة وطأ لها خلفه، ثم جلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته وقد مد الحجاب بينها وبين الناس [1].

● حراسة أبى أيوب للرسول

لما اسدل الليل على الحياة ثوبه نزل رسول الله ﷺ إلى فسطاطه وبنى بأهله وهو مطمئن راض تمام الرضا ، لكن المسلمين كيف يطمئنون على نبيهم ﷺ ، وهو أحب إليهم من أنفسهم أن يتركوه فى موقفه هذا دون حراسة، فهذه التى بنى بها رسول الله ﷺ شابة حديثة عهد بعرس، قتل رسول الله ﷺ زوجها وأباها وأشراف قومها ، فلابد فى نظر مألوف الناس أن تكون موتورة، يغلى فى صدرها مرجل الحنق والغيظ، ولابد أن تحاول شيئاً وقد أمكنتها الفرصة، فهى لم تخرج عن كونها امرأة من بنات حواء، لها نوازع النساء، وفورة شعورهن وكيدهن.

واشتمل أبو أيوب الأنصارى على سيفه، وأقام على باب الفسطاط مستعد للقضاء على أية حركة مريبة .

فلما أصبح رسول الله ﷺ سمع حركة أبى أيوب قريباً من الفسطاط، فقال: «من هذا ؟» . فأجابه : أبو أيوب.

وسأله رسول الله ﷺ عن شأنه فى هذا المكان الذى تقضى الآداب العامة أن يكون أبعد عن الأنظار والأسماع.

إن الأدب كل الأدب، بل الإيمان كل الإيمان هو الحذر والاحتياط، من أن تحوم أدنى خشية على حياته ﷺ ، ولو كان فى ذلك خرق لسياج الآداب، بعض الآداب العامة من رجل كريم آثر حراسة رسول الله ﷺ ، وهو أحفظ بسره وسر أهله معه،

ولهذا تقبل رسول الله ﷺ ذلك بالرضاوالدعاء له » [2].

قال ابن إسحاق: ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جملتها لرسول الله ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك، فبات بها رسول الله ﷺ فى قبة له.

---

(١) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٢ / ٣٢٠ .

(٢) الموسوعة فى سماحة الإسلام للشيخ محمد الصادق عرجون ٢ / ١٠٨٥ بتصرف.

وبات أبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ ويطوف بالقبة حتى أصبح رسول الله ﷺ.

فلما رأى مكانه، قال: «مالك يا أبا أيوب؟».

قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ،وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك: فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني ». أو قال: «رحمك الله يا أبا أيوب» مرتين .

وقد استجاب الله تعالى دعوة نبيه ﷺ، فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة، حتى إن الروم لتحرس قبره، ويستسقون به ويستصحون، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين، فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب هنالك، وأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم . فركب المسلمون، ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مساغاً، دفنوه، فسألتهم الروم عن شأنهم، فأخبروهم أنه كبير من أكابر الصحابة.

فقالت الروم ليزيد : ما أحمقك وأحمق من أرسلك،

أأمنت أن ننبشه بعدك فنحرق عظامه؟ .

فأقسم لهم يزيد، لئن فعلوا لنهدمن كل كنيسة بأرض العرب ولننبشن قبورهم. فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره، وليحرسنه ما استطاعوا، فروى ابن القاسم عن مالك ، قال: بلغني أن الروم يستسقون بقبر أبي أيوب رحمه الله فيسقون(١).

● **معاناة صفية**

عانت السيدة صفية من بعض المضايقات التي قابلتها في حياتها ومنها :

أ - ذكر ابن سعد من طريق عطاء بن يسار : قال: لما قدمت صفية من خيبر أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة متنقبة، فلما خرجت خرج النبي ﷺ على أثرها،

فقال: «كيف رأيت يا عائشة ؟ قالت: رأيت يهودية .

فقال: « لا تقولي ذلك، فإنها أسلمت وحسن إسلامها »(٢).

---

(١) الروض الأنف هامش السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٦٤ .

(٢) الإصابة ٧ / ٧٤٠ .

ب - عن أم سنان الأسلمية قالت: لما نزلنا المدينة لم ندخل منازلنا حتى دخلنا مع صفية منزلها، وسمع بها نساء المهاجرين والأنصار فدخلن عليها متنكرات فرأيت أربعاً من أزواج النبى ﷺ، منقبات: زينب بنت جحش وحفصة وعائشة وجويرية، فأسمع زينب تقول لجويرية : يا ابنة الحارث ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله ﷺ .

فقالت جويرية: كلا، إنها من نساء قل ما يحظين عند الأزواج [1].

جـ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: لما بلغ صفية أن حفصة رضى الله عنها قالت : بنت يهودى، بكت، فدخل عليها رسول الله ﷺ وهى تبكى .

فقال: «ما يبكيك ؟ ».

قالت : قالت لى حفصة بنت عمر إنى ابنة يهودى.

فقال النبى ﷺ : إنك لابنة نبى، وإن عمك لنبى، وإنك لتحت نبى، ففيم تفخر عليك؟

ثم قال: «اتق الله يا حفصة [2]».

د - عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان فى سفر، فاعتل بعير لصفية، وفى إبل زينب بنت جحش فضل، فقال لها: إن بعيراً لصفية اعتل، فلو أعطيتها بعيراً.

فقالت: أنا أعطى تلك اليهودية !! .

فتركها رسول الله ﷺ ذا الحجة والمحرم شهرين أو ثلاثة لا يأتيها،

قالت زينب : حتى يئست منه [3].

هـ - جاءت جارية لصفية عمر بن الخطاب، فقالت له :

إن صفية تحب السبت وتصل اليهود.

فبعث عمر إليها، فسألها عن ذلك .

فقالت: أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة .

وأما اليهود: فإن لى فيهم رحماً فأنا أصلها.

ثم قالت للجارية : ما حملك على هذا ؟

قالت: الشيطان. قالت : اذهبى فأنت حرة .

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٩٠ .

(٢) خرجه الترمذى وقال حسن صحيح .

(٣) الإصابة ٧/ ٧٤٠ .

و في الوجع الذى توفى فيه النبى ﷺ ، اجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيى: أما والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى، فغمزتها أزواج النبى ﷺ وأبصرهن رسول الله ﷺ فقال: «مضمضن».

فيقلن : من أى شىء يا نبى الله؟

قال: «من تغامزكن بصاحبتكن، والله إنها لصادقة [1].

● وقوفها إلى جانب عثمان

جاءت صفية لما حوصر عثمان بن عفان على بغلة لترد عنه، فلقيها الأشتر فضرب وجه البغلة، فقالت: ردنى لا تفضحنى.

ثم وضعت حسناً [2] بين منزلها ومنزل عثمان فكانت تنقل إليه الماء [3].

● وفاتها

كانت رحمها الله رقيقة الإحساس تبكى لسماع القرآن الكريم . فقد اجتمع نفر فى حجرتها فذكروا الله تعالى والقرآن وسجدوا،

فنادتهم صفية : هذا السجود وتلاوةالقرآن فأين البكاء [4].

ماتت رضى الله عنها سنة خمسين [5].

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين صفية بنت حيى رحمة واسعة.

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ٩٠ .

(٢) الحسن : الكثيب النقى العالى « لسان العرب».

(٣) أعلام النساء ٣ / ٣٣٦ .

(٤) أعلام النساء ٢ / ٣٣٦ .

(٥) الإصابة ٧ / ٧٤٢ .

[١١] أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث
رضى الله عنها

هى : ميمونة بنت الحارث بن حَزْنْ بن يحيى بن الهرم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عَيلان بن مضر.

أمها: هند ، وقيل: خوله بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة من حمير. وقيل: من كنانة. ولا يعلم لأمها إسلام .

وأخوات ميمونة لأبيها وأمها، هن:

أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن، زوج العباس بن عبد المطلب - وأم بنيه النجباء الستة، الفضل، عبد الله، عبيد الله، مَعْبَد، قثم، عبد الرحمن وأول امرأة آمنت بعد خديجة عليها السلام - .

لبابة الصغرى بنت الحارث، زوج الوليد بن المغيرة المخزومى، هى أم خالد بن الوليد.

عصماء بنت الحارث، كانت تحت أبى بن خلف الجمحى، فولدت له أبان وغيره.

عزة بنت الحارث بن حزن، كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك الهلالى.

فهؤلاء أخوات ميمونة لأب وأم. وأمهن: هند بنت عوف.

وأخوات ميمونة لأمها

أسماء بنت عميس، كانت تحت جعفر بن أبى طالب، فولدت له عبد الله وعوناً ومحمداً.

ثم خلف عليها أبو بكر الصديق، فولدت له : محمداً.

ثم خلف عليها على بن أبى طالب ، فولدت له : يحيى.

سلمى بنت عميس الخثعمية أخت أسماء، كانت تحت حمزة بن عبد المطلب أسد الله وشهيد أحد، فولدت له أمة الله بنت حمزة. ثم خلف عليها بعده شداد بن أسامة بن الهادى الليثى، فولدت له: عبد الله وعبد الرحمن .

سلامة بنت عميس، أخت أسماء وسلمى، كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه الخثعمى.

زينب بنت خزيمة «أم المساكين»، أخت ميمونة لأمها.وقيل : قريبة لها.

وكان اسم ميمونة برة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة(١).

وأم الفضل كانت قد سارعت إلى الإسلام بعد خديجة، وتبعتها أخوات لها ثلاث منهن ميمونة.

وقد شهد النبي ﷺ لهؤلاء الأخوات الأربع بكمال الإيمان، وسماهن الأخوات المؤمنات»(٢).

●زواجها قبل النبي

كانت متزوجة بمسعود بن عمرو بن عمير الثقفي، ثم فارقها فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ (٣).

● زواج النبي بها

مكثت ميمونة في مكة بعد إسلامها، فلما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى مكة في عمرة القضية أرسل أوس بن خَوْلي وأبا رافع إلى العباس ليزوجه ميمونة. فأضلا بعيريهما، فأقاما ببطن «رابغ» أياماً إلى أن قدم النبي ﷺ فوجدا بعيريهما، فسارا معه حتى وصل مكة، فأرسل إلى العباس يذكر له ذلك، فجعلت أمرها إلى العباس، فجاء النبي -ﷺ- إلى منزله، فخطبها، فزوجه(٤).

وقيل: إن العباس كان قد وصف ميمونة للنبي ﷺ فأرسل إليها جعفراً يخطبها، فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها، وأصدقها عن النبي ﷺ أربعمائة درهم، وقيل خمسمائة.

وكان زواجها سنة سبع بعد غزوة خيبر في عمرة القضية في شوال أو ذي القعدة، وكانت سنها حوالي السادسة والثلاثين، وشكرت ربها بإعتاق عبد لها (٥).

وعن ابن شهاب، قال: خرج رسول الله ﷺ من العام القابل- عام الحديبية - معتمراً في ذي القعدة سنة سبع، وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام، فلما بلغ موضعاً ذكره ، بعث جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، فخطبها عليه جعفر.

فجعلت أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ (٦).

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٩١٤، ١٩١٥ . (٢) سيرة النبي العربي ٢ / ٦١ .

(٣) أعلام النساء ٥/ ١٣٨ . (٤) أخرجه ابن سعد ومالك في الموطأ، وحسنه الترمذي.

(٥) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ٢٢٨، ٢٢٩ .

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٩١٧ .

وذكر سنيد عن زيد بن الحباب، عن ابن أبى معشر، عن شرحبيل بن سعد، قال: لقى العباس بن عبد المطلب رسول الله ﷺ بالجحفة حين اعتمر عمرة القضية، فقال له العباس: يا رسول الله، تأيمت ميمونة بنت الحارث بن حزن بن أبى رهم بن عبد العزى، هل لك فى أن تتزوجها؟

فتزوجها رسول الله ﷺ ... »[1].

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبان بن صالح وعبد بن أبى نجيح، عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حرام، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل، وكانت أم الفضل تحت العباس، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة»[2].

● حال الرسول عند العقد

اختلف الناس فى حال الرسول حين زواجه بميمونة أكان محرماً، أم حلالاً؟

فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً، واحتج به أهل العراق فى تجويز نكاح المحرم، وخالفهم أهل الحجاز، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو ينكح.

وزاد بعضهم فيه: أو يخطب من رواية مالك، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم: أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال.

وخرج الدارقطنى والترمذى أيضاً من طريق أبى رافع أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال. فقد روى الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة - أن النبى ﷺ- تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس.

وفى مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضى الله عنها، قالت: تزوج رسول الله ﷺ وهو محرم، واحتجم وهو محرم، وإن لم تذكر فى هذا الحديث ميمونة، فنكاحها أرادت وهو حديث غريب.

وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ولاغيره.

وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال: غلط ابن عباس، أو قال: وهم. وماتزوجها النبى ﷺ إلا وهو حلال، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبى ﷺ

(١) المرجع السابق ٤/١٩١٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٢٥.

تزوجها محرماً، ولم ينقل عند أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه الدارقطني فى السنن من طريق أبى الأسود يتيم عروة، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره، فقف عليها، فإنها غريبة عن ابن عباس.

وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرماً، أى : فى الشهر الحرام، وفى البلد الحرام، وذلك أن ابن عباس رجل عربى فصيح، فتكلم بكلام العرب، ولم يرد الإحرام بالحج، وقد قال الشاعر:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ودعا فلم أر مثله مخذولا

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس أو لا [1].

● **الخلاصة**

ونستطيع أن نستخلص من هذه الآراء أن النبى ﷺ عقد على ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها وهو حلال، ويؤيد ترجيحنا هذا ما رواه صاحب «زاد المعاد» قال:

«ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهى آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة فى عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح».

وقيل: قبل حلاله، هذا قول ابن عباس، ووهم رضى الله عنه، فإن السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة وهو أبو رافع، وقد أخبر أنه تزوجها حلالاً، وقال: كنت أنا السفير بينهما وابن عباس إذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها، وكان غائباً عن القصة لم يحضرها، وأبو رافع رجل بالغ وعلى يده دارت القصة وهو أعلم بها، ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم » [2].

وفى الإصابة لابن حجر، قال يونس بن بكير : وحدثنى جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم؛ قال: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو حلال، وبنى بها فى قبة لها، وماتت بعد ذلك فيها».

وهذا مرسل عن ميمونة بنت خالد بن يزيد بن الأصم، وقد خالفه ابن خالتها الأخرى: عبد الله بن عباس، فجزم بأنه تزوجها وهو محرم. وهو فى صحيح البخارى، وقد انتشر الاختلاف فى هذا الحكم بين الفقهاء ومنهم من جمع بأنه

(١) المرجع السابق جـ٤ هامش ص٧٠٦ .
(٢) زاد المعاد ١/ ٢٨ .

عقد عليها ، وهو محرم، وبنى بها بعد أن أحل من عمرته بالتنعيم وهو حلال من الحل؛ وذلك بَيِّنٌ من سياق القصة عند ابن إسحاق.

وقيل : عقد له عليها قبل أن يحرم، وانتشر أمر تزويجها بعد أن أحرم فاشتبه الأمر » [1].

ونقول : إن التزوج حال الإحرام قد يكون من خصائص النبى ﷺ .

● **بناء النبى بميمونة**

مكث النبى والمسلمون بمكة ثلاثة أيام، يطوفون بالبيت ويصلون ويعبون من ماء زمزم، وقد قضوا بعد حاجات النفس المشوقة إلى بيت الله الحرام وفى صبح اليوم الرابع جاء سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى إلى رسول الله وهو يتحدث مع سعد بن عبادة، فصاح حويطب: نناشدك الله والعهد لما خرجت عن أرضنا ، فقد مضت الثلاث.

فقال سعد: كذبت ليست بأرضك ولا بأرض آبائك، والله لا يخرج، ولكن رسول الله حسم المخاصمة وقال لهما: «إني قد نكحت فيكم امرأة - ميمونة - فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ، ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا »

وذلك تطيباً لنفوسهم وتأليفاً لقلوبهم، ولكنهما أبيا.

فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل، فارتحل الرسول وأصحابه حتى نزلوا بسرف - قرية قرب مكة - وأقاموا هناك، وفيها بنى النبى ﷺ بزوجه ميمونة، ثم ارتحلوا إلى المدينة وألسنتهم تلهج بالشكر والثناء على الله، أن صدق وعده، ونصر عبده » [2].

● **جهادها فى سبيل الله**

فى غزوة تبوك كانت ميمونة فى صفوف المجاهدين، تسعف الجرحى وتواسى المرضى وتجاهد فى سبيل الله حق الجهاد.

ويقال إنها رضى الله عنها عملت مع مجموعة من نساء المسلمين على إسعاف الجرحى، ومواساة المرضى.

---

(١) الإصابة ٨ / ١٢٦ .

(٢) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد أبو شهبة ٢ / ٣١٢ .

كما أنها رضى الله عنها كانت تقوم مع أخواتها المؤمنات بإسعاف الجرحى، والقيام بواجبات المجاهدين في سوح الكرامة والشرف، ولقد أصابها فى جهادها سهم من سهام الأعداء وهى تحمل الماء للمصابين فكاد أن يقتلها لولا عناية الله ولطفه»[1].

● ورعها وتقواها

قال ابن سعد : أخبرنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، قال : حدثنا يزيد الأصم، قال: تلقي عائشة وهى مقبلة من مكة، أنا وابن طلحة بن عبيد الله، وهو ابن أختها، وقد كنا وقعنا فى حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه، فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله، ثم أقبلت على فوعظتنى موعظة بليغة.

ثم قالت: أما علمت أن الله تبارك وتعالى ساقك حتى جعلك فى بيت نبيه؟

ذهبت والله ميمونة ورمى بحبلك على غاربك.

أما إنها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم.

وحدث يزيد الأصم أيضاً أن ذا قرابة لميمونة دخل عليها فوجدت منه ريح شراب، فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك، أو قالت: يطهروك، لا تدخل على بيتى أبداً ».

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا عقبة بن وهب العامرى البكائى قال: أخبرنى يزيد بن الأصم، قال: رأيت أم المؤمنين ميمونة تحلق رأسها بعد رسول الله ﷺ.

فسألت عقبة لم؟ فقال: أراه تبتلا »[2].

● وفاتها

عن يزيد بن الأصم قال: دفنا ميمونة بسرف فى الظلة التى بنى فيها رسول الله، وكانت يوم ماتت محلوقة، قد حلقت فى الحج، فنزلنا فى قبرها أنا وابن عباس، فلما وضعناها مال رأسها، فأخذت ردائى فوضعته تحت رأسها، فانتزعه ابن عباس فألقاه ووضع تحت رأسها كذانة «يعنى حجراً» .

قال محمد بن عمر: توفيت سنة إحدى وستين فى خلافة يزيد بن معاوية، وهى آخر من تزوج وآخر من مات من أزواج النبى ﷺ، وكان لها يوم توفيت ثمانون أو إحدى وثمانون سنة[3].

رحم الله السيدة الجليلة الفاضلة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رحمة واسعة.

---

(١) زوجات النبى الطاهرات محمد محمود الصواف ص ٨١ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٩٩ . (٣) المرجع السابق ٨/ ١٠٠ .

الفصــــل الثــــانى

حيـــــاة
النبـــى كــتاب مفــــتوح

- مدخل
- التخيير وسببه
- التحريم وسببه
- تعدد زوجات النبى والحكمة منه
- شبهات على تعدد زوجات النبى والرد عليها.

● مدخل

ما وقع للنبى ﷺ لايمكن أن يقع مثله لفرد واحد، لأن رسول الله أمة، وإنما قد يصيب الفرد منه شىء، ويصيب غيره شىء آخر.

وهكذا.. يجد المؤمنون جميعاً في كل عصر ومصر أسوة وقدوة فى رسول الله ﷺ مصداقاً لقول الله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾[1].

ولقـد جـعل الله تبارك وتعالى حياة النبى الخاصة والعامة كتاباً مفتوحاً لأمته وللبشرية كلـها، تقـرأ فيه صور هذه الحياة، وترى فيه تطبيقاتها الواقعية، ومن ثم لا يجعل فيـها سراً مخبوءاً ،ولا ستراً مطوياً، بل يعرض جوانب كثيرة منها فى القرآن، ويكشف منها ما يطوى عادة عن الناس فى حيـاة الإنسان العادى، حتى مواضع الضعف البشرى الذى لا حيلة فيه لبشر، بل إن الإنسان ليكاد يلمح القصد فى كشف هذه المواضع فى حيـاة الرسول ﷺ للناس لأنه ليس له فى نفسـه شىء خاص، فهو لهذه الدعوة كله، فعلام يختبئ جانب من حياته ﷺ أو يخبأ؟

إن حياته هى المشهد المنظور القريب الممكن التطبيق من هذه العقيدة، وقد جاء ﷺ ليعرضها للناس فى شخصه وفى حياته، كما يعرضها بلسانه وتوجيهه.

ولهذا خلق، ولهذا جاء.

ولقد حفظ عنه أصحابه ﷺ ونقلوا للناس بعدهم - جزاهم الله خيـراً - أدق تفصيلات هذه الحياة، فلم تبق صغيرة ولا كبيرة حتى فى حياته اليومية العادية، لم تسجل ولم تنقل.

هذا إلى جانب ما سجله القرآن الكريم من هذه الحـيـاة وهو السـجل البـاقى للبشرية إلى نهاية الحياة[2].

وحياة الرسول البيتيـة فيـها من الانفعالات والاستجابات الإنسانيـة بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات فى حياته ﷺ، وفى حياة الجماعة المسلمة كذلك، ثم فى التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع فى بيوت رسول الله، وبين أزواجه.

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٢) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٦/٣٦٠٩، ٣٦١٠ بتصرف يسير.

والحياة فى جو النبوة فى بيوت رسول الله ﷺ لم تكن لتقضى على المشاعر البشرية، والهواتف البشرية فى نفوس أزواجه رضى الله عنهن، فقد كان يبدر أو يشجر بينهن، ما لابد أن يشجر في قلوب النساء فى مثل هذه الحال. ففى رواية ابن إسحاق عن عائشة رضى الله عنها أنها كرهت جويرية بمجرد رؤيتها لما توقعته من استملاح رسول الله ﷺ لها إذا رآها.

وكذلك روت هى عن نفسها حادثاً لها مع صفية، قالت: قلت للنبى ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا. قال الراوى : تعنى قصيرة ! .

فقال ﷺ : «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[1].

كذلك روت عن نفسها أن النبى ﷺ حين نزلت آية التخيير التي فى الأحزاب -والتى سنبين موضوعها - اختارت هى الله ورسوله والدار الآخرة، وطلبت إليه ألا يخبر زوجاته عن اختيارها! وظاهر لماذا طلبت هذا!!

فقال ﷺ : «إن الله لم يبعثنى معنفاً، ولكن بعثنى معلماً ميسراً، لا تسألنى امرأة منهن عما اخترتِ إلا أخبرتها»[2].

هذه الوقائع التى روتها السيدة عائشة - عن نفسها - بدافع من صدقها ولتربيتها الإسلامية الناصعة، ليست إلا أمثلة لغيرها تصور هذا الجو الإنسانى الذى لابد منه فى مثل هذه الحياة، كما تصور كيف كان الرسول ﷺ ، يؤدى رسالته بالتربية والتعلية فى بيته كما يؤديها فى أمته سواء»[3].

• **عظمة النبى**

لقد خص الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بأن أباح له من الزوجات ما لم يبح لغيره. فقد تزوج إحدى عشرة زوجة ودخل بهن، منهن اثنتان ماتتا فى حياته،وهما السيدتان: خديجة بنت خويلد، وزينب بن خزيمة «أم المساكين».

وتوفى عن تسع، وهن السيدات: عائشة بنت أبى بكر، وسودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة بنت أبى سفيان، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيى النضيرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية.

وإذا كان الإسلام قد أعطى المرأة حقوقاً كثيرة ورفع من شأنها، فقد حظى بالنصيب الأوفى من ذلك نساء النبى ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود . (٢) سبق تخريجه.

(٣) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٦/٣٦١٣ .

ولما أنكر الفاروق عمر على زوجته أن تراجعه فى أمر، قالت له: عجباً لك يا ابن الخطاب، أما تحب أن تراجع فى شىء !!، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فذهب إلى ابنته يسألها، فإذا هى تؤكد له ذلك.

وكان كثيراً مايوصى بالنساء خيراً، ويقول: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» [1].

وفى حجة الوداع أوصى بهن خيراً، فقال ﷺ: «إنما النساء عندكم عوان فى أيديكم، ولا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله فى النساء، واستوصوا بهن خيراً».

وإن الإنسان ليعجب كيف وفق النبى ﷺ بين هؤلاء التسع وهن مختلفات فى السن، والطبائع، والأخلاق والمشارب؟!

ولا عجب، فالنبى بسعة عقله، ورحابة صدره، وكرم أخلاقه، أمكنه أن يحسن عشرتهن ويعدل بينهن،وأن يوفق بين رغباتهن، وأن يعشن عيشة الأخوات لا عيشة الضرائر ، وإنها لبطولة حقاً أن يكون عنده هذا العدد من الزوجات، ويقوم بأعباء الرسالة،وتكوين خير أمة وأول دولة فى الإسلام على خير ما يكون، والواحد من الناس تكون عنده الزوجة الواحدة، والعدد القليل من الأولاد، ومع هذا يكون فى شغل شاغل، وفى حيرة من التوفيق بين حقوق زوجته وولده، والقيام بواجبات عمله على وجه مرضى.

لكنه النبى الذى وسع الناس جميعاً بعقله وصدره وبره، وهن خيار نساء هذه الأمة الحريصات على رضاء الله ورسوله، ومع كونهن بهذه المنزلة فلم تخل معاشرتهن للنبى ﷺ من بعض المضايقات، بسبب ما ركز فى فطرة المرأة من الغيرة، وحب الاستئثار بالزوج » [2].

ولقد كان ﷺ فى القمة من الحكمة: حلماً وكرماً، ورحمة وحنوا، ورعاية واحتمالاً.

كان يطب لكل موقف بما يناسبه من العلاج الناجع، والتصرف الحكيم، فقد يرى أن موقفاً معيناً لا يجدى فيه الغضب فضلاً عن أن ينفع فيه العنف، مع أن الموقف قد يظهر بادئ الأمر كمثير، ولكنه ﷺ يتمهل وهو يعلم أن ما طبعت عليه المرأة قد يكون ذا مدخل كبير فى هذا الموقف، لم تستطع منه فكاكاً، بل قد يريها الموقف الشىء على حقيقته فتتصرف هى بناء على ذلك [3].

(١) رواه ابن ماجة.

(٢) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد أبو شهبة ٢ / ٥١٠ .

(٣) منهج السنة فى الزواج د. محمد الأحمدى أبو النور ص ٣٩٠ .

• **التخيير وسببه**

قد يسبق إلى أذهان البعيدين عن السيرة، أن حياة رسول الله ﷺ الخاصة، قامت على التوسع فى المطاعم والمشارب..والمتع الأخرى:

والصورة التى قد ترتسم بادئ الأمر لرجل عنده عدة نساء، أنه مغمور بالسعادة المادية يقوم بيته على الموائد الحافلة باللحوم والفواكه، ويرتوى من الأشربة التى تسرى فى أوصاله بالنشوة. ثم ينقلب بين أحضان البيضاوات والشقراوات ويصبح يستقبل الدنيا بعد ذلك خالى البال!!

وقد تكون هذه الصورة مساوية أو مقاربة لما يدور فى قصور الملوك.

لكن حذار أن تسفه نفسك فتحسب شيئًا من هذا العيش الرخى فى بيوت - النبى - محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

انتقل على عجل إلى لون آخر من الحياة الخشنة لترى فيه رجلاً تعلقت همته بالحق وحده. فهو ينتعش بمعرفته.ويجتهد لجمع الناس عليه. وقرة عينه فى خطوةٍ تُقربه من غايته شبراً، أما أهواء الدنيا فهى تحت قدميه ودبر أذنيه.

إذا استطاعت قذائف المدافع على ظهر الأرض أن تبلغ النجوم البعيدة، استطاعت مغريات الحياة أن تقترب من قلب محمد الزكى النقى. ذاك إنسان اصطفته العناية، فهو يحلق فى مدى آخر. ويقول فيه : «ما لى وللدنيا.. إنما أنا كرجل قال[1] - أى استراح وقت القيلولة - تحت ظل شجرة ثم راح وتركها» .

إنه يربط همم البشر بالمثل العليا، وما تصير إليه عند الله فيقول: «موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[2].

وحياته مع زوجاته نهج من الشظف لا يطيقه أحد.

روى البخارى عن أنس بن مالك قال: ما أعلم النبى رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق الله، ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط!!

وعن عائشة قالت: إن كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة فى شهرين وما وقدت فى أبيات رسول الله ﷺ نار !!.

---

(١) صحيح . أخرجه الترمذى وصححه ابن ماجة والحاكم وأحمد عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه البخارى بتمامه ،ومسلم بالشطر الثانى عن سهل بن سعد.

فقال لها عروة بن الزبير: ما كان يعيشكم؟

قالت : الأسودان.. التمر والماء.

وقالت عائشة أيضاً: لقد توفى رسول الله ﷺ وما فى رفى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى».

أما الفراش الذى يأوى إليه هذا النبى ﷺ فهو أدم- جلد - حشوه ليف يثوى فيه قليلاً، فما أن يستدفئ به حتى يسمع الصارخ - الديك - فينهض متأهباً لصلاة الفجر.

ولا نعنى بهذا الوصف أن الإسلام يعاف الطيبات أو أن نبيه يسن للناس تركها.

كلا.. فشريعة الإسلام فى هذا بينة نيرة، وإنما نسرد الواقع من حياة رجل صدقت نفسه عما يقتتل الناس عليه، إن الرجل قد يترك لأولاده الصغار لعبة يفرحون بها ويختصمون عليها ، لأن طبيعة رجولته فى شغل عن عبث الصبية.

إن بعض المخترعين والمفكرين يذهلون عن الطعام المهيأ لهم، لا ازدراء له، ولكن استغراقاً فيما ملك عليهم مشاعرهم.

وكأنى أتخيل النبى ﷺ وهو يرى سواد الناس يتهافتون على الحطام فيهز رأسه أسفاً، ويقول: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[1].

ثم يضرع إلى الله : «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[2].

إن من الزراية بالعقل والجور الفاحش على التاريخ أن يجئ رجل من عرض الطريق، - فيرى - أو يقال له : إن محمداً كان لديه نسوة عديدات فيظن أن ذلك دلالة استكثار من الشهوات وتشبع من الدنيا.

ولا يحسبن أحداً هذا الإخشيشان[3] فعل من لا يجد، وأنه لو فتحت إلى بيوت النبى ﷺ نافذة تطل على بحبوحة الحياة الراغدة، لاستمتع واكتنز، واستمتع نسوته وابتهجن.

لا.. كان قادراً أن يحجز من المال الذى يمر به ويحكم فيه ما يشاء، لو يشاء، لكن النبي السمح كان فوق التطلع إلى اللذات الصغيرة، لأن عينيه ترمقان هدفاً أسمى، ولو سيقت إليه خزائن الأرض لفكر- قبل كل شئ - فى إشباع نهمة الناس منها.

---

(١) أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

(٢) أخرجه البخارى، واللفظ له من حديث أبى هريرة، وليس هو تمام الحديث الذى قبله كما يتبادر من عبارة المؤلف. بل كل من الحديثين مستقل عن الآخر ، ولا يدرى المتقدم منهما من المتأخر.

(٣) الإخشيشان : من الخشونة وهى ضد اللين، واخشوشن الشىء اشتدت خشونته وهى من المبالغة «مختار الصحاح».

عن أبي ذر: كنت أمسى مع النبى فى حرة المدينة، فاستقبلنا أحد. فقال: يا أبا ذر..
قلت: لبيك يا رسول الله.

فقال: « ما يسرنى أن عندى مثل أحد ذهباً، تمضى علىّ ثلاثة وعندى منه دينار - إلا شيئاً أرصده لدين - إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا » عن يمينه وعن شماله ومن خلفه.

ثم مشى فقال: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، وقليل ماهم » [1].

إن أشهى الطعام فى فم الرجل الشبعان الممتلئ لا مذاق له، وقد كان النبى ﷺ شبعان القلب، فما يخف إليه غيره من زينة الدنيا لا يحرك منه شعرة، فلا غرو إذا بعثر ما يصل إليه على المحتاجين والمترفين، أما هو فغناه فى قلبه.

ذاك أدب أخذه الله به من قديم، منذ قال له : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾ [2].

غاية ما يبغيه هذا النبى أن ينجو من مآسى الدنيا ومظالم البشر، فلا تستذله أو تستذل أهله فاقة!.

إنه يعيش على قاعدة «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» [3]، وفى حدود هذا القليل الكافى، يود أن يخلص من عقابيل الخلق، لا له ولا عليه، ولذلك كان يدعو الله: «اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والفاقة والذلة،وأن أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يُجهل على» [4].

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى ذر. (٢) سورة طه الآيتان ١٣١، ١٣٢ .

(٣) هذا حديث مرفوع إلى النبى ﷺ بسند صحيح، فكان ينبغى التصريح بذلك. أخرجه أحمد، وكذا الطيالسى فى حديث لأبى الدرداء وسنده صحيح على شرط مسلم وعزاه المنذرى لأبى حبان فى صحيحه والحاكم، ورواه أبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى وكذا الضياء المقدسى فى «الأحاديث المختارة» والطبرانى من حديث أبى أمامة.

(٤) صحيح ،وهو مركب من حديثين، الأول عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول فذكره دون قوله «الفاقة» وقوله فى آخره « أو أجهل» أخرجه هكذا أبو داود ، والنسائى ، والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبى وهو كما قالا . والثاني عن أم سلمة قالت: ما خرج النبي ﷺ من بيتى قط إلا رفع =

و يقول : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[1].- الاستغناء-

وهذا المنهج الصارم فى المعيشة تقاضى نساءه أن يتحملن شدة ماكن يعرفنها من قبل. لقد جئن إليه من بيوتات كبيرة. وأكثرهن اعتادت فى صدر حياتها الزاد الطيب والنعمة الدافقة، إما مع آبائهن، وإما مع رجالهن السابقين.

فلا عجب إذا تململن من هذه الحياة الجديدة، وطلبن الرغد والنعومة، واجتمعن - على ما بينهن من خلاف - ليسألن الرسول مزيداً من النفقة!!.

إنهن فى بيت أعظم رجل فى العرب، فيجب أن تتكافأ معيشتهن مع مكانتهن، وقد تزعم هذه المطالب عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر، وتبعهن الباقيات[2].

● مطالب ورد

لما نصر الله تعالى رسوله ورد عنه الأحزاب، وفتح على يديه قريظة والنضير فى آخر السنة الخامسة للهجرة، وكانت قريظة والنضير قبيلتين من أقوى قبائل اليهود وأغناها، تحتلان حيين من أكبر أحياء المدينة المنورة، تحدث بعض أزواجه بعد سماعهن لما جرى على بعض الألسنة من أنه ﷺ اختص بنفائس اليهود وذخائرهن، من جوهر وذهب وفضة وأعلاق وعروض. وكن فى تلك الفترة تسع نسوة:

١ - السيدة سودة بنت زمعة . ٢ - السيدة عائشة بنت أبى بكر.

٣ -السيدة حفصة بنت عمر. ٤ - السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان.

٥ - السيدة أم سلمة . ٦ -السيدة زينب بنت جحش.

٧ - السيدة صفية بنت حيى . ٨ -السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية.

٩ - السيدة جويرية بنت الحارث المصطلقية.

طرفه إلى السماء فقال :«اللهم إنى أعوذ بك ان أضل أو أضل، أو أذل أو أذل، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يُجهل على» رواه أبو داود، والنسائي وغيرهما، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين،ووافقه الذهبي وهو كما قالا وصححه الترمذى .

(١) صحيح بلفظ : «والعفاف» بدل « والعافية» كذلك أخرجه مسلم، والترمذى ، وصححه ابن ماجة وأحمد عن ابن مسعود .

(٢) فقه السيرة ، الشيخ محمد الغزالى ص ٤٩٢-٤٩٦ .

فقعدن حوله عليه السلام، وشكون له من شظف العيش وقسوته، وطالبن بأن يوسع عليهن، خاصة وأن الله تبارك وتعالى قد وسع على المسلمين، وعلى رسول الله ﷺ، فلا حرج في أن يوسع عليهن »[1].

وكان النبي ﷺ قد أخذ نفسه وأهله وولده بالتقشف والتقلل من طيبات الحياة وزخارفها، وفرض على نفسه وعليهن لوناً من ألوان المعيشة لايتميز عن معيشة عامة الأمة، إن لم يَقِلْ، وهو ﷺ قدوة للمسلمين جميعاً، قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2]. فليكن نساؤه كذلك قدوة لنساء الأمة.

لذلك.. تألم النبي لمطالبهن، فاعتزلهن شهراً، ولما اعتزل النبي نساءه شاع ذلك، وعظم الأمر على الصحابة، فذهب الصديق أبو بكر إلى المشربة التي اعتزل فيها رسول الله، فإذا الناس جلوس محزونون، فاستأذن على رسول الله، فأذن له، ثم جاء الفاروق عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي واجماً ساكناً وحوله نساؤه.

فقال أبو بكر: لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ، فقال: يارسول الله لو رأيت بنت خارجة - زوجته - سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت[3] عنقها.

فضحك رسول الله وقال:«هن حولي كما ترى يسألنني النفقة».

فقام أبو بكر وعمر إلى ابنتيهما يزجرانهما ويقولان: لا تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فتعهدتا بذلك.

وبعد مضي مدة الاعتزال أنزل الله آيتي التخيير، قال عز شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾[4].

فبدأ رسول الله بعائشة، وقال: « يا عائشة أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتي تستشيري أبويك».

قالت: وما هو يا رسول الله؟

فتلا عليها الآيتين.

---

(١) ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص٤٦٢ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٣) طعنتها في عنقها طعناً مؤلماً.

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٢٨، ٢٩ .

قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوى؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت.

فأبى وقال: «لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثنى متعنتاً، ولكن بعثنى معلماً ميسراً» [1] . ثم خيرهن فكلهن اخترن الله ورسوله[2].

● **رواية أخرى**

عن عمر رضى الله عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء إليه ليلاً، فدق عليه بابه وناداه، قال عمر: فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم .

فقلت: ماذا، أجاءت غسان؟«لأنا كنا حدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا».

فقال: لا ، بل أمر أعظم من ذلك وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه.

فقلت: خابت حفصة وخسرت، وكنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت ثيابى، ودخلت علي حفصة وهى تبكى.

فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟

قالت: لا أدرى، هو هذا معتزلاً فى هذه المشربة: أى لأن نساءه اجتمعن عليه ﷺ فى طلب النفقة، أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن.

قال عمر رضى الله عنه: لأقولن من الكلام شيئاً أضحك به النبى ﷺ.

فأتيت غلاماً له ﷺ أسود، فقلت له: استأذن لعمر.

فدخل الغلام ثم خرج، وقال: قد ذكرتك له فصمت،

فانطلقت حتى أتيت المسجد، فجلست قليلاً،

ثم غلبنى ما أجد، فأتيت الغلام، فقلت: استأذن لعمر.

فدخل، ثم خرج إلى، فقال: قد ذكرتك له فصمت،

فلما كانت المرة الرابعة، وقال لى مثل ذلك وليت مدبراً، فإذا الغلام يدعونى، فقال: ادخل، قد أذن لك.

فدخلت، فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟

قال: فرفع رأسه إلى وقال: «لا». فقلت: الله أكبر.

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨/ ٤٢٢-٤٢٤ ، صحيح مسلم كتاب الطلاق باب تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية .

(٢) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ٣/ ٥١٠، ٥١١ .

ثم قلت: كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن منهن، فكلمت فلانة: يعنى زوجتى، فراجعتنى، فأنكرت عليها. فقالت: تنكر أن راجعتك؟

فوالله لقد رأيت أزواج النبى ﷺ يراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.

فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب زوجها رسول الله ﷺ.

فذهبت إلى حفصة، فقلت: أتراجعن رسول الله ﷺ؟

فقالت: نعم، وتهجره إحدانا اليوم إلى الليل.

فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ، لا تراجعين رسول الله ﷺ، ولا تسألينه شيئاً، وسلينى ما بدالك، ولا يغرنك أن كانت جارتك أحب إلى رسول الله ﷺ منك؟ يعنى عائشة رضى الله عنها، فتبسم أخرى.

فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم.

فجلست وقلت: يا رسول الله، قد أثر فى جنبك رمل هذا الحصير، وفارس والروم قد وُسِّعَ عليهم. وهم لا يعبدون الله.

فاستوى ﷺ جالساً، وقال: أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟.

أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا.

فقلت: استغفر الله يا رسول الله.

فلما مضى تسع وعشرون يوماً أنزل الله تعالى عليه أن يخير نساءه فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾، فنزل ودخل على عائشة رضى الله تعالى عنها،

فقالت له: يا رسول الله أقسمتَ أن لا تدخل علينا شهراً، وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوماً أعددهن. [وهذه ميزة فى الزوجة التى تعد الأيام التى يغيب فيها زوجها بخلاف من لا تهتم].

فقال ﷺ: «إن الشهر تسع وعشرون».

وفى رواية: يكون هكذا وهكذا، يشير بيديه وفى الثالثة حبس إبهامه، ثم قال ﷺ: «يا عائشة إنى ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلى»

وفى رواية : «إنى أعرض عليك أمراً وأحب أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك».
قالت: وما هو يا رسول الله؟
فقرأ على : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ ﴾ الآية.
قلت : أفى هذا أستأمر أبوى؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة .
وفى رواية : أفيك يا رسول الله أستشير أبوى؟ بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة.
قالت رضى الله عنها: ثم قلت له: لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت لك.
فقال ﷺ: «لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثنى متعنتاً، ولكن بعثنى معلماً ميسراً».
ثم فعل بقية أزواجه ﷺ مثل ما فعلت عائشة رضى الله تعالى عنها [1].

وهكذا نجد أن النبى ﷺ قد استمتع بأزواجه ومتعهن، كما قالت عائشة عنه: «كان إذا خلا بنسائه ألين الناس، وأكرم الناس، ضحاكاً بساماً» [2].

ولكنه إنما كان يستمتع بهن ويمتعهن من ذات نفسه، من فيض قلبه، من حسن أدبه، من كريم معاملته.

أما حياتهن المادية فكانت فى غالبها كفافاً، حتى بعد أن فتحت له الفتوح، وتبحبح المسلمون بالغنائم والفىء» [3].

وبهذه المناسبة قال العلماء : هل تخيير النبى ﷺ لنسائه كان بين إمتاعهن بالدنيا وبين اختيار الآخرة، أو بين طلاقهن وبين المقام معه؟

رأيان فى الموضوع، والتخيير نزل بعد انتهاء مدة اعتزالهن، وهى شهر.

وسبب الاعتزال مختلف فيه، ويجوز أن تكون الأسباب كلها سبباً له، وإن كان الأليق أن يكون السبب هو طلب النفقة وكان لاختيارهن الحياة مع رسول الله ﷺ على رقة حاله تقدير كبير عند الله تعالى فجازاهن بأن منع النبى ﷺ أن يضم عدداً آخر إليهن بعد ذلك، تلافياً لما قد يوجد من مضايقات له ولهن، وحتى لا يفهم من ذلك أن المقصود هو الاقتصار على العدد الموجود دون مجاوزته، منعه من أن يستبدل بواحدة منهن أخرى أو بهن جميعاً.

---

(١) السيرة الحلبية ٣/ ٤٠٧، ٤٠٨ .

(٢) رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن سعد وابن عساكر عن عائشة .

(٣) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٦/ ٣٦١٢ .

وكان هذا الدرس كافياً ليمحو آخر ما فى أنفسهن من رغبة لم تتجاوز المباحات المشتهاة فاخترن - جميعاً - البقاء مع النبي على قاعدته العتيدة «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» ،وعشن معه للجهد والتهجد، والبذل والمواساة ،والتواضع والخدمة.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [١].

فـآثرن الله ورسوله والدار الآخرة.. وعشن مع النبى ، معينات على الحق راغبات فى الثواب.

وبهذا التفانى فى خدمة الرسالة، والإهمال لمطالب النفس، رفع الله درجاتهن فلم يصبحـن زوجات رجل يطلبن فى ظله المتاع. بل صرن شريكات في حياة فاضلة غالية، واستحققن قول الله عـز وجـل : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (٦) ﴾ [٢].

● **النبى كان غنيًا**

لقد أغنى الحق تبارك وتعالى نبيه محمدا قال تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [١]

فى هذه الآية الكريمة يورد الحق تبارك وتعالى نعمة من النعم التى أنعم بها على رسـوله ﷺ وهي إغناؤه بعد أن كان فقيراً ، وبهذا يتبدد ما قيل عن الرسول ﷺ من أنه كان فقيراً طول حياته.

وقد اجتمع له هذا الغنى من أمور : ما ورثه عن أبويه، فلم يكن أبوه ولا أمه بالفقيرين فقراً مدقعًا ، وإنما كانا من أوساط الناس. وورث منهما أشياء، ثم كفله جده وعمه أبو طالب، ولما كبر أخذ يعمل فى رعى الغنم ويتجر ويكسب، وقضى بقية حياته إلى وقت مبعثه ﷺ فى التجارة.

ومن هذا التعامل المالى سمته قريش بالأمين، حيث رأوا أمانته ﷺ عن قرب فى تعاملهم معه. وإلا فمن أين لهم أن يصفوه بالأمانة؟

ومن هذا الاتجار والنجاح فيه عرفته خديجة رضى الله عنها بالأمانة والنجاح فى التجارة، فطلبته كى يضارب لها فى مالها ويتاجر،وكان أن طلبت منه

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٢٨، ٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦ .

(٣) سورة الضحى الآية ٨.

زواجها لأنه رجل ناجح فى الحياة، - إلى جانب ما يتمتع به من خلال كريمة - وفى هذا الزواج المبارك أصدقها رضى الله عنها اثنتى عشرة أوقية من الذهب فوق ما قدمه لها عمه أبو طالب من الإبل وكان عشرين (بكرا). وفى ذلك دلالة على غناه وأنه لم يكن فقيراً حين تزوج خديجة رضى الله عنها.

وهذا الغنى يتأكد لنا حين نعرف أن مكة المكرمة فى ذلك الوقت كانت المركز التجارى العالمى بين الشرق والغرب وذلك يبدو فى قوله تعالى ممتنًا على قريش فى سورة قريش ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ وفى قوله تعالى: ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ﴾ ؟

وزاد هذا الغنى حين جمع ماله على مال خديجة بعد زواجهما، وقد خاطبته رضى الله عنها حين فاجأه الوحى مثبتة إياه، ومبشرة له بالنبوة فقالت له: «إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» فمن أين له أن يعين هؤلاء جميعًا، إذا لم يكن غنيًا ؟!!

وغنى عن البيان أن مال خديجة الكثير وغناها الواسع قد اجتمع للرسول ﷺ ولأولاده بعد وفاتها، وهاجر إلى المدينة، ومعه ماله ومالها.

فكان فى قدرة مالية أعانه الله بها على مواجهة هذه الحياة الجديدة، وكانت أول استعانة بهذا المال هو شراؤه أرض مسجده الشريف، ومسكنه بجانبه الذى اتسع فيما بعد إلى حجرات ضمت زوجاته رضى الله عنهن معه.

وإذا كانت الآية الكريمة تحكى حياته ﷺ فى مكة. فإن الله سبحانه كان معه فى إغنائه بالمدينة أيضًا وازداد المال كثرة والغنى اتساعًا وذلك بما أفاء الله عليه من الفىء وخمس الغنيمة [1].

وقد أحصى الإمام النووى هذه الأموال والأملاك عند شرحه لحديثه ﷺ: «نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» [2].

---

(١) جزء مقال للدكتور إبراهيم هلال صحيفة الأخبار ١٣ / ١٠ / ١٩٨٩ م بتصرف.

(٢) رواه مسلم

فقال : أملاك النبى ﷺ التى تركها وتوفى عنها من الأرض وكان يجعل جل ريعها صدقات. وقد صارت إليه هذه الأرض التى جاءت فى الأحـاديث التى أشارت إليها بثلاث طرق.

أحدها : ما وهب له، وذلك وصية مخيريق اليهودى له عند إسلامه يوم أحد، وكانت سبع حوائط (حدائق) فى بنى النضير.

ومـا أعطاه الأنصـار من أرضـهم، وهو مـالا يبلغـه الماء أى الماء الجـارى فى الجداول من الأمطار.

والثانى : حقه من الفيء من أرض بنى النضير حين أجلاهم، كانت له خاصة لأنهـا لم يوجف عليـهـا المسلمون بخـيل ولا ركـاب، وكـان يخـرجـهـا فى نوائب المسلمين، وكـذلك نصف أرض فـدك، صـالح أهلها بعـد فـتح خيـبـر على نصف أرضها، وكان خالصًا له.

وكذلك ثلث أرض وادى القرى، أخذه فى الصلح حين صالح أهل اليهود.

والثالث : سهمه من خمس خيبر.

فكانت هذه كلها لرسول الله ﷺ خاصة لاحق لأحد فيها غيره. لكنه ﷺ كان لايستأثر بها بل ينفقها على أهله والمسلمين وللمصالح العامة، وكل هذه صدقات محرمات التملك بعده «انتهى كلام الإمام النووى».

إضافة إلى ما سبق نورد ما يلى :

- **الحكم فى الأرض المفتوحة**

الحكم فى الأرض المفـتـوحة تضبطه آيـتـان فى القرآن الكريم، نزلت الأولى فى شأن الأرض التى فـتـحت (عنوة) أى عن طريق الجهاد وتسـمى «غنيمة» .ونزلت الثانية فى شأن الأرض التى انتقلت إلى المسلمين دون حرب وتسمى «فيئًا».

أما آية الغنيـمة فوردت فى سورة الأنفال ونصها :﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٤١﴾ ﴾[1] .

(١) سورة الأنفال الآية ٤١ .

وبمقتضى النص : تقسم إلى خمسة أقسام ، أربعة منها توزع على المجاهدين، والخمس الباقى يختص به الرسول لينفق منه على أهله ومن يليهم من فقراء المسلمين.

وأما آيه «الفيء» فوردت فى سورة الحشر ونصها : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

ذلك هو الحكم فى الأرض التى تفتح دون حرب أو قتال، ولو أعدت قراءة صدر الآية فسوف تجد هذا الوصف واضحًا فى الأرض التى أفاء الله بها على رسوله دون قتال أو ركاب ... والتعبير صريح فى أنها خالصة للنبى ﷺ ولا تقسم كالغنائم على الفاتحين ، وإنما يكون مصرفها مصرف خمس الغنائم (لله ولرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل).

ولذلك يصرفه النبى ﷺ فى مصالح المسلمين، ويبقى له ما يكفيه وأهله منه.

وفى ذلك يقول ابن كثير : كان رسول الله ﷺ يعزل منها نفقة أهله لمدة سنة، ثم يجعل ما بقى مجعل مال الله تعالى يصرف فى الكراع والسلاح ومصالح المسلمين.

- **فتح خيبر**

هذا هو حكم القرآن فى هذين النوعين من الأرض التى حازها المسلمون ، أما عن الظروف التاريخية التى أدت بأرض (فدك) إلى حوزة الرسول ﷺ فترجع إلى مفتتح العام السابع للهجرة،عندما تجهز الرسول ﷺ إلى غزو يهود خيبر - على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة - وكانت أرضهم عامرة بالمزروعات والنخيل،

---

(١) سورة الحشر الآيات ٦-١٠.

انطلق جيش المسلمين فى ألف وستمائة مجاهد ومعهم مائة فارس على ظهور الخيل، فلما فوجئ اليهود بالجيش يحاصر قلاعهم، ولوا الأدبار وأخذوا يتصايحون : هذا محمد والجيش معه .

فقال الرسول حين سمعهم : «خربت خيبر ... إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

وحمل المسلمون على اليهود حملة شديدة،فلما أيقنوا بالهلكة طلبوا الصلح، ولكنهم غدروا ونقضوا العهد كشأنهم دائمًا، فتقدم المسلمون ودكوا الحصون التى تستروا فيها، وانتهت الغزوة بهزيمة يهود خيبر هزيمة منكرة. وحق عليهم تقسيم أرضهم وممتلكاتهم طبقًا لحكم القرآن فى الغنيمة،وعرض اليهود على النبى ﷺ أن يبقوا فى الأرض لزراعتها واقتسام ريعها مع المسلمين، وقبل الرسول هذا العرض.

ويعلل الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد) قبول الرسول لهذا العرض بأن : الرسول أمن بسقوط خيبر بأس اليهود، وآمن بأنهم لن تقوم لهم بعد ذلك قائمة أبداً، ثم إن ما كان بخيبر من الحدائق والمزارع والنخيل كان يحتاج إلى الأيدى العاملة الكثيرة وحسن القيام على زراعتها، ولئن كان أنصار المدينة أهل زراعة، فإن أرضهم كانت فى حاجة إلى أذرعهم، كما أن النبى كان فى حاجة إلى جيوشه للحرب، فهو لا يرضى أن يتركهم للزرع.

وصالح الرسول ﷺ يهود خيبر على أن يكون لهم نصف ريع الأرض، ويكون نصفها الثانى للمسلمين، وكان يبعث إليهم فى كل عام رسولاً يقاسمهم.
ويستنتج الشيخ أبو زهرة من ذلك أمرين :

الأول :أن الأرض تبقى فى أيدى المغلوبين، على أنهم لا يملكون رقبتها، بل يعملون فى زراعتها ومراعاة أشجارها ومساقاتها (أى حق الانتفاع) ، ولهم شطر ما يخرج من زرع وتمر، والنبى ﷺ يأخذ الشطر ويوزعه فى مصارف الغنائم.

الثانى : إن ذلك غير ملزم للنبى ﷺ بل له أن ينزع الأرض من أيديهم إذا أراد، ولا يريد إلا ما يكون فيه مصلحة للمسلمين.

وروى أبو داود : أن النصف الذى يخص المسلمين ما كان النبى ﷺ يقسمه قسمة الغنائم، بل كان يبقيه لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس، أى يجعله لمصالح المؤمنين من غير تخصيص. ومهما يكن من الأمر بالنسبة لغلة

«النصف» فإنه يتبين من هذا أن النبى ﷺ جعل الأرض فى أيدى أهلها على أن يكونوا زارعين حارثين مصلحين فى الأرض غير مالكين لرقبتها، بل رقبتها لجماعة المسلمين، ولذلك كان للإمام أن يخرجهم منها حيثما كان ذلك فى مصلحة المسلمين. وهو ما حدث فى عهد عمر بن الخطاب.

• أهل فدك

هذا ما كان بشأن أرض خيبر .. فماذا حدث بالنسبة لأرض «فدك»؟

كان يهود فدك يعيشون إلى جوار يهود خيبر، فلما رأوا ما جرى لإخوانهم وهم أهل الحصون المنيعة، أصابهم الرعب، ورأوا أن الرسول ﷺ قد أبقى الأرض فى أيدى أهل خيبر يرعونها ويغرسونها ويصلحون شجرها على أن يكون لهم نصف إنتاجها، فهرعوا إلى الرسول ﷺ مستسلمين بعد أن ألقى الله الرعب فى قلوبهم،وطلبوا أن يعاملوا معاملة أهل خيبر، فكانت (فدك) فيئاً أفاء الله به على رسوله، أى خالصة له، لأن المسلمين لم يحملوا عليها بخيل ولا ركاب، وكان النبى ينفق ريعها على المصارف المقررة لله ولرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وللحافظ ابن كثير فى تاريخه : كانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة، ثم يجعل ما بقى مجعل مال الله تعالى يصرفه فى الكراع والسلاح ومصالح المسلمين[1].

وهنا نأتى إلى ما نسب للرسول ﷺ من أنه قال أو كان يقول فى دعائه : «اللهم أحينى مسكينا، وأمتنى مسكينا، واحشرنى فى زمرة المساكين»[2] مما فتح الباب للكثيرين من التقول عليه ﷺ، من أنه كان فقيراً، وكان يقضى حياته دائمًا، مع الفقر والمسغبة، فإن هذا الحديث قد وصفه ابن الجوزى، والإمام الشوكانى ضمن الأحاديث الموضوعة المكذوبة على الرسول ﷺ، وبينا الضعف الذى جاء فى روايته وأسانيدها الواهية.

ومما قاله الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى محقق كتاب «الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة» للإمام الشوكانى - فى رد هذا الحديث : إن الله سبحانه وتعالى امتن على رسوله ﷺ فى هذه الآية الكريمة بنعمة الغنى، فلم

---

(١) جزء مقال للأستاذ جمال بدوى فى إحدى الصحف.

(٢) حديث موضوع.

يكن من الجائز أن يرد الرسول ﷺ هذه النعمة التى امتن الله بها عليه. ويقول : اللهم أحينى مسكينًا ... إلخ.

ثم قال : أما ماكان يتفق من جوعه وجوع أهل بيته بالمدينة، فلم يكن ذلك مسكنة بل كان يجيئه المال الكثير، كربع لهذه الأرض وغير ذلك ، فينفقه فى وجوه الخير منتظراً مجىء غيره، فقد يتأخر مجىء الآخر. وليس هذا من المسكنة.

هذا هو ﷺ فى حياته المعيشية قال تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ [1].

وأخيراً نقول :لم يشك رسول الله ﷺ إلى أحد حاجة، وكان الفقر أحب إليه من الغنى، وكان يظل نهاره جائعاً، ويبيت ليله كذلك، ولا يمنعه هذا من صيام غيره متى طلع النهار.

تقول عائشة : لقد بكيت مراراً من الشفقة عليه، إذ كنت أراه يربط على بطنه الحجر والحجرين ليسكن ما به، فكنت أمسح بطنه بيدى، وأقول له: «نفسى لك الفداء يا رسول الله ! لو أخذت من الطعام ما يقويك على الصيام».

فكان يقول : « يا عائشة، مالي والدنيا ! لقد سبقنى أولو العزم من الرسل، وصبروا على ما هوأشد من هذا، فمضوا على حالهم، وقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم، وأحسن ثوابهم!. وإنى أخاف إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا عنهم، وليس أحب إلى من أن ألحق بإخوانى وأخلائى » [2].

وقال عمر :قلت: يا رسول الله، قد أثر فى جنبك رمل هذا الحصير، وفارس والروم قد وُسِّعَ عليهم. وهم لا يعبدون الله.

فاستوى ﷺ جالساً، وقال: أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟.

أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا.

فقلت: استغفر الله يا رسول الله.

من هذا يتأكد لنا أن النبى ﷺ كان غنيًا يملك لكنه لم يعش عيشة من عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا.

كما أنه ﷺ أراد يحافظ على سبقه لأولى العزم من الرسل وألا يتساوى بهم، ولا يتأخر عنهم.

---

(١) جزء مقال للدكتور إبراهيم هلال ، صحيفة الأخبار ١٣ / ١٠ / ١٩٨٩ .

(٢) سيرة النبى العربى ١ / ٤٠٨ .

- **التحريم وسببه**

قال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [(1)].

وردت فى سبب نزول هذه الآيات روايات متعددة أشهرها روايتان.

الرواية الأولى:

أستأذنت حفصة النبى ﷺ فى زيارة أبيها،

وقيل: فى زيارة عائشة لأنهما كانتا متصادقتين: أى بينهما المصافاة فأذن لها.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها، فرجعت حفصة فأبصرت مارية مع النبى ﷺ فى بيتها، فلم تدخل حتى خرجت مارية، ثم دخلت، وقالت له: إنى رأيت من كان معك فى البيت، وغضبت وبكت، وقالت: يا رسول الله لقد جئت إلى بشىء ما جئت به إلى أحد من نسائك، فى يومى وفى بيتى وعلى فراشى.

فلما رأى رسول الله ﷺ فى وجهها الغيرة، قال لها : «اسكتى فهى حرام على، أبتغى بذلك رضاك».

وفى رواية : «أما ترضين أن أحرمها على نفسى ولا أقربها أبدا ؟ »

فقالت : بلى.

وحلف أن لا يقربها : أى قال إنها حرام.

وفى رواية: «قد حرمتها علي، ومع ذلك أخبرك أن أباك الخليفة من بعد أبى بكر، فاكتمى على».

وفى رواية : قال لها: «لاتخبرى بما أسررت إليك» فأخبرت بذلك عائشة رضى الله عنهما، فقالت: قد أراحنا الله من مارية، فإن رسول الله قد حرمها على نفسه، وقصت عليها القصة.

وقيل: خلا ﷺ بمارية فى يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمى

---

(١) سورة التحريم الآيات ١-٥ .

على، قد حرمت مارية على نفسى، فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين، بينهما من المصافاة فطلقها، وأنزل الله تعالى عند تحريم مارية قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ① قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ .

أى أوجب عليكم كفارة ككفارة أيمانكم، لأن الكفارة تحل ما عقدته اليمين؛ لأن هذا ليس من الأيمان.

وأطلع الله رسوله ﷺ على أن حفصة قد نبأت عائشة بما أسره إليها من أمر مارية، وأمر الخلافة.

فلما أخبر ﷺ عائشة ببعض ما أسرته لها، وهو أمر مارية وأعرض عما أسره من أمر الخلافة خوفاً أن ينتشر ذلك فى الناس.

قالت عائشة: من أنبأك هذا ؟

قال: « نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ».

ومن ثم كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: والله إن خلافة أبى بكر وعمر لفى كتاب الله، ثم يقرأ هذه الآية »[1].

الرواية الثانية:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلو أو العسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فدخل على حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما)، فاحتبس عندها أكثر مما يحتبس عندنا، فسألت عن ذلك، فقيل لى: أهدت امرأة من قومها لها عكة عسل، فسقت منه النبى ﷺ شربة فقلت: أما والله لنحتالن له.

فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك إذا دخل عليك فقولى له:

يا رسول الله ﷺ أكلت مغافير؟

فإنه سيقول لك : سقتنى حفصة شربة عسل.

فقولى له : جرست نحله العرفط [2].

وسأقول له ذلك. وقولى له أنت يا صفية .

قالت: تقول سودة، فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فكدت أن أباديه بما

---

(١) السيرة الحلبية ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣ .

(٢) أى رعت نحله شجر العرفط الذى صمغه المغافير، فلهذا ظهر ريحه فى العسل الذى شربه.

أمرتنى به، فلما دنا منها قالت: يا رسول الله أكلت مغافير؟ ، قال: «لا»

قالت : فما هذه الريح الذى أجده منك؟

قال: «سقتنى حفصة شربة عسل».

قالت: جرست نَحلُه العرفط،

فلما دخل على ،قلت له مثل ذلك.

فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك.

فلما دار إلى حفصة قالت له : يا رسول الله أسقيك منه؟

قال: «لا حاجة لى فيه ».

قالت: تقول سودة : سبحان الله، والله لقد حرمناه.

قالت لها : اسكتى» أخرجاه

وفى رواية: أن العسل كان عند سودة، وفيها أن عائشة وحفصة رضى الله عنهما كانتا متآخيتين، فقالت إحداهما للأخرى: أما ترين إلى هذا قد اعتاد هذه يأتيها فى غير نوبتها، يصيب من ذلك العسل، فإذا دخل عليك، فخذى بأنفك، فإذا قال لك: مالك؟

فقولى: أجد منك ريحاً لا أدرى ماهو،ثم ذكر معنى ما تقدم».

وفى رواية أن العسل كان عند زينب بنت جحش وفيه نزل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ [1].

عن ابن عباس قال: «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى - فيهما -: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾

حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطرق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرز، ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ.

فقلت: يا أمير المؤمنين،من المرأتان من أزواج النبى ﷺ اللتان قال الله تعالى -فيهما-: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ .

فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس .

قال الزهرى: كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه، قال: هى عائشة وحفصة [2].

---

(١) السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين للمحب الطبرى ص ٩٢، ٩٣ .

(٢) صفوة التفاسير محمد على الصابونى هامش ٣/ ٤٠٦ .

• آراء العلماء بالنسبة للروايتين

الشيخ الصابونى يرجح الرواية الأولى فيقول : والذى يرجح هذه الرواية أمور:

أ - إن مثل تحريم بعض النساء مما ينبغى به مرضاة بعض الزوجات لا شرب العسل أو عدمه.

ب - إن الاهتمام بإنزال سورة فيها الوعيد والتهديد لأزواج رسول الله بالطلاق واستبدالهن بنساء خير منهن، وأن الله وملائكته وصالح المؤمنين عون لرسول الله ﷺ، يدل على وجود تنافس بينهن وغيرة بعضهن من بعض، مما أدى إلى إيذاء رسول الله ﷺ فعلاً حتى حرم بعض جواريه إرضاء لهن، واستكتم البعض منهن الأمر فأفشين السر، وهذا يرجح ما ذكرناه».

ويقول الشيخ سيد قطب [1]: وكلا الروايتين يمكن أن يكون هذا الذى وقع، وربما كانت الثانية [2] أقرب إلى جو النصوص وإلى ما أعقب الحادث من غضب كاد يؤدى إلى طلاق زوجات الرسول ﷺ نظراً لدقة الموضوع وشدة حساسيته.

ولكن الرواية الأولى [3] أقوى إسناداً ،وهى فى الوقت ذاته ممكنة الوقوع، ويمكن أن تحدث الآثار التى ترتبت عليها، إذا نظرنا إلى المستوى الذى يسود بيوت النبى، مما يمكن أن تعد فيه الحادثة بهذا الوصف شيئاً كبيراً ». والله أعلم أى ذلك كان.

أما الإمام ابن كثير فيقول: «وكون قضية شرب العسل سبباً للنزول فيه نظر، والله أعلم »[4].

ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره فى قلب رسول الله ﷺ حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاة الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، ليطيب خاطر الرسول ﷺ ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير.

---

(١) فى ظلال القرآن ٦ / ٣٦١٤ .

(٢) التى تقول إن الذى حرمه النبى على نفسه هو مارية.

(٣) التى تقول إن الذى حرمه النبى على نفسه هو العسل.

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٦٠٦ .

ولابد أن الموقف فى حس رسول الله ﷺ وفى محيطه كان من الضخامة والعمق والتأثير إلى الحد الذى يتناسب مع هذه الحملة،ولعلنا ندرك حقيقته من هذا النص ومما جاء فى الرواية على لسان الأنصارى - صاحب عمر - وهو يسأله: جاءت غسان؟ فيقول: لا، بل أعظم من ذلك وأطول.

وغسان هى الدولة العربية الموالية للروم فى الشام على حافة الجزيرة العربية،وهجومها إذ ذاك أمر خطير، ولكن الأمر الآخر فى نفوس المسلمين كان أعظم وأطول! فقد كانوا يرون أن استقرار هذا القلب الكبير،وسلام هذا البيت الكريم، أكبر من كل شأن، وأن اضطرابه وقلقه أخطر على الجماعة المسلمة من هجوم غسان عملاء الروم !!.

وهوتقدير يوحى بشتى الدلالات على نظرة أولئك الناس للأمور وهو تقدير يلتقى بتقدير السماء للأمر، فهو إذن صحيح قويم عميق»[1].

(١) فى ظلال القرآن ٦/ ٣٦١٦ .

تعدد زوجات النبى والحكمة منه

كان بيت النبى ﷺ قبل الهجرة يتكون منه ﷺ ومن زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها، وهى أول من تزوج من النساء، ولم يتزوج غيرها فى حياتها.

وكان له عليه السلام منها ابنان ماتا قبل الهجرة بمكة، وأربع بنات وهن: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

وبعد وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها تزوج بعدة زوجات كان يتألف منهن بيته فى المدينة، وكن أكثر من أربع زوجات مما كان سبباً فيما أثاره بعض المستشرقين، وما يثيره بعض الجهلة من المسلمين حول هذا الموضوع، واتهام الرسول الأعظم ﷺ بجموح العاطفة.

« ولو أن هؤلاء الطاغين بحثوا بحثاً مجرداً عن الهوى والتعصب فى أسرار تعداده صلوات الله وسلامه عليه لأزواجه لكبروا إعجاباً لنبل المشاعر الإنسانية عند الرسول، ولكنه الهوى يعمى ويصم، فلم يكن زواج رسول الله بزوجاته إلا لحكم عالية ومقاصد سامية ، حكم عامة، وحكم خاصة .

● الحكم العامة

١ - حرص النبى ﷺ على بلوغ عقائد هذا الدين وشرائعه وآدابه وأخلاقه إلى جميع البشر رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، وقد كانت زوجاته خيرمعوان له على تحقيق هذا الواجب الذى هو من أهم واجبات الرسالة، وهو التبليغ.

فزوجاته - رضوان الله عليهن - كن مصابيح هداية وإرشاد ،ووسائل تبليغ فى حياة النبى ﷺ وبعد وفاته، فقد تحدثن وروين وأفتين فى مسائل مما يتعلق بالمباشرة الزوجية، والمضاجعة وآدابها، والإكسال بعد الجماع، والاغتسال بعده أو عدم الاغتسال،والقبلة أثناء الصوم، وكيف يتمتع الرجل بامرأته أثناء الحيض والنفاس من غير المباشرة المحرمة، إلى غير ذلك مما يجب على كل مسلم ومسلمة معرفته، وإلا وقع فى الإثم والحرج من حيث لا يدرى.

روى أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى عن أبيه، قال: «ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً».

وروى هشام بن عروة عن أبيه، قال: «ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة».

وكذلك كانت زوجات النبى ﷺ فى العلم والفقه وإن تفاوتن فى ذلك.

٢ -تبليغ الأحكام الخفية الخاصة بالحياة الزوجية،والتى لا يطلع عليها إلا الزوجات غالباً،ومعرفة السياسة الخاصة بالمنزل.

والمعاشرة الزوجية لها منزلتها فى الحياة الاجتماعية، قد يصعب على واحدة أو قلة من الزوجات القيام بهذا التبليغ كما ينبغى، وذلك لكثرة الأسئلة عن هذه الأحوال الخاصة.

وكان لأزواج النبى ﷺ باع طويل فى رواية الأحاديث وتبليغ الأحكام بوجه عام،وعلى رأسهن السيدة عائشة، التى روت من الأحاديث قرابة ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وتلقاها عنها كثير من الصحابة والتابعين. وكذلك روت السيدة حفصة ستين حديثاً.

فمن الأحكام الخفية التى لايعرفها إلا الزوجات تقبيل النبى لزوجاته وهو صائم، فقد أخبرت بذلك أم سلمة، وكذلك إخبار إحدى زوجاته أنه كان يأمرها أن تتزر وهى حائض ثم يضاجعها(١).

٣ -امتداد الدعوة بعد وفاته عن طريق ألصق الناس برسول الله، وهن زوجاته ﷺ ، فقد ظلت عائشة تنشر العلم بعد وفاة النبى ﷺ حوالى نصف قرن، وكذلك السيدة أم سلمة.

وهكذا نرى أن تعدد زوجاته ﷺ كان ضرورة دينية لامحيص عنها.

٤ -الاستعانة بهن فى شرح الغوامض التى كانت ترد فى إجابة النبى على أسئلة النساء، وفيها ما يستحيا من ذكره، كشرح عائشة للمرأة كيفية التطهر بغسل الحيض الذى كنّى عنه النبى ﷺ ولم يفصح. وقد كان عليه الصلاة والسلام على حياء كبير اضطره أحياناً أن يكنى عن الأعضاء الخفية وما يتصل بها.

٥ -إظهار معجزة أو منقبة للرسول كانت كامنة، ولولا هذا العدد من الزوجات ما برزت للناس،وذلك بزيادة أعباء التكاليف عليه، إذ كيف تظهر قوة الرسول

---

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد أبو شهبة ٢ / ٢٥١، ٢٥٢ بتصرف.

فى القيام بواجبهن جميعاً مع تقشفه وكثرة صيامه وطول قيامه ومشاق جهاده، الأمر الذى جعل الصحابة يتحدثون عنه بأنه أعطى قوة ثلاثين أو أربعين من الرجال، إنها طاقة لا تكون إلا للموهوبين أو المصطفين من الناس.

٦ - تحقيق صدقه فى دعوته، وتبرئته من تهمة الناس له بالسحر والكهانة وما إليهما. إذ كيف يعرف أنه ليس كذلك، وربما مارس هذه الأعمال خفية، حيث لا يكون غالباً إلا سراً، ولكن إطلاع الزوجات على أحواله الداخلية، وهن من يؤمَن معه تواطؤهن على ستر العيوب، ولايتصور اتفاقهن على ممالأته فى ادعاءاته إن كانت باطلة.

٧ - رفع درجات النبى ﷺ بزيادة أعباء التكليف فى القيام بواجبهن، وماأشقه وأدقه وأهمه !! لقد كان الوحى يلاحقه وهو مضطجع مع بعض نسائه. كما رواه البخارى عن أنس: «يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة، فإنه والله ما نزل علىَّ الوحى، وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها».

٨ - إظهار أخلاقه الشريفة المستترة ومحاسنه الباطنة، التى لاتعرف إلا فى ظل الحياة الزوجية بشكل واسع، يدل على ذلك أنه تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان، وكان أبوها كافراً محارباً للرسول إذ ذاك، وتزوج صفية بنت حيى بن أخطب، وقد قَتَلَ أباها وعمها وزوجها، فلو لم تطلعا من بواطن أحواله على أنه أكمل الأزواج لكانت الطباع البشرية تقضى بالنفور عنه، والميل إلى الآباء والأقارب.

وقد بلغ من إعجاب أم حبيبة بأخلاقه ﷺ أن عرضت عليه أن يتزوج أختها، لولا أن الجمع بين الأختين حرام،وقد صح ذلك عند البخارى ومسلم .

٩ - تأليف العرب بالمصاهرة، ليخفف ذلك من حدة عنادهم للرسول ﷺ، وقد كان لهذا الإصهار أثره فى مثل قول أبى سفيان، عندما سمع أن النبى تزوج بنته: هو الفحل لا يُقْدع أنفه. ذكره ابن مسعود وغيره،

وفى اختيار صفية لرسول الله ﷺ عندما خيرها بين المقام معه والرجوع إلى أهلها، وكان لهذا أثره فى تخفيف الحدة بين الرسول واليهود بعد ذلك.

وكذلك فى مثل جويرية بنت الحرث المصطلقية التى اختارت الرسول ﷺ عندما جاء أبوها يفتديها منه، وكان قد أخفى بعيرين، فقال له النبى

ﷺ: «وأين البعيران اللذان بالعقيق فى شعب كذا وكذا»؟

فأسلم،وأسلم معه ولداه وناس من قومه، كما روته كتب السيرة[1].

١٠ -إقامة الحجة على أنه ﷺ نبى حقاً فالواحد منا تكون عنده الزوجتان ويحار كيف يوفق بينهما ويتعذر عليه الاستحواذ على إرضائهما والعدل بينهما، وهذا هو رسول الله ﷺ كانت عنده تسع نسوة فوفق بينهن واكتسبن رضاه حتى كن يتسابقن فى ذلك، وذلك بسبب سعة عقله ﷺ ،ورحابة صدره، وحسن خلقه، وبعد نظره وعجيب سياسته، وكمال كياسته.

ولعلك إذا علمت أن هذه الحياة الزوجية الطويلة مع هذا العدد الكثير لم يقع فيها سوى حادثين أو ثلاث [2].

•الحكم الخاصة

لكل زوجة حكمة خاصة بها:

١ - السيدة : خديجة بنت خويلد رضى الله عنها

تزوج الرســـول ﷺ السيدة خديجة وهو فى شرخ الصبا وريعان الفتوة، وكمال الرجولة، وظلت خديجة وحدها زوجة مدة تزيد عن خمس وعشرين سنة حتى تخطى الرسول الخمسين، وهذا في زمن كان تعدد الزوجات أمراً شائعاً بين العرب، وعلى حين كان للرسول مندوحة فى التزوج على خديجة حيث لم يعش له منها ذكر، فى وقت كانت توأد فيه البنات، وكان الذكور وحدهم هم الذين يعتبرون خلفاً [3].

كما أن زواجه ﷺ من السيدة خديجة رضى الله عنها لا يحتاج إلى حكمة عامة أو خاصة فهو زواج الفطرة .

و المحفوظ من سيرة النبى ﷺ أنه تزوج بالسيدة خديجة وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وكانت – هى – في سن الأربعين، وظل معها وحدها، لايضم إليها أخرى حتى تجاوزت السيدة الفضلى الخامسة والستين.وماتت،وهو -صلوات الله وسلامه عليه – فوق الخمسين .

ولم يجرؤ أحد من أشد خصومه لدداً، أن ينسب إليه دنساً أو يتهمه بريبة في هذه

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/١٧٨،١٧٩ .

(٢) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد ابو شهبة ٢ / ٢٥٢ بتصرف.

(٣) العرب وظهور الإسلام د. محمود محمد زيادة ص ٣٥٣ .

الفترة الخصيبة من عمر الإنسان .. كان رونق العفاف والشرف يتألق فى جبينه حيث سار. ولو أنه أحب التزوج بأخرى ما عاقه مانع من شرع أو عقل أو عادة.

فإن التعدد كان مألوفاً بين العرب ، معروفاً فى ديانة أبى الأنبياء إبراهيم، إلا أنه ظل مكتفياً بمن استراح إليها واطمأن بصحبتها ، ولو أنها طعنت فى السن وبقى هو فى كامل قوته وتمام رجولته. ولهذا المسلك دلالته القاطعة [1].

مع ملاحظة أن الزيادة على أربع لا تحقق حكمتها فى زواج خديجة ولاعائشة ولا سودة ولاحفصة ، فإن خديجة ماتت ولم يتزوج عليها فى حياتها - كما بينا - والأربعة اللاتى بعدها لا يُسْأل عن حكمة زواجهن، فهن فى حيز العدد المسموح به لكل فرد ، ومع ذلك فإن لزواجه بكل منهن حكمة جليلة .

٢ - السيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها

بعد أن لحقت خديجة بالرفيق الأعلى التى لم يشرك النبى ﷺ معها أحداً تزوج النبى ﷺ السيدة: سودة بنت زمعة أرملة السكران بن عمرو بن عبد شمس، ولم يرو راو أن السيدة : سودة كانت من الجمال، أو من الثروة، أو المكانة بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثراً فى زواجه ﷺ منها .

إنما كانت سودة زوجاً لرجل من السابقين إلى الإسلام الذين احتملوا في سبيله الأذى، والذين هاجروا إلى الحبشة بعد أن أمره النبى، وقد أسلمت سودة وهاجرت معه وعانت المشاق ما عانى، ولقيت من الأذى مالقى، ثم عادت مع زوجها إلى مكة ولكنه مات عقب وصوله وتركها مهيضة الجناح، معرضة لنكال أبيها المشرك، وكان الرسول ﷺ يومئذ بغير زوجة، ترعى أولاده، ليتفرغ لواجب الدعوة الشاق فلما عرضت خولة بنت حكيم عليه ﷺ أمر سودة هذه، الذى كان سنها تقارب السبعين وظروفها كما قدمنا صعبة.

أدرك ﷺ أنه لا ينبغى أن يتركها لمحنتها، أو يتخطاها فتزداد شماتة الكفار بها ، فتزوجها ﷺ ليعولها، وليرتفع بمكانتها إلى أمومة المؤمنين، يضاف إلى ذلك تشريفه لها ولقومها لأن أخوالها من بنى النجار، وهو يتألف بها بنى عبد شمس أعداء بنى هاشم، كما خاف عليها أن يفتنها قومها إذا رجعت إليهم بعد موت زوجها ، كل هذه أمور يستحق من أجلها أسمى التقدير وأجل الحمد»[1].

---

(١) فقه السيرة الشيخ محمد الغزالى ص ٤٨٦ .

٣ - السيدة : عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما

كـان زواج النبى ﷺ بها تقوية لرابطة الصداقة بينه وبين أبى بكر الصديق وإرضاء له وتكريماً على وقوفه بجواره ﷺ وتحمله مالم يتحمله غيره فى سبيل الدعوة الإسلامية وبخاصة فى الناحية المالية، إلى جانب ما يلى:

أ - حمل أمانة العلم النافع وتبليغه عنه للنساء فى حياته ﷺ وبعد مماته.

ب - امتثال النبى ﷺ لأمر ربه فيما رأى في نومه، فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لها: «أريتك فى المنام مرتين : أرى أنك فى سرقة من حرير، ويقول: هذه امرأتك، فأكشف فإذا هى أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه » [٢].

٤ - السيدة : حفصة بنت عمر رضى الله عنهما

تزوجها النبى ﷺ إكراماً لأبيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، على الرغم من عدم وجود ما يغرى على زواجها، فإنه بعد موت زوجها خنيس بن حذافة السهمى عقب غزوة بدر، وهو من القلائل الذين حضروا غزوة بدر، ومات بعد الموقعة بقليل وترك من بعده حفصة أرملة فى سن الثامنة عشرة، ولم تكن على شئ من الجمال.

عرضها أبوها على أبى بكر وعثمان بعد وفاة زوجته السيدة : رقية بنت النبى ﷺ فلم يجيباه، فى الوقت الذى جدت فيه ظروف بعد موقعة بدر شعر المسلمون فيها بأن كثرة الغزوات قد ترتب عليها قله عدد الرجال، بينما يزيد عدد الأرامل بعد سقوط أزواجهن فى هذه المعارك، فعمدوا إلى مبدأ تعدد الزوجات ليحمل كل أخ عن أخيه المسلم شيئا من أعباء تركته، فيصون زوجته من الترمل والوحشة، ويعصمها من الفتنة أو المذلة، ويدفع عنها الحاجة لا بصدقة تأباها، أوتهدر قدرها، بل بزواج يقيم ظهرها، ويرفع قدرها » [٣].

وعلى هذا الأساس ذهب عمر - والد الأرملة الشابة - يعرض زواج ابنته على صديقه أبى بكر فلم يجد منه جواباً شافياً، فاتجه إلى عثمان بن عفان، فلم يقبل

---

(١) انظر عبقرية محمد للعقاد ص٣٠٠، ٣٠١، وحياة محمد ﷺ ص٣٣٠، وموسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ١٧٩ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) وامحمداه، نظمى لوقا ص١١٦، والحقبة المثالية ص٢٥٣، والعرب وظهور الإسلام د. محمود محمد زيادة، وموسوعة الأسرة للشيخ عطية صقر ٦/ ٢٥٥ .

عثمان هذا الزواج، وأدرك عمر أنه جرح من صاحبيه فذهب إلى رسول الله يبث إليه حزنه، ويرفع شكاته من أقرب الناس إليه وأدرك رسول الله أنه لا شفاء لنفس عمر إلا بأن تتزوج ابنته رجلاً خيرا من أبى بكر ومن عثمان، فمن ياترى يكون هذا الرجل؟

لن يكون سوى رسول الله ، كأنه أراد بذلك أن يسوى بين صاحبيه الكبيرين (أبى بكر وعمر) فى الإصهار إليه، فوق ما صنع من مواساة لعمر، ورد اعتبار ابنته»[1].

٥ - السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله عنها

كانت أرملة، فقد قيل إنها كانت زوجة قبل النبى ﷺ لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب الذى قتل يوم بدر

وقيل: كان زوجها قبل النبى هو عبد الله بن جحش الأسدى المستشهد يوم أحد وقيل غير ذلك.

إلى جانب كونها كانت تلقب بأم المساكين لكثرة تصدقها عليهم، وبرها بهم، وتكريماً للشهادة فى شخص زوجها الذى توفى عنها، تزوجها النبى ﷺ. وقد توفيت رضى الله عنها فى حياة النبى ﷺ ولم تلبث معه سوى مدة قصيرة .

٦ - السيدة أم سلمة رضى الله عنها

تزوجها النبى ﷺ بعد موت زوجها، وكان زواجه ﷺ منها مكافأة لها على ما لقيته من الشدة عند إسلامها، وعند هجرتها ، فقد كانت أول مهاجرة للحبشة ،وأول ظعينة[2] للمدينة، انتزعها أهلها من زوجها عند هجرته، ثم لحقت به بعد ذلك.

وربما كان استجابة من الله لدعوة زوجها أبى سلمة بأن يرزق الله أم سلمة من بعده زوجًا لايخزيها ولا يؤذيها أو استجابة لدعائها الذى تقدم.

كان زواج النبى ﷺ منها عزاء لها، وتكريماً لجهادها، وجبراً لكسرها ، وتعويضاً لها عن فقد عائلها الذى مات عنها بعد غزوة أحد بشهور، وعرفانا

---

(١) عبقرية محمد للعقاد ص ٢٠٣ ، والحقبة ص ١٥٢ ، والعرب وظهور الإسلام ص ٣٥٥ .

(٢) الظعينة: أى الباترة والمسافرة، وأصل الظعينة الراحلة: يُرْحل ويظعن عليها : أى يُسار، وقيل: للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الرجل حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت، وقيل: الظعينة : المرأة فى الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج ظعينة، «نهاية ابن الأثير».

لتضحياتها وتضحيات زوجها أبى سلمة فى سبيل الله والإسلام، فقد هاجرا إلى الحبشة ، وكانا أول مهاجرين إلى المدينة.

ومهما قيل فى أم سلمة، وأنها كانت ذات جمال فى شبابها، فقد كانت فى كبر سنها، وما مرت به من أحداث جسام، وما أنجبت من أولاد وما رزئت به من فقد الرجل الذى كانت تقول فيه : ومن خير من أبى سلمة؟ ما يذوى هذا الجمال إن لم يذهب به» [1].

بعد أربعة أشهر من موت أبى سلمة خطب النبى ﷺ أم سلمة. فاعتذرت بكثرة العيال، وبأنها تخطت الشباب، فمازال بها حتى تزوج منها، وأخذ نفسه بالعناية بتنشئة أبنائها، والذى زاد المسلمين به تعلقاً وجعلهم يرون فيه نبى الله ورسوله، ويرون فيه إلى جانب ذلك أباً لهم جميعاً.

أباً لكل مسكين ومحروم وضعيف وبائس وعاجز.

أباً لكل من فقد أباه شهيداً فى سبيل الله » [2].

٧ - السيدة : زينب بنت جحش رضى الله عنها

الأربعة السابقات عليها لا يحتجن إلى تعليل لتعددهن، فهن فى حيز العدد المسموح به، ومن جاء بعدهن يحتاج زواجهن إلى تعليل، وأولاهن السيدة زينب بنت جحش وقد تزوجها النبى ﷺ بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة مولاه، وذلك لإبطال حكم التبنى، الذى كان يمنع تزوج الرجل بمطلقة ابنه المتبنى، كما كان فى زواج النبى ﷺ بها رد اعتبار لها، ومكافأة لها على رضاها بحكم الله ورسوله فى الزواج من مولى وهى شريفة قرشية، لأنها بنت أميمة عمة النبى ﷺ.

وكانت هى موضع التجربة فى إزالة العصبية الجاهلية فى نظرتهم لكفاءة النكاح، إذ نرى أن تجربة الإلغاء تكون فيمن يمكنه أن يتزوجها قبل زيد إذا أراد، ثم إنه قد استفاض عنها بعد طلاقها من زيد أنها أتعبته، ولهذا لم يجرؤ أحد على زواجها بعده، فتزوجها النبى ﷺ.

ومن اللافت للنظر أن زيداً مطلقها هو الذى كلفه النبى ﷺ بخطبتها له. فالموضوع كله تخطيط للتشريع، لا لشهوة أو دنيا. ولهذا كان الله سبحانه هو الذى زوجها للنبي ﷺ بدون ولى عنها، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد أبو شهبة ٢ / ٢٦٥ .

(٢) حياة محمد، د. محمد حسين هيكل ص ٣٣١، ٣٣٢ .

زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾. فكون الله هو الذى زوجها له، وعنده أربع، دليل على إباحة تجاوز هذا الحد له خاصة [١].

كان هذا الزواج امتحاناً قاسياً لرسول الله، أمره الله به لإبطال تقليد شائع عند العرب. وأقدم عليه الرسول وهو شديد التحرج والحياء والأذى.

و زينب هذه من قريبات الرسول ، فهو يعرفها حق المعرفة من طفولتها ، وقد رغب فى أن يزوجها من زيد بن حارثة. فكرهت ذلك ورفض أخوها. اعتزازاً بما لأسرة زينب من مكانة، فهى من ذؤابة قريش.

ومن زيد؟إنه كان عبداً، ولو أن الرسول أكرمه فيما بعد وألحقه بنسبه فصار يدعى زيد بن محمد!!

إلا أن زينب لم تجد بداً من الانصياع لأمر النبى، فقد أراد أن يحطم الاعتزاز بالأنساب وأن ينكح زيداً زينب! فرضيت وفى نفسها غضاضة، أو قبل أخوها وهو يؤدى حق السمع والطاعة فحسب، بعد ما نزل قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [٢].

ودخل زيد بزينب، فوجد امرأة مصروفة الفؤاد عنه، تسلمه جسدها ، وتحرمه العطف والتقدير، فثارت رجولته وقرر ألا يبقى معها ، وتدخل النبى بين الحين والحين لإصلاح ذات البين دون جدوى.

فى هذه الحال أوحى الله لنبيه أن يدع زيداً يطلق زوجته، وأن يتزوجها هو بعد انتهائها منه[٣] .

وهكذا نرى أن زواج النبى ﷺ من السيدة زينب لم يكن لشهوة عارمة دفعته ﷺ ، إلى ذلك بعد أن رأى من مفاتنها ما جعله يقول : سبحان مقلب القلوب - كما يدعى البعض -، ولا لهوى ملك عليه نفسه وملأ فؤاده بحبها ، وإنما كان :

أ - لإبطال حرمة زوجة الابن المتبنى، والقضاء على أمر الجاهلية فى هذا الشأن من العنجهية والاعتزاز بالأحساب والأنساب.

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ١٨٠، ١٨١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦ . (٣) فقه السيرة ، الشيخ محمد الغزالى ص ٤٨٧، ٤٨٨ .

ب - إعلان للتسوية بين الناس وتنفيذها عملاً بعد أن كانت بنات الأشراف يأنفن من الزواج من موال وإن أعتقوا وصاروا أحراراً.

جـ - إزالة الفوارق المصطنعة بين الناس القائمة على العصبية وحمية الجاهلية. إذ الناس فى نظر الإسلام كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على أعجمى ،ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ».

د - مشيئة الله بتزوج أول عتيق بعربية فى القمة من العرب، ذلك العتيق هو زيد بن حارثة، وأن يكون أول سيد يبطل هذه العادة الجاهلية هو رسول الله ﷺ.

هـ - فتح الباب أمام بنات الأشراف ليتزوجن من الموالى فهذه زينب بنت جحش قد تزوجت من أحد الموالى زيد بن حارثة .

٨ - السيدة : جويرية بنت الحارث رضى الله عنها

كانت أسيرة فى غزوة بنى المصطلق، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، فكاتبها على تسع أواق من الذهب ليعتقها، فدفعها النبى ﷺ وعتقت وتزوجها ﷺ ، وكان زواجها رضى الله عنها من النبى ﷺ، خيراً وبركة على قومها، فقد كان النبى قد أسر الكثيرين من قومها فى غزوة بنى المصطلق، فلما وصل الخبر إلى الناس أن النبى ﷺ قد تزوج بنت الحارث بن أبى ضرار سارع المسلمون إلى عتق أسرى قومها، وهم يقولون: أصهار رسول الله.

فبزواجها من النبى ﷺ ، كرمت بهذا الزواج ،ونجت من العار، وأعتقت قومها من الأسر .

٩ - السيدة : صفية بنت حيى بن أخطب رضى الله عنها

كان أبوها زعيم بنى النضير فهى بنت ملك، وزوجة ملك قبل النبى ﷺ، فقد كانت زوجة صاحب حصن القموص أمنع حصون خيبر، وقعت أسيرة فى سهم دحية بن خليفة الكلبى، فنفسها عليه إخوانه، لشرفها وجمالها، فضمها النبى ﷺ إليه وأرضى دحية بقريبات لها، وحققت رؤياها من قبل وضرب النبى ﷺ المثل فى بلوغه حد الكمال الإنسانى فى معاملة الأعزاء الذين ذلوا بعد عز، وهانوا بعد منعة ومجد فتزوج بها »[1].

١٠ - السيدة أم حبيبة «رملة بنت أبى سفيان» رضى الله عنهما

الذى دفع النبى ﷺ إلى الزواج منها عوامل التشريف والإنقاذ، ورد اعتبارها بعد ما أصابتها محن شديدة بسبب إسلامها، وعداوة أهلها، ونكبتها فى زواجها.

كما كان من دواعى زواجها أن يصل ما بينه وبين أبى سفيان بآصرة النسب عسى أن يهديه ذلك إلى الدين بما يعطف قلبه، ويرضى من كبريائه.

---

(١) العرب وظهور الإسلام ص٣٥٦، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ٢٥٨ .

فقد تركت أباها قائد جيوش الكفر لتسلم، وتركت وطنها لتهاجر مع زوجها الذى وضعت فيه كل آمالها، لكن زوجها عبد الله بن جحش خيب آمالها فقد تنصر، فتعرضت أم حبيبة لشماتة شديدة.

وتمثل الرسول الكريم كَرْبَ أم حبيبة فى ديار الغربة، فمد يده لإنقاذها، فأرسل إلى النجاشى ليخطبها له، فخطبها للرسول، وعادت أم حبيبة وهى تحمل لقب أم المؤمنين»[1].

ولم يتألم أبو سفيان والدها من زواجها من النبى ﷺ بل حمد للنبى ﷺ فعله وقال: هو الفحل لا يجدع أنفه.

١١ - السيدة ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها

تزوجها رسول الله فى عمرة القضاء فى العام السابع للهجرة حين كان سنه ﷺ ستون عاماً، وكان المسلمون قد اتخذوا من حجهم مناسبة لإظهار قوتهم وكثرتهم، فنظموا أنفسهم صفوفاً ولبوا، فاهتزت لتلبيتهم شعاب مكة، وكان المنظر رائعاً دفع نساء مكة إلى الوقوف فى شرفات المنازل ليشاهدن المنظر الرائع، وكان من عقيلات العرب المعدودات شقيقة زوجة العباس عم رسول الله ﷺ فراعها ذلك المنظر واستولى على قلبها جماله وجلاله، فلم تملك نفسها وهى تصيح قائلة وهى راكبة على بعيرها: البعير وما عليه لله ورسوله.

عبارة تدل على مقدار حبها لرسول الله، وحرصها على الخروج من نطاق قريش فى مكة، وأفضت إلى العباس زوج أختها بأنها وهبت نفسها للنبى، فيا ترى يقبل هبتها أم يردها؟

ورفع العباس هذه الهبة إلى ابن أخيه فلم يسعه إلا قبولها»[2].

وقد كان زواجه ﷺ من السيدة ميمونة بنت الحارث ربطا لصلته بأقاربه المصاهرين لأقاربها، حيث كانت أختها أم الفضل «لبابة» تحت عمه العباس.

وكانت أختها لأمها «أسماء بنت عميس» زوجة لجعفر بن أبى طالب.

وأختها لأمها أيضاً «سلمى بنت عميس» كانت تحت عمه حمزة.

وكان زواجه ﷺ من السيدة : ميمونة بنت الحارث بعد ما تأيمت من زوجها أبى رهم الذى مات ولم يسلم.

---

(١) والعرب وظهور الإسلام د. محمود محمد زيادة ص ٣٥٧.

(١) العرب وظهور الإسلام د. محمود محمد زيادة ص٣٥٧ بتصرف.

شبهات على تعدد زوجات النبى والرد عليها

• الشبهة الأولى

قال الطاعنون : إن محمداً -ﷺ- قد خالف ما حدده الإسلام للأمة فزاد على أربع!! والمتأمل جيداً لهذا يجد أنه طعن فى شخص الرسول ﷺ إذ حدد الله لرجال أمته ما جاء على لسانه أربعاً، قال تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [1].

ولم يلتزم ﷺ بما أمر الله تعالى به أمته.

ونقول[2]: إن النبى ﷺ سار فى زواجه على الأصل المتبع فى قومه وفى الدين السابق عليه حتى إذا جاء الأمر بمنع الزيادة على أربع، وطبقه فى أمته وأقره عليه ربه سبحانه، وأمره بالمحافظة على الوضع الذى هو فيه، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [3].

لقد أحل الله له من تزوجهن من النساء الطيبات اللاتى دفع مهورهن وما ملكت يمينه، وأحل له قريباته اللاتى هاجرن معه،كما أحل له أية امرأة تهب نفسها إليه، وارتضاها زوجة له، وذلك خاص به وحده.

والظاهر أن هذه الآية تقرير للواقع الحاصل عند النبى ﷺ، لأنها نزلت فى سورة الأحزاب، بعد أن جمع الرسول ﷺ نساء كثيرات تحت عصمته. ومعنى التحليل بعد وقوعه أنه مسموح له أن يمسكهن عنده حتى جاء التحديد بأربع،

---

(١) سورة النساء الآية ٣ .

(٢) الشيخ عطية صقر - موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦/ ١٦٣ -١٦٨ بتصرف.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٥٠، ٥١ .

وإذا نفذ الرسول ﷺ أمر الله فلا حرج عليه، كما حدث فى تزوجه من زينب بنت جحش مطلقة متبناه زيد بن حارثة ، قال تعالى :﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (١).

كما أن تطبيقه بالنسبة له ﷺ غير ممكن.

والمتتبع يجد أن آية التحديد بالأربع نزلت فى السنة الثامنة للهجرة، على ما قاله المحققون، وكان ذلك بعد بنائه بزوجاته جميعاً، فآية سورة النساء التى حددت الأربع نزلت بعد سورة الأحزاب التى مُنع رسول الله فيها أن يتبدل بأزواجه غيرهن ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ (٢). كما منع أن يتزوجهن أحد بعده ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (٣).

فلو فارق من زاد على أربع ما وجدن أحداً يتزوجهن، وهنا تضيع حكمة الإسلام من الزواج وعدله فى التشريع، فكان إمساك النبى ﷺ لزوجاته وعدم الزيادة عليهن وعدم استبدالهن أمراً لازماً لهذا.

كما أنه بمثابة مكافأة لهن على موقفهن منه عندما خيرهن بين المقام معه على رقه حاله، وبين إمتاعهن وتطليقهن، حيث اخترن البقاء معه

لكن بعض المفسرين قال: إن منع التزوج عليهن بعد اختيارهن له قد نسخ بقوله تعالي ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ على القول بأن هذه الآية ليست تقريراً للواقع، بل هى إنشاء لحكم جديد. وذلك لتكون له المنة عليهن فى إمساكهن وترك التزوج عليهن. قالت عائشة : ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء، تعنى اللواتى حرمن عليه، ولذلك تزوج بعد التخيير (٤).

روى البخارى ومسلم عن عائشة قالت: كنت أغار من اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أما تستحى المرأة أن تهب نفسها ؟ فلما أنزل الله ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٨ . (٢) سورة الأحزاب الآية ٥٢ . (٣) سورة الأحزاب الآية ٥٣ .

(٤) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ١٦٤، ١٦٥ بتصرف.

وهكذا نرى أن النبى ﷺ كان مأموراً أن يمسك من عنده من الزوجات وجاءت آية التحديد بأربع فلم يمكن تطبيقها عليه ﷺ.

ونستطيع أن نقول: إن الرسل جميعاً لهم خصوصيات ليست لأفراد الأمة بحكم مركزهم الأدبى ولحاجة الرسالة إلى ذلك وقد ألفت كتب فى خصائص النبى ﷺ مما لا يكون النبى ﷺ موضع قدوة، ويجب على المسلمين ألا يقتدوا فيها بالحبيب المصطفى ﷺ .

ومما اختص به ﷺ الوصال فى الصيام، وقد نهى ﷺ أمته عن الاقتداء به فى ذلك مبيناً العلة فى عدم الاقتداء حيث قال: «إنى لست كهيئتكم، إنما أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى »[1].

وهذه الخصوصيات لايلزم أن تكون لمجرد الإمتاع والتخفيف، فقد يكون فى بعضها شدة وتضييق لمناسبة مقام الرسالة، أو لرفع الدرجات والابتلاء.

فمثلاً : كان من الواجب على النبى ﷺ صلاة الضحى، والليل، والوتر، وركعتى الفجر، والسواك، والأضحية، مع أنها مسنونة لأمته.

وحرمت عليه أمور هى حلال لأمته، كأخذ الزكاة والصدقة،

أكل البصل والثوم وماله رائحة كريهة؛ وذلك لتوقع مجىء الملائكة والوحى له فى كل ساعة من ساعات النهار أو الليل.

نكاح الكتابية لأن زوجاته فى الدنيا زوجات له فى الجنة،

وأبيح له ﷺ النكاح فى الإحرام.

الزواج بدون ولى وشهود،.

وإن كان لم يفعل بعض هذه المباحات.

ومن المباح له ﷺ مما حرم على أمته الزيادة على أربع من النساء فى الزواج إذا تغاضينا عن كون ذلك أمراً من الله له على النحو الذى قدمناه»[2].

(١) رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر بألفاظ مختلفة وانظر حكم الوصال «المواهب للزرقانى ٧/ ١٠٨».

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦/ ١٦٨

• الشبهة الثانية: شهوانية الرسول

قال الطاعنون - فى تعدد زوجات النبى ﷺ - إن إكثار محمد من الزوجات دليل شهوانيته، وأنه رجل دنيا ومتعة، لا رجل آخرة وزهادة.

وللرد على ذلك نقول[1]: إن الشهوانية تطلق ويراد بها أحد معنيين :

أ - أن يكون الرجل مكتمل الرجولة وليست به علة تمنع المباشرة الجنسية.

ب - الاهتمام الزائد بالمتعة الجنسية على شاكلة المترفين اللاهين ، الذين يستعينون أحياناً على زيادة متعهم هذه باستعمال الأغذية الجيدة والأدوية المقوية، وهذا يؤدى إلى نسيان الحظ الأخروى، والانصراف إلى متعة الدنيا.

والمعنى الأول وهو: أن يكون الرجل مكتمل الرجولة ليست به علة تمنع المباشرة الجنسية لا يعد ذماً بالنسبة للرسول ﷺ ولاغيره، بل هو وصف كمال للرجل، لا يذم به، بل يذم بالعجز عنه.

أو على الأقل لا يتساوى فيه من حُرِم منه ومن أنْعم به عليه، والنبى ﷺ كان مكتمل الرجولة، ولم يكن حصوراً.

أما المعنى الثانى للشهوانية فهو لا يليق بالأشخاص العاديين، فكيف بالأنبياء والمرسلين؟ وكل ما نسب إلى الرسول من ذلك فهو افتراء.

وقد تمسك الطاعنون ببعض أخبار وردت، بعضها كان مكذوباً، وبعضها فُهِم فهماً خاطئاً وإليك هذه الأخبار والرد عليها :

أ - قول النبى ﷺ: « حُبِّبَ إلىَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة »[2]. وفسر الطاعنون هذا الحب بالشهوانية .

الرد.. إن الحب إذا أطلق لايجوز أن يُقْصَر على المعنى الجنسى، فقد يكون حباً قلبياً عاطفياً يعلو على المتعة الجنسية، كما يحب الإنسان أمه أو أخته أو

---

(١) الشيخ عطية صقر - موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦/١٦٨ بتصرف.

(٢) رواه النسائى عن أنس، والطبرانى فى معجمه الأوسط، والحاكم فى المستدرك، وقال صحيح على شرط مسلم، وقال الحافظ : إسناده حسن عن أنس.

أحد أولاده أو أصدقاءه، والنبي ﷺ أوصى بالنساء كثيراً لضعفهن، فلماذا لا يكون حبه ﷺ لهن في الحديث المذكور من هذا القبيل؟

وعلى فرض أن المراد بالحب هو الحب الجنسي، فإن لفظ «حُبِّبَ» يعطي أن ذلك تكليف خارج عن إرادته، حيث لم يقل «أحب أو أحببت». وذلك للنزول بالنبي ﷺ إلى رتبة البشرية التي يستطيع معها أن يمارس مهمة الدعوة، فلا يعيش روحانياً خالصاً.

ولعل مما يشير إلى صحة هذا المعنى قوله «وجعلت قرة عيني في الصلاة» فالصلاة أعظم محبوب عنده. ومن كان كذلك فهمه في النساء لم يكن بالدرجة التي تصرفه عن قرة عينه وهي الصلاة والعبادة .

وقد يكون الحديث رداً على بعض من يرون أن مقياس التدين هو الرهبانية والتبتل والامتناع عما أحل الله من الطيبات، مثله مثل ما ورد من رده ﷺ على من ذهبوا إلى بيته وتقالوا عبادته فعزموا على الانصراف الكلي للعبادة بقيام الليل أو صيام الدهر أو عدم الزواج، فبين لهم أنه أخشاهم وأتقاهم لله، ولكنه يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويتزوج النساء، وإن من رغب عن سنته فليس منه، كما رواه البخاري ومسلم.

ب – قوله تعالى في عدم حل النساء له بعد زوجاته وعدم استبدال غيرهن بهن «ولو أعجبك حسنهن» فهذا القول يدل على أنه كان مغرماً بالنساء، ولولا نهى الله له لتزوج كثيراً من الجميلات اللاتي يعجبه حسنهن. كضُباعة التي وصف له حسنها فصرفه الله عنها، ولم يطلق سودة لكبر سنها، وكان قد هم به.

ويرد على هذا بأن الإعجاب بالحسن أمر طبيعي مركوز في نفوس البشر، بل إن النبي ﷺ وصف الله بالجمال وحب الجمال «إن الله جميل يحب الجمال»[1] فلا يعاب أحد على ذلك من جهة الطبع ولا من جهة الشرع. وإنما العيب في استغلال ذلك استغلالاً سيئاً.

وَهَمُّ النبي ﷺ بطلاق سودة كان فهماً منها هي.

وإعجابه بجمال ضباعة لم يرو بطريق صحيح .

جـ – حديث أنس: كان ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل، وهن إحدى عشرة .

قال الراوي عن أنس: قلت: أو كان يطيقه؟

قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين.[1] وفي رواية الإسماعيلي : قوة أربعين.

---

(١) رواه مسلم عن ابن مسعود.

فدورانه على نسائه كلهن وحديثهم عن قوته يدلان على شهوانيته.

ويُرد على هذا بأن حديث أنس كان فى معرض القوة الخارقة العجيبة، لا فى مقام الذم له باللهو بالنساء، والتوفيق بين واجب الدعوة الضخم والواجب العائلى يدل على شرف وكمال النبى ﷺ لم يتح لغيره .

ومع ذلك فالحديث ليس فيه نص على أن دورانه على جميع نسائة كان بجماع، بل إن الواقع العادى لا يصدقه، وذلك لعدم كفاية الساعة الواحدة للمرور على إحدى عشرة امرأة، وبخاصة أنه ندبنا إلى الغسل من كل جماع، فكيف يتوفر له الوقت لذلك، مع ما علم عنه من حرصه الشديدعلى قيام ساعات طويلة من الليل.

وكذلك هذا العمل غير مقبول شرعاً، فأين القسم الذى خصص به ليلة لكل زوجة، وكيف يعطى غير صاحبة النوبة من نوبتها ؟

وإذا قيل: إنه إن دخل على واحدة فى غير نوبتها دخل على الجميع حتى يتساوين فى ذلك فأنا أرجع أن مثل هذا العمل لم يحصل من النبى إلا نادراً، فهناك من الشواغل الدينية مالا يساعده على ذلك. وهذا الجهد الجبار يحتاج إلى قوة بدنية أساسها شهى الطعام وراحة الجسم وفراغ البال.

وهل توفر للنبى ﷺ كل هذا أو بعضه؟ اللهم إلا إذا كان ذلك نفحة قوية من الله منحه إياها. وللأنبياء مزيد فضل من ربهم على غيرهم من الناس، فإن سليمان حلف أن يطوف على نسائه فى ليلة واحدة، وهو طواف جماع بدون شك، وذلك لتأتى كل منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله، كما رواه البخارى.

وكان له ألف من النساء ما بين زوجة وسرية.

وقيل : إن إبراهيم عليه السلام كان، على كبر سنه، يزور هاجر من الشام إلى مكة على البراق كل يوم، شغفاً بها وقلة صبر عنها، كما ذكره سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه.

---

(١) رواه البخارى.

د - روى أن النبى ﷺ شكا إلى جبريل ضعف الوقاع، فدله على الهريسة .
وهذا يدل على أن النبى كان شهوانياً مهتماً بتحسن حالته الجنسية .

ويرد على ذلك بأن الحديث باطل، صرح الحافظ ابن ناصر الدين فى جزء له سماه «رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة» بأنه موضوع .

● **الخلاصة**

بعد مناقشة الآثار الواردة وبيان قيمتها العلمية أو معناها الصحيح، لنا بعض الأدلة العقلية على نفى الشهوانية المذمومة عن النبى ﷺ منها ما يأتى:

١ - كان النبى ﷺ عفيفاً وهو شاب، مع وجاهته ويسر الاتصال به، فكيف يكون بعد الرسالة شهوانياً وهو فى شبابه بهذه العفة؟

٢ - لقد طلبته خديجة للزواج، ولم يتقدم هو إليها، مع أنه عمل لها طويلاً وهو قريب منها ليس بينهما حجاب كثيف. فكيف يصبر الشهوانى على نفسه، ولا يبادر لأول وهلة بطلب خديجة لنفسه. إنها هى التى تقدمت إليه مع رفضها لكبار قريش راضية بالفقير لصفاته النبيلة.

كما أنه لم يتزوجها طمعاً فى مالها بعد الزواج، كما يفعل كثير من شباب اليوم الذين يرضون بالعجائز لثرائهن، فهو غير وصولى، ولو كان النبى وصولياً فى زواجه منها لما حزن عليها بعد وفاتها، ومالها كله بين يديه، إنه قدر فيها إيمانها ونبلها وصادق معونتها له فى الدعوة.

٣ - لو كان النبى ﷺ شهوانياً، وقد ورث مال خديجة، لكان أول تفكيره بعد موتها هو فى التمتع بالأبكار كما يشاء، فهن أنتق أرحاماً وأعذب أفواهاً وأرضى باليسير، كما جاء فى وصيته لأمته بالتزوج منهن. ومع ذلك لم يتزوج بكراً إلا عائشة. فقد تزوج سودة وأخريات تقدم بهن السن، وتزوج بعضهن قبله أكثر من مرة، فهل الشهوانى يعدل بالأبكار شيئاً؟

٤ - إن الرسول ﷺ آلى من زوجاته شهراً، أى حلف ألا يقربهن ، واعتزلهن فى مشربة له. فهل يصبر الشهوانى على البعد عن النساء كل هذه المدة؟

٥ - أنه خير زوجاته بين المقام معه على رقة حاله وبين إمتاعهن وتطليقهن، فكيف يعمد الشهوانى إلى هذا التصرف، ومن الجائز أن يخترن فراقه، ولا يستطيع بعدهن أن يحصل على غيرهن، وهو فى حالة من الرقة لم ترض معها الزوجات السابقات أن يبقين معه؟

وهل يغيب عن الشهوانى مغبة هذا التصرف؟

٦ - لقد أوجب على نفسه، القسم بين زوجاته بالعدل، وحافظ على عدم غمط إحداهن حقها، مع أن هناك تفاوتاً فيما بينهن، بما يجعل القلب يميل إلى إحداهن أكثر، والشهوانى رجل حر طليق من كل قيد يحد من حريته، أنه يريد الشهوة مرتعاً خصباً بعيداً عن كل المعوقات والمضايقات.

٧ - كان النبى ﷺ مشغولاً فى أكثر أوقاته بواجبات الدعوة، إلى جانب واجبات نفسه، فكان بالنهار يدعو ويقضى بين الناس ويجهز الجيوش والإمدادات وينظم أمور المجتمع . . وبالليل كان يتعبد الساعات الطويلة . فأين هو الوقت الذى يكفيه ، إن كان شهوانياً، لإشباع رغبته الجنسية ؟

٨ - الحالة المعيشية للرسول ﷺ كانت رقيقة، كما هو معروف ، ولذيذ الطعام والشراب والراحة الكافية وما إلى ذلك مما يساعد على التمتع الشهوانى غير موجود.

ومن الذى يصدق أن كهلاً تقدمت سنه بعد موت خديجة (كان عمره خمسين سنة)، وفى الوقت نفسه كان - يعيش عيشة الفقراء -، إن لم يجد فى الصباح ما يأكله نوى الصيام، وأحياناً كان لا يجد ما يفطر عليه من صيامه إلا الخل، فيتناوله شاكراً راضياً، وثبت أنه كانت تمر عليه الليالى الطويلة، شهران أو أكثر ولا يوقد فى بيته نار لإنضاج طعام لذيذ، وكان عيشه على التمر والماء، من الذى يصدق أن من فى هذه الحالة يكون شهوانياً؟

إن ذلك غير مصدق إن كان رجلاً عادياً كبقية الناس، وهو ما يريد أن يصل إليه المغرضون، ولئن حدثت له قوة خارقة فهى بتأييد من الله لخاصة خلقه ،وهو دليل نبوته.

٩ - لو كان النبى ﷺ شهوانياً لوفر لنفسه الطعام والشراب ووسائل الراحة الكافية، وكان الحصول على ذلك سهلاً، لأنه رئيس الدولة، والشعب كله

يحب أن يوفر له ما يسره لوأراد ، لكنه زهد وقنع، وتحرج من مد يده إلى شئ من الخزينة العامة لمصلحة نفسه .

١٠ - إن بعض النسوة كن يعرضن أنفسهن عليه بطريق الهبة ليتزوجهن، فلم يقبل حتى لا يُفْتح عليه باب الهبة الواسع، وكان رده لهن لطيفاً، حيث كان يعتذر أحياناً، ويؤثر بهن غيره.

هل يطرد الشهوانى متعة جاءته ميسرة دون عناء من صداق ونحوه، مع وجود الرغبة فى الانضمام إليه والتمتع به؟

١١ - لما ضاقت قريش ذرعًا بالنبى ﷺ وبدعوته وأرادوا صرفه عنها، عرضوا عليه أشياء منها: تزويجه ﷺ بالأبكار إن كان يريد ذلك، فلو كان شهوانيًا لسارع بالاستجابة لهذا العرض الذى لم يخل عن عرض المال أيضًا الذى يتمم به النبى شهوته لو كان شهوانيًا.

١٢ - إن النبى ﷺ لم يستكثر من السراري، كما استكثر غيره. ولو كان شهوانياً لكان فى مقدمة المستكثرين، فالثابت أنه لم يتسر بأكثر من أربع . مع أنه رَغَّبَ فيهن كثيراً تمهيداً للعتق.

١٣ - لم يكن النبي ﷺ كامل الحرية فى التزوج بمن يشاء، بل كان زواجه بأمر من ربه، فقد روى عبد الملك بن محمد النيسابورى عن أبى سعيد الخدرى قول النبى ﷺ :«ما تزوجت شيئاً من نسائى، ولا زوجت شيئاً من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى عز وجل »

١٤ - لقد بدأ النبى ﷺ زواجه الثانى بدخوله بعائشة فى المدينة، على بعض الآراء، وكان سنه أربعاً وخمسين، وهل مثل هذه السن تسمح لصاحبها أن يكون شهوانياً بالمعنى المعروف !!!

هذه بعض الأدلة التى تدحض شبهة شهوانية الرسول، بالمعنى الذى يصح أن يكون مطعناً على مقامه الشريف [1].

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ عطية صقر ٦/ ١٦٩-١٧٥ .

كتب للمؤلف

[١] ثقافة إسلامية للدعاة

[٢] الرسائل النبوية.

[٣] زوجات النبى الطاهرات.

[٤] فضل العلم ومنزلة العلماء.

[٥] نظام الأسرة فى الإسلام.

[٦] نظام الحكم والإدارة فى العهد النبوى والخلافة الراشدة.

• تحت الطبع:

[١] الله يحب المحسنين.

[٢] الأمثال فى القرآن الكريم

الفهرس

الموضــــــوع	الصفحة
● المقدمة	٣،٤
● مدخل	٥
● عرض القضية	٥
● رسالة النبى إلى المقوقس.	٦
● نسب السيدة مارية .	٧
● السبب فى اختيار مارية وسيرين	٧
● عرض نبوى كريم	٨
● فطنة مارية وذكاؤها.	٩
● إكرام الله مارية	١٠
● السيدة ريحانة النضيرية	١١
● زوجات النبى المتفق عليهن	١٤
●● الفصل الأول :	
● مراحل حياة النبى	١٧
● أحكام شرعية خاصة بأمهات المؤمنين	١٩
[١] أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد	٢١-٤٦
● زواجها قبل النبى	٢١
● خديجة تختار الأمين لتجارتها	٢١
● نفيسة تعرض الأمر على أبى طالب	٢٢
● مؤهلات للزواج ومرغبات فيه	٢٣
● مع ميسرة	٢٤
● خديجة تعرض على الأمين الخروج بمالها	٢٥
● عرض الزواج على محمد	٢٦
● محمد يفكر فى الزواج	٢٧
● عمرخديجة عند زواجها من النبى	٣٠
● من المواقف العظيمة للسيدة خديجة	٣٢

الموضـــــــوع	الصفحة
● موقف ثان	٣٦
● موقف ثالث	٣٧
● محاولة التخفيف	٣٩
● نقض الصحيفة	٤٠
● منزلة خديجة	٤٢
● حب النبى لها وثناؤه عليها	٤٢
● ربيب رسول الله	٤٤
●وفاة خديجة	٤٥
[٢] أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة	٤٧ - ٥٦
● زواجها قبل النبى	٤٧
● رؤيا مبشرة	٤٨
● اختيار سودة للزواج بالنبى	٤٨
● طيبتها وخفة روحها	٥١
● طلاقها	٥٢
● إيثار	٥٤
● خلقها	٥٤
● شدة التزامها	٥٥
● وفاتها	٥٦
[٣] أم المؤمنين السيدة عائشة	٥٧ - ١٠٠
● عائشة قبل زواج النبى بها	٥٨
● خطبة النبى لعائشة	٥٩
● عقد النبى عليها	٦١
● بناء النبى بعائشة	٦١
● الزفاف	٦٢
● وليمة العرس	٦٣
● تأثير الحالة الاقتصادية	٦٤
● حب النبى لعائشة	٦٥

الموضـــــوع	الصفحة
● حديث أم زرع	٦٧
● حب المسلمين عائشة	٧٨
● ميزاتها رضى الله عنها	٨٠
● حب عائشة النبى	٨٠
● غيرتها على رسول الله	٨١
● حادث الإفك	٨٢
● السيدة عائشة تروى هذا الموقف	٨٤
● إقامة الحد على من صرح بالإفك	٨٧
● منزلة عائشة عند المسلمين	٨٧
● منزلتها عند النبى	٨٩
● خوفها من الله	٩١
● مزاياها العلمية والخلقية	٩٢
● هل ولدت للنبى	٩٤
● عائشة يوم الجمل	٩٤
● وفاتها	٩٩
[٤] أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر	١٠١ - ١١٠
● زواجها قبل النبى	١٠٢
● زواج النبى بحفصة	١٠٢
● عمر يؤدب حفصة	١٠٤
● فصاحة حفصة	١٠٥
● طلاقها	١٠٦
● فضلها	١٠٧
● جمع القرآن	١٠٧
● وفاة عمر	١٠٩
● وفاة حفصة	١١٠
[٥] أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة	١١١ - ١١٤
● زواجها قبل النبى	١١١

الموضـــــــوع	الصفحة
● أخطاء يجب أن تصحح	١١٢
● منزلتها	١١٣
● وفاتها	١١٤
[٦] أم المؤمنين السيدة أم سلمة	١١٥ - ١٢٨
● زواجها قبل النبى	١١٥
● حب أم سلمة لأبى سلمة	١١٥
● جانب من جهادها	١١٦
● زواج النبى بأم سلمة	١١٩
● من الذى زوج أم سلمة للنبى	١٢١
● غيره عائشة منها	١٢١
● منزلتها	١٢٣
● عمرة الحديبية	١٢٤
● موقف الصحابة من صلح الحديبية● رأى صائب لأم سلمة	١٢٥
● فضلها	١٢٦
● اهتمامها بدينها	١٢٧
● الفتنة الكبرى	١٢٧
● وفاتها	١٢٨
[٧] أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش	١٢٩ - ١٥٠
● زواجها من زيد	١٢٩
● من هو زيد؟	١٣٠
● منزلة زيد	١٣٢
● زينب فى بيت زيد	١٣٤
● ما الذى أخفاه الرسول وما الذى خشيه	١٣٥
● طلاق زينب من زيد	١٣٨
● زواج الرسول بزينب	١٣٨
● روايات واهية	١٤٠
● لم تزوج النبى بزينب بنت جحش؟	١٤٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
● وليمة وحجاب	١٤٧
● أعجب ما رأى أنس فى بيت النبى	١٤٨
● منزلتها	١٤٩
● فضلها	١٤٩
● وفاتها	١٥٠
[٨] أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث	١٥١ - ١٥٦
● من هى جويرية ؟	١٥٢
● تصرف نبوى كريم	١٥٣
● حكم نظر النبى إلى جويرية قبل الزواج	١٥٥
● تعليم النبى لها	١٥٥
● فضلها	١٥٦
● وفاتها	١٥٦
[٩] أم المؤمنين السيدة أم حبيبة	١٥٧ - ١٦٨
● زواجها قبل النبى	١٥٧
● غربة فوق غربة	١٥٨
● بين النبى والنجاشى	١٥٩
● بشرى لأم حبيبة	١٦٠
● زواج النبى بأم حبيبة	١٦١
● هداية النجاشى لأم حبيبة	١٦١
● عودة أم حبيبة	١٦٢
● من نتائج صلح الحديبية	١٦٣
● موقف لأم حبيبة	١٦٣
● فتح مكة	١٦٥
● إسلام أبى سفيان	١٦٧
● التزام أم حبيبة السنة	١٦٨
● وفاتها	١٦٨
[١٠] أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيى	١٦٩ - ١٨٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
● سبى صفية	١٦٩
● زواج صفية قبل النبى	١٧٠
● رؤيا تحققت	١٧٠
● من كيد اليهود	١٧١
● كره النبى اليهود	١٧٢
● اختيار النبى صفية	١٧٢
● تخيير صفية	١٧٤
● زواج النبى بصفية	١٧٤
● صداق السيدة صفية	١٧٥
● بناء النبى بها	١٧٥
● وليمة العرس	١٧٦
● حراسة أبى أيوب الرسول	١٧٧
● معاناة صفية	١٧٨
● وقوفها إلى جانب عثمان	١٨٠
● وفاتها	١٨٠
[١١] أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث	١٨١ - ١٨٦
●زواجها قبل النبى	١٨٢
● زواج النبى بها	١٨٢
● حال الرسول عند العقد	١٨٣
● بناء النبى بميمونة	١٨٥
● جهادها فى سبيل الله	١٨٥
● ورعها وتقواها	١٨٦
● وفاتها	١٨٦
●● الفصل الثانى : حياة النبى كتاب مفتوح	١٨٧-٢٣٢
● مدخل	١٩٠
● عظمة النبى	١٩٠
● التخيير وسببه	١٩٢

الموضوع	الصفحة
● مطالب ورد	١٩٥
● النبى كان غنيًا	٢٠٠
● الحكم فى الأرض المفتوحة	٢٠٢
● فتح خيبر	٢٠٣
● أهل فدك	٢٠٥
● التحريم وسببه	٢٠٧
● تعدد زوجات النبى والحكمة منه	٢١٢
● الحكم الخاصة	٢١٥
● شبهات على تعدد زوجات النبى والرد عليها	٢٢٤
● الشبهة الأولى	٢٢٤
● الشبهة الثانية	٢٢٧
● الخلاصة	٢٣٠
● الفهرس	٢٣٣